

الطبعة الثالثة



نعمة الخالد

Nema Al-Khalid

عُزْلَتَانِ

# محفوظ جميع الحقوق

1446هـ - 2024م

اسم المؤلف: نعمة الخالد.

اسم الكتاب: عزلتان.

التجنيس: نصوص مفتوحة.

الطبعة: الثالثة.

رقم الإيداع: 2024/25855

الردمك: 978-977-998-840-5

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة  
تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل  
الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو أية  
وسيلة نشر أخرى بما فيه حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون  
إذن خطي من الناشر.

# عُزْلَتَانِ

التلويح الأخيرة كانت بداية جديدة  
بالنسبة لي!

نعمة الخالد

الطبعة الثالثة

2024م-1446هـ



وحدي، أراود نفسي الشكلى فتأبى أن تساعدني على نفسي.

— محمود درويش



وقلتُ له: أظنني سأُجنُّ يا صديقي، إِيَّاكَ أنْ تفلتني حين يحدث هذا.  
فقال: لنْ أفلتكَ لأننا سُنجنُّ معًا.

## العزلة الأولى

لم يكن سبعة أبريل مُجرّد تاريخ عابر، إنه ذكرى مخلدة في ذاكرة  
الأيام

لحظة ما زالت ممتدة في جميع اللحظات..



أَمَّا الْآنَ

الْحَيِّطَانُ الْأَرْبَعَةُ!

تَقْتَرِبُ رَوِيداً رَوِيداً..

الْأَنْوَارُ تُطْفِئُ نَفْسَهَا..

الرَّيْحُ تَتَحَدَّثُ،

النَّاسُ نِيَامُ،

عَلَى قَيْدِ الْاسْتِيقَازِ أَنَا

بِرُوحٍ شَبِهَ نَائِمَةٍ:

أَتَمَدَّدُ فَوْقَ سَرِيرِ الضَّيَاعِ

"بَصِمْتُ"

السَّقْفُ يَهْبِطُ..

إِنَّهُ سَقْفُ الذَّاكِرَةِ أَوْ الْقَلْبِ

"لَا أَدْرِي"...

هَذَا اللَّيْلُ مُخِيفٌ!





## تنويه

مليء بالتناقضات كثيراً. بإمكانك أن تُغلق هذا الكتاب إن تدمرت  
من تحدّثي المستمر عن آلامي.. أنا أهنأ أحاول تضميد جِراحي  
بالكتابة.. عائدٌ من حربي مع نفسي مهزوماً جريحاً.. ربما قتيلاً...!

قد أستطيع التحدُّث معكِ يا أنا..

لكنَّني في صراع كبير

وتفكير لا متناهٍ..

شَتَات لا حصر له!

لذا لا تحزني حينما أسرح بعيداً عنكِ..

فأنا حينها أحاول للملّة ما تبقى منّي..

\*\*\*

تعلّمنا كيف نصبح هادئين..

لكنّنا لم نتعلّم بعد!

كيف نُخرِسُ الضوضاء التي تصدر في الداخل..

\*\*\*



تشبثنا بأحلامٍ تدلَّت على حذافير تنورة الهاوية!  
حالوا بيننا وإياها.. كما حالوا بين عبلّة وعنترّة..

\*\*\*

فصل المطر، لا يغيب عن بعضنا.. فغيوم قلوبنا تسبل رذاذها بغزارة،  
ثمّ تنبتُ كل دمعّة نبتة من ألم!

\*\*\*

## - مجهول

غادرتهم لأعقد صلحاً مع جدران شرفتي، أوّصد الباب جيداً  
متوخياً إحداث زقزقة وأشلائي تركض بلهفة جراء قلم وأوراق. هكذا  
بغته وجدت بأن دموعي قد سبقتني إلى المنضدة تنتظر موسمي يتزامن  
مع قصتها، أغمضت عيون نوافذي بستار الإرهاق، تعانق أناملي قلم  
مرتجف بعد إطفاء الأنوار، وإشعال شمعة خافتة! في تلك اللحظة  
الساكنة كنت أبتهل هدوءاً فقط، لا أرغب سماع أي شيء... وعلى رأس  
أول صفحة وثقتُ تأريخ خيبيتي (سبعة أبريل) بعد شتات طويل شعرتُ  
بالاختناق: كنصّ حزين.. كقصيدة باكية!

توجتُ سؤالي الأول لحضرة الجدار، أو لحضرة الظلّ اللصيق بخدّ  
الجدار: أيجدرُ بك معانقة العدم والعالم في جوفك يختنق بالدموع وعندما  
يتوه البوح بين دفتي فاهك ثم تموت الحروف دون عاشق يعزيها، أهنالك  
أيام للحداد معدودة فينتهي الحزن وتعايش ألمك؟ يبدو أن مدة حداد  
كهذه سوف ترتدي الروح المتهالكة، وهذا يعني بأن المشاعر سوف  
ترتمي بين أحضان العزلة طويلاً..!!

أجانبني بصوت مشفق: أنت تعاني حمّى الحزن كثيراً.. غدرك صديق  
لك.. وفاجئتُك الحياة بمرارة لم تكن في حسابك أبداً.. أنا أفهم عليك..  
لذا سأظل معك لأفهم عليك حتى تفهم نفسك.. وأغادر!!

قلت: "متى يستريح الإنسان في هذا العالم الحافل بالمعاناة، والآلام  
وجفاء المشاعر؟"

قال: عندما نحمل الأقلام، فنكتب مشاعر بعضنا..



## خَبِيْثَة

قد تتلعثمُ حروفك المُقاوِمة لهفة النداء ليترجم تلعثمها خاء عابرة،  
 ياءٌ مُحْكَمَة بالحنين، باءٌ تحاكي اليأس، وهاء تفقد رغبة الانتظار. كفيْلَةٌ في  
 هزمك، نقلك إلى عالم اللاشيء، طحنك وانتزاع أملك من بين أحضانك،  
 نفيك من أرضٍ هي وطنك، قَسَمك على حياةٍ سالبة، شدَّك من خصلة  
 بهجتك، خلعتك من جدار حلمك، ردعت بالقسوة، وصدَّك عن فرصة  
 نيل ازدهار السعادات.. خيبة، بعد خيبة، بعد خيبة، كفى بالله فقد رثت  
 أحبال أحلامنا الوردية، علمينا أيتها الحياة دروساً ولكن لا تهدينا السقم  
 مبكراً، فما هم إلا عبارة عن هدايا وطيفٍ من وعثاء بؤس. خُذْ لَانِ هم  
 اختبأوا بين جحور أغصان انتشلتها الأيام من جذور الهيام، وتلك  
 الجذور حينما تلتصق بالقلب ما أقسى نزعها والقلب الذي يصبح  
 منهمكاً: بين الأسى والشعور بالخذلان ينطفئ بعدما كان يتوهج!.. من  
 المؤلم وضع كفيك على ضفة سياج صُنع من صداد الفراق، تهاويك ملامح  
 السفر البائسة إلى معالم الرجاء لاستعادتك وضحككتك وقلبك الواقع في  
 حبِّ الحياة. تغفو على صوت المياه التي تواسيك فوَاجَة بأسرار التائهين  
 بين الأمس وعجز اليوم، تُعلن حينها رغبتك في معرفة نهايتك حتمية  
 الوداع، أم مؤكدة البقاء.. ترجِّح الأولى غالباً ليبقى الشوق حكاية  
 ترويك مدى رحلة العمر الطويلة.. غيمةٌ هم من غيوم الزيف الملوَّح  
 بالخِدا، بينما أنت في قحل الوجع كالمنبوذ ملقًى، سيأتونك بغية تعقيم

لقلبك بودٌ مُستعار لا يتوارى، أو لمقاومة الآه الطويلة التي التحمت بأحشائك.. وبعدهما تُقضى حاجات في أنفسهم، سينسون هويتك، لقلبك، واسمك ورقم هاتفك سينبتون في قلبك بدلاً عن الآه.. آهات.. فخيبة أن تثق بهم.. بإفراط جداً لا داعي له، بينما لا يضاهون الثقة ثقةً ولا الإخلاص إخلاصاً.. أن تعلن بحبهم فيرحلون بتجاهلٍ دون مبالاة لاعتراكك.. أن تُفصح عيونهم أسراراً ركنوها خلف ملامح الخليط الذي أعدّوه لإيقاعك في نبرته الشائبة بعناية ودقة كي تسقط بإحكام كما يتخيلون تماماً، أن تضعهم في الجزء الأجلّ من قلبك، يمزقونه بمخالبٍ لؤمهم، يزرعون الألم في أرض أشجانك، وتحصد أنت دموعك، لتُسقيك في زمن الأسى.. أن تظنّ بصفتهم مع أن بعض الظن إثم، يؤذونك برحيلهم، يباغتونك بلکم ذاكرتك بعبورهم المؤبّد! أن تعتقد بأن الحياة قد انتهت لأنهم قرروا هجرانك ومناساتك كما لو أنهم لم يعرفوك يوماً.. وخيبة أن يبهجوك قليلاً وللحظة يغادرونك باكياً على مقعد قد تقابلتم وتبادلتم ذات الأفكار والمشاعر سوياً، ولطالما ودّدت لو أن تنبس إلى مالِكِه قبل اندلاع غصتك ليحطّمه كي لا ترى تفاصيلها كل يوم.. ثم تعايش أيامك تحت وطأة العزلة وحيداً بعد ذلك، وتهرب من كل شيء يذكرك بهم، وتتفق مع دوستوييفيكي عندما قال: (لقد أمضيت حياتي كلها في الدفاع عن أشياء لن أحظى بها أبداً. أجلس الآن وحيداً أمشّط شعر الخيبة وأغني لها)

سوف تتعلم بعدها كيف تستل سيف فهمك من غمد بلاهتك التي  
تخبّطت في وحلها معهم دون إدراكك كونك مُطلق العنوية والسماحة مع  
الآخرين لا أكثر من ذلك ولا أقل، تغوص في عمق همجيّتها بأي صفحة  
كانت وبأي سطر، والأهم من كل ذلك من كان مدونها لترصد ضيمه  
وما تم اكتراثه فيك من قبله، كي تستثمرها لصالح قلبك، وتصبح حذراً  
من الآخرين المقبلة في طريقها إليك..

وكما قال إميل سيوران: الطريقة الوحيدة لمواجهة الخيبات المتوالية،  
هي أن يعشق المرء فكرة الخيبة نفسها، إذا أفلح المرء في ذلك، لا يعود  
يفاجئه شيء، يسمو فوق كل ما يحدث، يصبح الضحية التي لا تُقهر.

p. m 11:11

ابقَ لطيفاً مع خيبتك.. أشعرها بسذاجتها، حتّى لا تحوّل قلبك إلى  
مقبرة مليئة بالكثير من المشاعر المتحررة..

\*\*\*

مازلتُ أنتظر صدفة لقاء أخرى كالتي التقيتُ فيها أول مرة، ليس لعقد  
الصداقة من جديد... بل لأجتازك دون أن أسمح لتلك الصدفة أن  
تعرفني بك..



## انتظار لا منه جدوى..

نتنظرُ انقضاء الثانية الخامسة والتسعين، والدقيقة المليون، الساعة السادسة والتسعون من اليوم الثامن والثلاثين نهاية الشهر السابع عشر من السنة المائة.. نتنظر عودة عام مضى لنر كل لحظة أوجعتنا ثم نعود مرفرفين رايات نصرنا على مأساة قلوبنا. أمام النافذة الهشة نتنظر الكثير من الأشياء التي لا يمكن أن تحدث.. هكذا هذيان القلب مع جنون المساء، وهوس القمر الشقي...!

\*\*\*

## بالبية!

أكتبني.. فأجدني بالبية كالليل وعناء الليل، أدسّ مشاعري بين أحضان كلمات قد اقتحمت بشتات لا يستطيع القلب ترجمته.. الكون داخلي صغير يتصوّر جوع الأمان بين أزقة روح تفيض بؤساً، يودّ لو أن يتناول جرعة حب من بئر سلام أبديّ بين شوارع مدينتي ذات الأحاديث المتمتعة بالألم! أكتبني، وكلما عانقتُ هذا القلم وجدت قلبي يبكي كثيراً، وشهقاتي كطفل أوشك الانتهاء من دوامة بكائه، ثم أجد معضلة الشهيق تحقق على وديان شيء ما مفتوق يهرول بتمايل بين أرصفة دمعتي.. أكتبني، فأجد الشعور يتهاهى على سطح تنهيدة.. ولو أن ما بهذا القلب يصل إليك في هذه اللحظة، لأدركت شعور الممرض المتحسر، إذ يرى أحد مرضاه يموت أمامه دون استطاعة على فعل شيء، ولكنتي أنفى الآن إلى عوالم الهدوء المثالي، وكلما خطوت عدة خطى استدرتُ إلى تلك الذكرى، ألوح إليك بابتسامة صامدة تلبس الهدوء وتعتري بالجمود المزيف.. ما ضرّك تصرخ عن بُعد ثم تقول: (انتظر)، وترفض أن تحكم الأيام علينا بالعذاب الأبديّ، أو تركض قبل تلاشيّ، تقول: بعثر هذه الضجة التي تخفيها خلف قناعك الذي لم تخبرني يوماً عن سماكته، أنا بالبية للغاية.. ولا شيء بإمكانه أن يُعيد إليّ سلامي.. خائفٌ، وقلقٌ، لا أدري ما الشعور الذي يراودني به أيضاً.. إنني هنا لستُ أكتب قصّة بدايتها سيئة ونهايتها مليئة بالمسرات، إنني هنا أكتبني، أخونني على الأحرى،

فحين يكتب الإنسان نفسه إلى الآخرين، يكون قد انتهك حق من حقوقه الشعائرية، يكون قد أفشى أسرار صمته ومبالاته الباردة بين الجموع، يكون قد أخبر الجميع بأنه عاجز إلى الحد الذي لا يستطيع فعل شيء سوى أن يخضع للقلم، القلم الذي نافس النفسانيين، وأخذ من دواخلنا ما أخذ باستدراجٍ بارع، يا صاح لا بأس في ذلك، فليقرأ البقية حزني، وليكتشفوا مضامن وعكتي مع ألمي، أنا أتيت إلى هنا مجثومة بالضيق، هربتُ لأكتبني.. لأنني بالية..

\*\*\*

a. m 02:5

أهربُ دون هروب، وأعود دون عودة، وأنسى دون نسيان، وأضحك دون ضحكة، أتحرق من سجن الذكريات دون حرية، وأقفز من نافذتي المرتفعة دون قفزة، وأبكي دون بكاء، وأضحك دون ضحكة، وأصرخ دون صرخة، وأناجي دون مناجاة، وأمضي دون وجهة.. مقيدٌ في يا أمي، ما العمل!!!!

\*\*\*

### خبئوني عن هذه الضوضاء..

سُئِلَ عن أمنيته بينما ينظران إلى السماء المرصعة بالنجوم في ليلة هادئة: ما ذا تتمنى في هذه اللحظة؟! أجابه بلهفةٍ شديدة: أن أُسجن لأعوام طائلة.. ثم أتحاشى هذه الضجة والأيام الفارغة.. وأنت تأتيني بكمية هائلة من الكتب في كل زيارة تزورني بها، وأقلام وأوراق فارغة أرصد عليها أحلامي التي ستبقى مجرد أحلامٍ على ما يبدو.. أنا بحاجةٍ إلى هدوءٍ ثقيل يا صاح، سكينه مفرطة جداً.. هذه الضوضاء باتت تमित رغبتني في كل شيء... أصابتنني بالتعاسة حتى من نفسي..

- ولكنك تعاني من ضججتك النفسية لا البشرية، وإن سُجنت وإيّاها معاً سوف تجعلك تتمنى الانغماس في حجرة الموت.. تعاني جداً من تراكماتك، عالج نفسك!

- هذه الأيام مليئة بالفراغ، الأحزان المتكررة، تُنجب التعاسات كل يوم، وتجهض السعادات كل ساعة، أعلم جيداً، سوف تقول بأنني أبالغ، وبأن وليام شكسبير قد قال: (لا شيء يستحق الحزن، دع الحزن للحمقى) لا بأس أنا أحمق، نعم أحمق، وليس من المعيب أن أكون أحمقاً، فحلّمي الذي مات يستحق أن أحزن عليه، وتخيّلني التي رسمتها على زجاج نافذة قلبي ثم ساحتها أمطار الاستحالة تستحق أن أحزن عليها، والأشخاص الذين اعتنوا بي ففرطت بهم لأجل أشخاص فرطوا بي



يستحقون أحزن عليهم، ومشاعري التي أراها تختصر كل يوم بينما أنا عاجزٌ عن إسداء أي معروف لأجلها تستحق أن أحزن عليها، دعني أحزن على كل شيء يخصني قبل أن أموت، أحزن عليّ ما دمتُ حيّاً، أعلم بأنك سوف تبكي بعد موتي وتحزن كثيراً، لكنك مع الأيام تنساني، وتستبدلني بآخرين، تملأ حيزك بمن هم أفضل مني ربّما، لذا دعني أقدم تعزيتي لنفسي، وأفرغ ما أشعر به دون تقييد.. فليس العيب ألاّ تحزن، العيب والحماقة هو أن ترفض أن تحزن، لأنك لم تحب نفسك حينها، فمن أحب نفسه سيحزن لأجل ما تفقده، بينما الذي لا يقدرها، لن يبالي لأي شيء، لأنه أنانيّ السعادات دائماً.. نفسي تستحق أن أواسيها بما تشعر.. لذا أنا لستُ مريضاً كي تقول عالج نفسك، أنت المريض لأنك لم تكتشف نوع مرضي!





## خُذْلَان

أنا شخصٌ يقدّر من يقدّر مشاعري، وأحترم من يحترم قراراتي، وأنزّه  
كلّ من يكون معي نقيّاً صادقاً وصريحاً.. إلا أنني أرفض أن أُخذل،  
فالخُذْلان مُرٌّ بل جريمةٌ لا تُغتفر، لا تبقى معي طالما لم ترد ذلك، لا  
تحدّثني قسراً عنك، لا تحاول الهروب كثيراً، فقط قل أريد الذهاب، دون  
خجلٍ قل أريد الذهاب مؤبداً دون عودة.. أنا أكره الخُذْلان، وأمقت أن  
يحاول قلبي على محاربة حقيقة التهميش لأتوخّى كسره، فهل تعلم عن  
أي خُذْلان أتحدّث: عن العبور الذي تأوي إليه عندما أزهّد بالعناء  
وتركني أشكي أحزاني لجدрани..

## إِنْشَرُّ بَوْحَكْ

حِينَمَا يَتَضَرَّجُ تَفْكِيرُكَ بِدَمَاءِ الشَّتَاتِ، وَكَلِمَا سُبِلَتْ دُمُوعُكَ عَلَى  
وَجَنَاتِ قَلْبِكَ الْمُحْتَرَقَةِ، أَوْ سَيَّطَرَتْ جَاذِبِيَّةُ الْحُزْنِ عَلَى مَشَاعِرِكَ الْجِيَاثَةِ،  
كَلِمَا بَقِيَتْ بِمُفْرَدِكَ وَحِيداً.. هَجَرْتُكَ مِنْ أَحْبَبْتُ، غَادَرْتُكَ مِنْ قَدَسْتَهُ  
حَوَاسِكَ وَشَعُرْتُ بِأَنَّهُ مَرَّاتُكَ الَّتِي تَنْشُرُ إِلَيْهَا حُبَّكَ، تَسْلُسِلُ أَمَامَهَا  
تَفَاصِيلَ عَشْقِكَ وَتَرْنُو بِابْتِسَامَاتِكَ الْوَتْرِيَّةِ دُونَ زَيْفٍ! بَعْثَرُهُ عِنْدَمَا  
يَمُوتُ الْكَلَامُ عَلَى لِسَانِكَ الْمُرْتَحِفِ، وَتَنْطَفِئُ قُدْرَتُكَ عَلَى فَهْمِ مَشَاعِرِكَ  
الَّتِي تَكَادُ مَعْرَكَتُهَا تَقْضِي عَلَى أَحْشَاءِ عَقْلِكَ، وَكَلِمَا ابْتَسَمْتَ فَالْتَحَقْ  
تَهْتِنُهَا الْمُنْتَدِجُ دَمْعَةٌ تَحْرِقُ بَسْتَانَ قَلْبِكَ وَبَعْدَمَا يَخْذُلُكَ مِنْ وَثَقَتْ بِهِ،  
وَرَحِبَ بِهِ قَلْبِكَ فَتَرِيْعَ عَلَى صَفْتِهِ، فَهَاجَ بِأُمُوجِهِ دَاخِلَكَ دُونَ رَحْمَةٍ مِنْهُ  
حَتَّى أَلْقَاكَ مِنْكَسِراً يَتَنَابَكَ الْأَسَى، وَيَسْتَحُوذُ الضِّيَاعَ عَلَيْكَ فَيَرْحَلُ  
بِابْتِسَامَتِهِ السَّاحِرَةِ مَهْلَلاً أَغَانِي انْتِصَارِهِ عَلَيْكَ، أَقْصَدُ عَلَى عَفْوِيَّتِكَ  
الْمُفْرَطَةِ فِي الْحَيْنِ الَّذِي أَوْدَعْتَهُ قَلْبَكَ وَمَا بِقَلْبِكَ وَمَا يَنْبِضُ بِهِ قَلْبَكَ ثُمَّ  
لِيَقْتُلَكَ وَقَلْبَكَ وَيَعْبُرَ دُونَ مَبَالَاةٍ لِحَسَافَاتِكَ.. وَلَآنُكَ وَفِيَّاسٌ سَتَطْحَنُكَ  
خِيَانَاتِهِمْ، وَلَآنُكَ عَفْوِيَّاسٌ سَيُؤَلِّمُكَ خِذْلَانِهِمْ.. لَا تَخْجَلْ مِنْ كِرَاسِكَ تَدُلُّ  
وَأَفْرِغْ مَا بَدَاخِلَكَ كَلِمَا بَقِيَتْ وَحِيداً مُنْزَوِيَّاً بَيْنَ أَحْضَانِ ظِلَامِكَ. تَحَدَّثْ  
إِلَى أَوْرَاقِكَ عِنْدَمَا تَعْلَنُ ثَقَّتُكَ بِنَفْسِكَ فَقَطْ فَتَفْهَمْ دَرْساً عَلِمَكَ إِيَّاهُ صَانِعُ  
الْخِيَانَاتِ لِيُظَلَّ بِمَذَكْرَتِكَ كَلِمَا حَاوَلْتَ الذَّاكِرَةَ نَسْيَانَهُ عَدْتَ إِلَى حُرُوفِهِ  
وَتَفَاصِيلِهِ وَالْوَصَايَا الَّتِي تَدْسُ نَفْسَهَا بَيْنَ نَصُوصِهِ بِخِيَانَةٍ؛ لِتَقْرَأَهُ. تَقْرَأَهُ

كي تفهمه مرة أخرى كي لا تقترف الخطأ ذاته.. ثم قل لقلبك: أفهمت  
 الدرس، أم أعيد شرحه؟! انثره عندما يخونك تعبير لسانك، تُبْهت  
 لغتك، تتسنى للتحرُّر مشاعرك التي تعاتبك بحيرتها وحسرتها وبضيق:  
 (لقد أهدرت بي لمن لا يستحقون) إلا أنها تترقرق دموعاً تائهات،  
 والحروف تشعر بارتعاش حنين، توذُّ لو بإمكانها معانقة بعضها، أي عناق  
 وعواصف الشوق ساحقة بل ترغبُ العثور على ملاذ يحتويها، فيتبلور  
 الملاذ في صرخة احتواء قد يباغتك بها قلبك. قلبك الذي لم يبقَ سواه  
 حوزتك، لم يرحل كما فعلوا، لم يهيمن ألمه على أسطورة أُناتك التي قد  
 أصبحت رفاتاً تحت رحمة الدموع.. أعلن ألمك، حزنك، وآهاتك  
 الراقصة على مسرح الصفحات بكبرياء وألم عاصف، اكتبهم واحفظهم  
 رموزاً موسيقية مقطوعة يستحال نسيانها، أما الموسيقى كالهروب  
 الأمثل! ذعراً.. لا نودُّ رؤيتهم آونة أخرى. الأخرى التي قد ربما تهدينا  
 المنية حتى نبقي جثثاً ثقيلة تعبر في الحياة بلا روح.. أخرج ما يضايقك،  
 أطلت في ذلك أم لم تطل كور تلك الكلمات، بل تلك الأسماء  
 والذكريات، وعوّل بقية الأمر للرياح كي تجرّها إلى ضفة النسيان..  
 إرْصُدك جيداً.. كلما عجزوا عن ترجمتك، تصمت فيتسائلون تعليل  
 صمتك، ولم الكلام طالما لم تفهموا؟ أوليس الصمت خير ترجمان؟! أولم  
 تقصّ عيناى الذابلتان أحداث الألم؟! أولم تفصح آهاتي عن الأسرار التي  
 تفتشون عنها؟! ألم أخبركم من قبل أنني أعاني؟! حزينٌ، مكسورٌ،

مخذولٌ، بائسٌ جداً.. نعم هذا صحيح.. لم أعد أرغب التحدُّث، لا المجاملات، لا التجاوز، لا مزيد من الاستمرار، لا مزيد من خطة إغماض العينين لتفادي الصراخ أنا فيضانٌ مشبَّعٌ بالبكاء يا سادة.. غادروني كي لا أُغرقكم معي بعدما أنفجر.. لُطفاً!! مهلاً أعتذر.. جوفي مصابٌ بصداع الشتات قلبي يُخفق بشراسة، تغادرهم فتلوذ إلى شاطئٍ يسمعك، يصغي إليك، يواسيك ويعانقك، يخلخل فؤادك المتبول بالهرم. تتسائل الدموع: تسرف بي لماذا، ويعاتب القمر بانعكاس ائتلاقه على عوارض بحر تعلوه السكينه: لا يليق بك السكوت.. وكأنَّه مرآة عكست جُلماً بالفؤاد من كلام، وكأنَّه مكبِّرات صوت تشلُّ نبضات قلبك باحتفال الأمواج، حيث ترى أذلاق المياه تأتي وتعود، تشكو إليها: آه كم تشبهين حظي.. تغمر قدميك ببرودة غارقة في التحسُّف، تشبه تعاسة الحكايات التي قصَّتها هواجس العاشقين العالقين في مأزق مشاعرهم ذات ليلة مجنونة مُحَاكة بالهزل! لعلها تطفئ لهيب قلبك المشتعل، بينما الصداع حوزتك يتناول قهوة الاستفهام، وبخار شفقتها على بؤسك يتعالى فيتبخر ورائحة البحر كباقة وردٍ، تتذكره ذات يومٍ أهدي إليك (منهم) عجباً كيف أصبحوا من أولي الضمائر الغائبة، لذا اكتبهم ثم مزق تفاصيلهم واجعلهم غائبين لغةً ووجوداً كما فعلوا، وارم بهم من ضفة نهر سقمك، ثم غادر شرفتك، ولكن في طريقك: إياك ونسيان ارتداء عمامة اللامبالاة، أضرار الانكسار إياك وتركها مؤاربة، إياك تنسى مظلة

النسيان مغلقة بين كفيك المرتعشين، بل واربها واحمِ قلبك من غرق الألم  
والشوق كي لا تصلهم أخباراً عنك بأنك قد هُزمت، بل ما زلت صامداً،  
ولم يكسر ك شيئاً قطّ..

### p. m 59:10

لا عناق كعناقات الحروف لبعضها، أقصد الحروف المتناثرة من أنين  
قلب إلى آخر، أقصد التنهيدات التي يدسها المرء بين أصلاب الكلمة،  
وما أدراك ما الكلمة: حرفان مشاغبان في شرح الأسي.. حاءٌ تئنّ وتبكي،  
باءٌ تحنّ وتشكي ثم تقافي حيرتها بحسرة قصوى. لكنها كأضعافها إن كان  
القلب يزفرها بكلفة وما أدراك ما الكلفة: بكاءٌ يدسُّ أسرارها بين جحور  
الكتمان. الكتمان: ثاقبُ الروح.. هالكُ الذاكرة.



لن تجد غير العُزلة كمهربٍ، كماوى لا مثيل له.. وحدها العُزلة  
تصغي إلينا، لأننا حينها نختل بصوتنا، بماهيتنا، بأنفسنا، لا نختلطُ  
بالساذجين، ولا نرغمُ على تحمل الكثير من اللاشيء، أو تغاضي الكثير  
من ارتكاب ما يؤذينا ويتسبب في إضافة وجع إلى أوجاعنا!!





## رُبَّما الاكتفاء دواء..

يقول شارلز بوكوفسكي: تعود أن تكتفي بنفسك، إنك في زمن  
المزاجية والاستغناء بسهولة!

وللحظة تجد بأنك سوف تجيد الهروب عنهم بعدما تشبَّث بهم كثيراً  
وخشيت صافرة الفراق، تتناز ما يخصهم من حديث، وما يتعلق بهم من  
تفاصيل، وما ينسب إليهم من عناوين لم تعد تعني لك شيئاً.. وترفض  
أن تصبح في آخر الرفِّ ككتاب مهمَّش لا أهمية له في حياتهم. فتكتفي  
بعلاقة واحدة تكون مع القمر، وتكتفي بحب واحد يكون مع القهوة،  
وتكتفي بحديث خاص يكون مع القلم وتكتفي بعناقٍ فريد تجده في  
حضن جزء من قصيدة أو نصٍّ من كتاب!.. إن آخر ما ستأوي له هو  
اكتفائك بنفسك، بدموعك، بعزلتك بحروفك، بأوراقك، بقهوتك،  
بعتمتك، بسيرك، بشتاتك، وأينك، وتيهك بين أروقة حزنك. ستدرك  
أخيراً بأن أشياءك التي تكثر الحزن في قلبك هي الأصدقاء الذين لم  
يكونوا ليتركوك وحيداً قطّ. ستدرك أن الانتظار لقدمهم ذللاً،  
والانتظار لأن يفكروا بك ذللاً أعظم. ستؤمن في آخر مشوارك المُبهم أن  
ظلك هو الوحيد الذي بقيَ معك حتى وأنت في عالمك البعيد الفارغ.  
ستكتفي بنافذتك، وحيطانك، وقمرك، ونجومك، وشمسك، ورياحك

وشمعتك، ومنضدتك، وقلمك، وتنهيداتك، ودموعك بعد أن تصبح  
موسماً من الهطول المتدفق دفعة واحدة!

ستغابر شعورك بالحاجة القصوى إليهم، وتحاول فعل ماتمناه  
بمفردك، رافضاً لجوئك لمكالمة هاتفية أو توجّهك إلى كتابة رسالة ورقية  
ليأتيك من عينك.. ستعاتبُ ساعي البريد بعد تفتّحك وإدراكك، لم كان  
يأخذ رسائلك الألف إليهم، لم لم يخبرك يوماً بأن الوقت لم يعد يسعهم  
لقراءة العتابات والتوسّلات للإتيان والنداءات الغارقة بالدموع.. فكن  
مكتفياً بنفسك، مشاعرهم شفاقة حدّ الخيانة، سيمولونك يوماً حبّاً،  
ويلحنونك يوماً مقطوعة عابرة! تعلّم كيف تكتفي بنفسك فلا أحد يدوم  
لأحد، فإن اكتفيت بها لن يؤلمك رحيل العابرين، ولن يطعنك غدر  
الخائنين، ولن يخذلك اعتراف الكاذبين، ولن تهزمك تلويحة الرّاحلين..  
الاكتفاء بك يعني: أن تبتلع غصتك، وعتابك دون أن يكتشفوا مدى  
تأثّرك بقسوتهم بك، ألا تخشى عبور أحد، أو يهشمك غياب أحد، وألاً  
تبالي لامبالاتهم لك، أو تخلد طويلاً بين متاهات الانطواء والهرب  
بسببهم.. أومئ لهم باكتفائك وودّع انكسارك معهم خلسة، أومئ لهم  
بتضاؤل حزنك، أخبرهم أن رحيلهم وعودتهم سواء، فلا رحيل  
سيكسرُك، ولا عودة ستغيّر من وقارك شيئاً.. أن تحبّك بقلبك،  
وتواجههم قائلاً: أنى نكتفي، وأنى بالاكتفاء اكتفينا.. سيكتفون عنك،

فيعبرون، فيلوّحون بالرحيل، وعندما يكتفون عنهم أولئك الذين اكتفوا بهم عنك، يعودون:

- إِنَّا عُدْنَا..

- وَإِنَّا اكْتَفَيْنَا..

- كَمَا فَعَلْنَا؟

- تَمَامًا فَأَكْثَر

## الله فقط

سيسمع ما لم تستطع التحدث به، ويفهم ما لم يفهمه الآخرون عنك، ويربّت على قلبك إن ضاقت بها الدنيا، وهزّها حزن لا يذر في القلب ركنًا إلّا وأوجعه.. وحين تنجرف المآسي دفعةً واحدة، يحدثك الله من خلالها كم هو: يحبّك؛ لأنه إذا أحبّ عبداً ابتلاه، لأنك عبده الضعيف وهو ربك القوي، لأنك عبده الفقير وهو ربك الغني، لأنك البائس وهو الرحمن الرحيم.. ولا تنسَ بأن الله يحبّ سماع كلمة (يارب) فكررها دائماً، في لحظات بهجتك وتعاستك، حزنك أو سعادتك، حذارى أن تنساه كي لا ينسبك نفسك كما قال جل جلاله في سورة الحشر ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.. وحده رب العالمين سيبدّد أحزانك، فبئها إليه شاكياً متضرّعا حتى تجهش انشراحاً مطلقاً.. إلى ربك فقط: اشرح ضيقتك فقد اكتفى يعقوب بربه، حينما حنّ إلى يوسف وأكل قلبه الاشتياق واللهفة لرائحة فلذة كبده، وحينما ابتلع الحوت يونس أنجاه الله من ظلمة أخافت قلبه وهيمنت عليه بالكثير من الارتعاب، وحينما أحيط بموسى بين البحر وفرعون ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.. وهب لذكرياً يحى وقد بلغ من العمر عتياً، أنجا من البحر لوطاً ومن آمن مع لوط وأغرق الفاسقين فقط.. إن الله لن ينساك يوماً إن نسيتك البشر وإن اكتفيت بحبه في قلبك لن يؤلمك من عبّر

مكتفياً.. لا تقنط من رحمته، حتى وإن اعتصرتك أحزانك بقسوة فالله أقرب من كل شيء. أنا عبدك الذي يخشى أن ينسلك وقت الرخاء ولا يهرع إليك إلا في الشدائد يا الله..

### صاحب التعاسة..

في هذه القرية أنا الكائن الرمادي، صاحب التعاسة وقائد التائهين.. أستعيد بشاشتي، كيف؟ أشعر بالوحدة، لماذا؟ أجتاز مطبات الحنين، متى؟ خلاصي من البؤس، أين؟ سبب انطفائي، من؟ عجلة الاستفهامات تبرحني تيهاً، ورحلة اختناقي تبدو شاقة وطويلة المدى، هذه الأماكن لم تعد تتسع لأنفاسي، وهذه القرية تضيق عليّ، أصدقاءنا، عجباً كم أوجعتنا خيباتكم، نتقد نحن في مدفأة الحسرات.. هل نستحق الخذلان.. لماذا؟ فعلنا بحقكم.. ماذا؟ بالله لا تنبتوا الضياع في أرض الذاكرة، أعيدوا إلينا قلوبنا، مشاعرنا، وأحاسيسنا، أحلامنا وما تخيلنا! حيرتي تراود انشراحي، تراود لهفتي للوصول إلى شقّ اعتراف، محض تنهيدة قد تداعب عنوتي.. يا الله، كيف أستطيع الانتشال: من هذه الأيام الثقالة.. مشاعري في هذه اللحظة، تقنعني بأنه لا مفر من العبارة التي قالها إميل سيوران: الحزن شهية لا تشبعها أي مصيبة.



a. m 00 :7

الحزن هو أن تحزن مع حزنك وتبقيا بمفردكما دون مواساة من طرفٍ  
ثالث، وتحاول في إقناعه بأنك على مايرام هو فقط المصاب بفيروس  
الأسى، وتحذثه عن ماضيك وأنت تضحك ودموعك الأدلة المبرهنة كم  
أنك تبدو أشد منه حزناً، تنام على إحدى فخذيه مستسلماً بأرق، مُعترفاً  
بأنك متعباً، تشعر بالوحدة تارة والحرية تارة أخرى.. بالأولى لأنك  
مازلت مملوءاً بالبكاء، والثانية لأنك انتشلت نفسك من عناء المشاق التي  
اقترفها بحقك أقرب أحببتك.

\*\*\*

لم يعاقبونا يوماً عندما كنّا صغاراً كلّمنا أسأنا إلى أنفسنا، لم يحثونا كثيراً  
على حبّ أنفسنا، لم يخبرونا أننا جواهرٌ ثمينةٌ للغاية، لم يمنعونا من بعض  
الأشياء لنكف عن الاستياء، لم يقولوا: كونوا على استعدادٍ لتلقي ضربات  
الحياة، لم يصوّبوا ما اقترفناه غالباً من أخطاء بل كانوا يبرحونا ضرباً،  
وكلما تذكرتُ بأننا كنا نُخرس كي نكفّ عن البكاء في اللحظة التي نُبرحُ  
فيها ضرباً، شعرتُ بأن هذا العالم يضيق عليّ من شرقه حتى غربه، من  
الجنوب حتى الشمال، وتساءلتُ باستياء تُرى كيف قاومنا كل تلك الآلام  
دون بكاء.. ربما لهذا نحن نجيد مقاومة أوجاعنا هذه بصمت..

\*\*\*

### عندما لا نبالي..

سوف نستطيع اجتياز كل شيء، ونسيان الذكريات إلى الأزل،  
وتجاوز المواقف اللامتناغمين معها بهدوء. الحياة لا تخلو من الحمقى،  
وأيضاً هي لا تخلو من العباقرة الذي يستطيعون التعلُّم من صُدف تلك  
الحماقات، وإذ أوافق فريدريك نيتشه عندما قال: اللامبالاة هي شكل من  
أشكال القوة، وقال أيضاً: لا تبالي، فاللامبالاة تغنيك عن كثير من  
المتاعب.

لذا فالحياة بحاجة إلى الكثير منها للعيش بنجاحٍ روحيٍّ لا تلوّثه نقطة  
ألمٍ عابر.. بحاجة إلى التفكير في القادم ليصبح الأمس مذكرة قديمة.. كي  
نستطيع وضعه في ملف المهملات.. ويصبح من أسخف ما قد نفكر به!

\*\*\*



اعتراف (1)

نسيْتُ بعضي على مرسى الحكاية، وحين أيقنْتُ بأن جزءاً تبَقَّى على  
قيد الحديث، عبرتُ دون العودة إلى ذلك البعض المُنادي، ودَدْتُ أن  
يَنتهي كل شيء على ضفة بكاء، ولكنَّ حكايات أخرى بدأت تتلو  
مآسيها!

## أُمْسِيَّة (1)

ما كنتُ أعتقد بأن الحياة تجيد تقمص القسوة أحياناً كحيننا تحاول أن تنسى فلا تستطيع، ثم تصبح أسوة لأولي الحزن، والضيق، والانهيار.. تتأوّد بين تراكمات الماضي، ومذكرات ذاكرة هشة يتصاقل هرمها بين الحين والآخر. تخشى الحنين، تخشى الشوق، تخشى اللقاء، تخشى كل شيء، وتفكر طويلاً عما إذا لو عدت طفلاً كأن تعيش دور الطفولة من جديد، تتأرجح وقهقهاتك تعم المكان، وسنابل من الحياة البهية خلفك تداعب تياراً رناناً، لا أن تتأرجح فوق أرجوحة من الخيبة، وصوتها وحيد، ومبسمها غريب بمدينة غريبة لا يسكنها الأوفياء! تكون بحاجة قصوى إلى شيء من السكون، من الهدوء، من الشعور بالحياة حق الشعور، بحاجة إلى جميع تلك الأشياء من أجل قلب يصرخ كطفل بمنتصف الليل، وذاكرة تئن كمتسول بين أرصفة الاستياء مساءً.. هادئ هذا المساء، مليء بالكثير من العبرات، يعتريه الذبول كبستان وسط مدينة مهجورة توسد سكانها داء الاختناق، وترفرف راية المستحيل فوق هامة صمتك، بعد معركة شتتها ذاكرتك ضد قلب لا يفكر بالنسيان. تقول في آخر مطافك بمناهة متكدّرة: ما أمرّها لحظة الخنوع لنداءات القلب.. ما أقسى عتاب الذاكرة كلما نامت مكتظة بالكثير من الدموع، ما أثقل التهديدات كلما تسرّب المساء!

## عندما تبتسم!

ترتديها فقط كقناع مُستعار، وما خلف ذلك القناع قصص بائسة  
 رصدتها أوجاعك القديمة التي رافقتك حتى هذه اللحظة المحفوفة  
 بدعابات الألم، تدليها على ضفة ملامحك التي ماتت منذ زمن دون أن  
 يعزيها أحد، تبتسم وكأنها صخرة على شفاhek وضعتها مجهول عابر. أفهم  
 عليك جيداً، لا يوجد ما هو أقسى من أن تبتسم وقلبك في الداخل قد  
 قصمه البؤس إلى شطرين: شطرٌ يروي قصة الانكسار، وشرطٌ يدونها  
 بمرارة. معنى أن تحبس كل الآمل في تمويهات مجاملاتك وتجاوزك، أن  
 تحاول في إقناع قلبك: سوف يكون يوم الغد أفضل والماضي ربح  
 ستمضي.. ثم ليتذمر منك، ويتخلص منك، ويتتابه اليأس منك لتأوي  
 إلى ركنٍ آخر كالعقل "ربما"... هُناك قصص لم يقرأها عنك أحد، لأنك  
 ربما خبأتها بين دفتي قلبك فقط، خبأتها بين نصوصك الحزينة جيداً  
 الحزينة التي قد تحاول جاهداً بالأ تبيديها للآخرين خلصة، وهُناك مواقف  
 قد تتفادها منسججاً بعدما تختتم حوارها بابتسامة صفراء، مواقف لطالما  
 أنجبتك كثيراً وغرقت في صقيعها بمفردك طيلة الأمسيات التي مرت  
 مروراً مؤذياً.. وهُناك أشياء قد تود البوح بها لكنك سرعان ما تعيدها إلى  
 داخلك كلما همّ لسانك في إفشاءها تتراجع إلى الوراء فتغادر بهدوء  
 ثقيل.. هناك اعترافات قد تجول بشتات بين الحين والآخر في قلبك،  
 لكنها فقط تجول في الداخل.. مقيدة بأغلال أفكارك! قد تجد نفسك

أحياناً مرغماً بالكثير من الضحك وأنت منهمك بالكثير من البكاء في الداخل، تضحك؛ كي لا يتصر عليك أعداؤك كأن يسرقوا من خارطة وجهك دليلاً صغيراً يوحي بأنك حزينٌ، أو قد تجد نفسك تبتسم وقلبك قد اعترته جُلّ ملامح اليأس ثم لا تدري هل أنت ترتدي هذا القناع المستعار خشيّةً من شماتة الحياة، أم أهل الحياة.. قد تُعد هدية مرتبة أنيقة، ترتدي ملابساً كروعتك، ثم تذهب متحفظاً الكثير من الجمل كالأم التي تحفظ ابنها قاعدة في اللغة العربية، وما أصعب قواعد الحياة وأقسى من التعامل معهم خلالها، نتعامل معهم بالقواعد يتعاملون معنا بهمشية لا تعترف بالقواعد! تصعقنا اكتشافاتهم التي لم نتوقعها يوماً، لم يخبرونا عنها بالأحرى.. تماماً كما قال زيغ زيجل: (تذكر دائماً، أنت لا تعرف عن الآخرين غير الذي سمحوا لك بمعرفته عنهم). تسلسل لقلبك الكثير من الكلمات الندية، تشتري باقة ورد وتنتظر بحماس وخوف، بشوق وقلق.. ليأتيك لامبالياً: لورودك، لعطرك، لهندامك، يستفتح حديثه ويختمه بين ثمة أحرف غ: انتهى كل شيء.. ثم ليغادر: باكياً، أو بالياً، أو لا مبالياً يأتيك بقسوة، يغادر بكسوة. الجدير بأنك سوف تبحر لوهلة غير مستوعب لما حدث قبل دقيقة مرت كعام مرّ.. تغادر أنت أيضاً جثة بلا روح ربما بقيت تلك الروح على نفس المقعد ورائك بعدما غادرته أو أنها قد ركضت خلف من تسبب في بكاء قلبك لتسأله: أأنت على حق، أم تمزح! وثم توشم الابتسامة المزيفة على فاهك، تحو المشاعر من

قلبك، تواصل بقية العمر شخصاً هادئاً لم يعد يستدر للخلف أبداً، تمضي هادئاً مصارعاً تلك الذكريات، الأحداث والأحزان بمفردك، لا شيء آخر سوف يشاطرك مرارتها، سوى الصراع الذي سوف يحل بينك ونفسك.

### p. m 30:9

عندما ترى شخصاً يضحك بإفراط، تأكد بأن الحياة قد أوجعت قلبه كثيراً، إذ يحاول إبراز كبريائه أمام سخريتها لكيلا يتتابه أمامها ذُلًا، اعلم حينها بأنه يعاني كثيراً، لكن كبريائه لا يسمح له أن يشرح قصة معاناته..



العزلة ليست أن تكون وحيداً بين جدران أربعة، إنما هي أن تشعر بذلك ما إن تغادر تلك الجدران الأربعة، وترتطم بالكثير من الأكتاف بين الجموع، الكثير من الأصوات، الضحكات الصاخبة، الأنفاس المتهالكة، والوجوه البائسة. هل كنت تظن بأنك يجب أن تكون لوحذك كي تشعر بالعزلة!؟



### ما تبقى من بقايا..

للأوراق لحن في جزء من قصيدة ترنّمت بها أنغام مكسوة بالكثير من الأفكار والتراكبات، ومن يحمل بين بنانه قلماً فكأنها يملك مشاعر العالم وأسراره التي يخفيها بين دهاليز العبور، لذا قد نلوذ إليها كلما سئمنا من محاولات التعبير لمن هم حولنا، ثم لا يدركون مدى غرقنا في دواخلنا، فنصمت في النهاية، وكما قال غسان كنفاني: (الصمت لا يعني القبول دائماً، أحياناً يعني بأننا قد تعبنا من التفسير).. للأوراق لحن: ندسّ بين أحضانها ما تبقى من بقايا..

## أَنْتِ مُلْكَةُ!

مرحباً، يا نجمة تجوب في روح السماء، قمر اثني عشر أنْتِ، حورية  
تجبل منها الحروف الثمانية والعشرين.. هيا معي تحت الربيع، نصادف  
الفصول، ونعزف تحت عناقات المطر اجلبي الأحلام معكِ، سنهرب إلى  
عالم الدفء الجميل، سنرقد تحت سقيفة الحكاية، سنغفو والأغنية: على  
متن الشفاء.. إِيَّاكِ يوماً تحزني أو تشعري بالبأس من هذا الزمان، كل  
اللواتي كتب الرجال إليهنّ، تراقصن على عفر الوجع ولا تكدركِ  
إهداءات الكتب في أول الصفحات، فتلك أقتعة الذئاب، أو تعقدي  
حاجبيكِ أسفاً حين تبسط الورود أجنحتها فتطير إلى نوافذ العاشقين  
فتلك أيام ستبلغها مواسمٌ عجاف، وإِيَّاكِ تنتظرين حباً من أحد فلتحبّكِ  
بما فيكِ.. أحلامكِ حذارٍ تتخلي عنها مهما صفعتكِ إكتراثات الحياة، بما  
فيكِ من أملٍ اسحقي اليأس وافترسي المآسي، وحين تجثو المشاعر خائبة  
عانقها بودٌ منك لا يميته بؤساً، وغنيّ الحلم بصوت عالٍ، وأخرسي  
الأحزان إجحافاً، وحين تغزوكِ الدموع لودي إلى خطّ العبور، وحين  
تُهمّشين عمداً غادري دون عودة يسيرة، وحين تركلكِ الحياة: انهضي  
رافضة مهزلة الضعف. قوِيَّةٌ أَنْتِ كصخرة أنجبتها قسوة الحياة، لديكِ  
الحصى فأبرحي الأحزان عنفاً، لا تعقدي معها صلح الولاء، قوِيَّةٌ، لا  
شوق سيهزمكِ، ولا حنين سيرغمكِ البكاء، لا حُبَّ سيضعفكِ، ولا  
فراق سيكثرث العناء، جوريّة ياللزكاء في رحيقكِ كيف يقتلع الشقاء.



حلّقي على صفحة الأحلام، فتلك أجنحتك سترصد حكايات من القوة  
ترويها الأجيال على منبر الفخر بك، لا تطأي بقدميك على عبق الرمال  
قبل أن تصبحي غيمة تمطر بالنجاحات، وتغزو قحط الحياة، فتملاً  
الأماكن بالمعنى الأجل للحياة.. بما فيك من الحبّ الرقيق أنجبي الودّ  
فالعالم بحاجة إلى ودك ليعيش بسلام.. سلامٌ عليك ورقتك وصمتك  
وقلبك، وشكراً لأنك في الحياة، وشكراً لأنك معنى الحياة، وشكراً لأنك  
كل الحياة، فكيف الحياة ستغدو دون جلالتك، يخيّل إليّ: قصة هزلية  
مثيرة للملل.. للتعاسة والخمول! ومن قال بأنك عبء على عاتق الحياة  
فالحياة في خطر لأنه فيها. ما أروعك حين تستيقظين صباحاً تعانقين خفة  
الطيور بدفء ابتسامة وتروين قصة نجاح أمام رغوة قهوة ثم تشعر  
بالتفاخر كثيراً أن عانقت شفاهاك، ما أروعك يا ابنة الجمال وأوتنة الرّبي،  
محبوكة بفيض حبّ، فيا لفخر أبليك بك أميرته المدلّلة، يا لعشق أمك لك  
كيف يكبر كل يوم! وعن حكاية النغم في صوتك، فلا نكهة في الصباح  
دونها.. الله! كم أنت عظيمة قارئة كتب، تغوصين بين أعماق الاطلاع،  
وتذكري بأن المستقبل أصبح لا يتكئ إلا عليك فالرجال باتوا على حافة  
الانقراض! ابتسمي، فأنت عبق النهار، ضوء المساء، وتحفة الأماكن..  
أرايت هذا العالم بوسعه، مظلمٌ دونك سخيفٌ لا قيمة له فابتسمي.. أنت  
ملكة!

p. m 2:10

تشبه الحرب لعبة الغُمِيضة، بمجرد أن تغمض عينيك على خُصرة الأرض وزُرقة السماء، تفتحها على حُمة الأرض وسواد السماء.. تتهيأ للموت المُفترس بأي لحظة، وتركض من هنا إلى هناك لتحقيق حلمك وكأنه يومك الأخير، إذا وضعت رأسك على الوسادة تقول قد أستيقظ وأنا تحت الانقراض وربما قد تخنقني الأعمدة التي ستنهال فوقني ولا أستيقظ، وحين تُشرق الشمس تقول قد تمرُّ شظية وتبر عمرى، وتحرقني، وتنسفني قبل مجيء الليل.. نحن نحتضر كل يوم لأنّها حرب، والحرب عزرائيل.. تلاحق الروح حتى تقبض عليها!

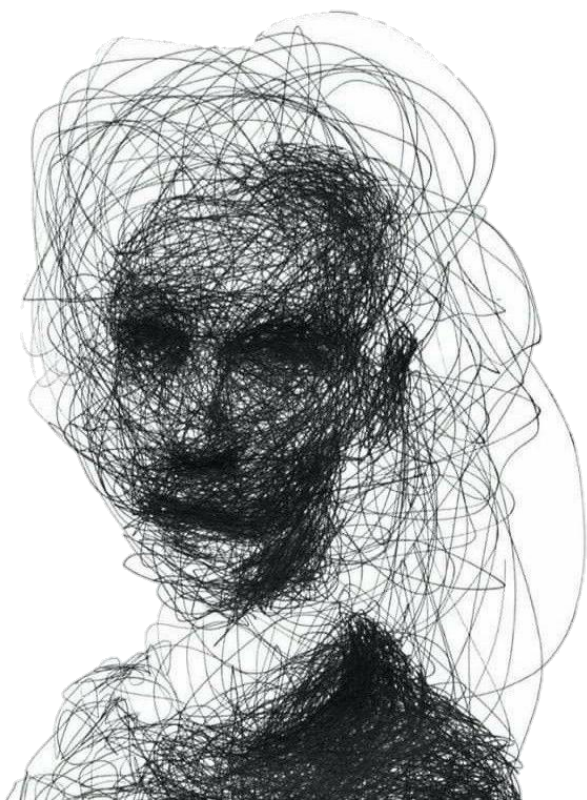
\*\*\*

محملٌ بالكثير من الوحدة، أشعر بأنني مهزومٌ لا أقوى على المحاربة ونيل الانتصار.. أينهم عندما قالوا ذات لقاء: إن حاولت الحياة أن توقعك نحنُ عصاك فلتتكى علينا، وإن حلَّ على قلبك موسم الأوجاع نحنُ مناديل دموعك فابك حتى تستكن، وإن التهمتكَ مآسيك بشراهة، نحن من سنداهم شعورك بالوحدة ونستأصلك من بقاع تيهك.. نحنُ فقط.. ربّما تحقّق ما قرأته لماكس لوكادو عندما قال: (سيشعر أقرب الناس إليك بالملل من إظهارك لمشاعر الحزن والتعاسة بصورة مستمرة، وسيتركونك وحيداً حتى وإن وعدوك بأنهم لن يفعلوا ذلك يوماً).

## أحاديثنا المكتومة

ونصو صنا المخبئة بين أدراج المطر، خواطرنا الشابة، ومقاعدنا الهشة  
في بستان القلب الذي مات من يسقيه إن توغّل في العطش، أمانينا النائمة  
تحت الأسرّة بخوف، وضحكاتنا الرنانة الملفوفة في خرقة من حرب،  
جميعها علّقت على مشنقة القصاص، توانت المصطبة التي تدلّت عليها  
بتدرج لتُقصّ كمن أحكموا من قبل ظلماً.. لم يأت من يثبت براءتها..

\*\*\*



## عقوق ذاكرة

عندما قلتِ عزيزتي عادة السَّمان: إنّ الذاكرة والألم توأمان، لا تستطيع قتل الألم دون سحق الذاكرة.

كيف بإمكانني تنفيذ الثانية طالما الأولى تشرّحني ما بين كل عشية وضحاها. أنا أيضاً أريد أن تصبح لديّ ذاكرة طائعة، والمؤسف أنها عاقّة لهذا القلب المتعب يوماً تلو يوم.. حيث أقول: يجب أن تنسي فتأبى، يجب أن تتجاوزي فتأبى، يجب أن تناسي فتأبى، أريد أن أصبح حرة فتأبى، أريد أن أستيقظ من بين ظلمات الذكريات وهمهمات الماضي فتأبى.. تأبى كل شيء دائماً. أنا أيضاً أيتها الأمهات أريد ذاكرة طائعة كما تردن أولاداً طائعين، أريد ذاكرة جديدة، قلباً جديداً، مشاعراً جديدة.. سئمتُ من جميع الأشياء المرتبطة بالماضي، حتى أنا الماضية لم أعد أريدها أبداً، مللتُ منّي للغاية حدّ الاستغناء، إلّا أن ألمي ساذج فهو لم يستغن عني يوماً! وأتمّها يوسف إدريس حين قال: أبشع أنواع الملل. الملل من شيء لا تستطيع الاستغناء عنه كأن تمل من نفسك.

p. m 19:11

مساء اللّاء وعد لأشياننا الداخلية وأحاديثنا الخجلة، مساء اللّاء تناسق  
واللّاء تنغم مع ثرثرات الحياة، مساء الخير أيّها البعيد الذي لم تفكّر في  
الإتيان يوماً حتى وإن كنت كعابر كوني مريضاً أصارع حرقتي هنا  
وحدي، أخبرني يوماً بأن ذلك مستحيلاً أن أبقى وحيداً طالما أنت على  
قيد الحياة، وهذه إحدى أكذوباتك التي خُددت بها كالعادة وصنّت  
عهدها بصفاءٍ مُطلق.. لا أدري إن كان هناك ما أملكه فأبقيك مهوًى على  
حافة الحياة لا أنت من الأحياء ولا أنت من الأموات، كان عليك أن تأتي  
وتخبرني عن كل شيء أهان قلبك وأوجعك كي نبسط أكفّنا وندعو الله  
معاً.. أن تبكي بصوت عالٍ وتبعثر كل ما تشعر به دون خشية من أي  
شيء في الحياة، أنسيت ما قلناه لبعضنا يوماً (لا خشية من شيء ونحن معاً)  
انفصلت من ضمير نحن، أنا لوحدي، أنت لوحده غادرت بمفردك  
تصارع خشياتك وحيداً، لا تعليل لانسحابك الجامد، ولا مبرهن  
لهروبك المباغت.. إنني وإياك تحت سماء واحدة الآن، فانظر إلى ذلك  
القمر الذي أوصيه فيك، وأتوسّل إليه أن ينير وجهتك المعتمة، ويبلغك  
مأمّنك وانشرحك.. عمت سلاماً..

\*\*\*

اعتني بي يا أنا، فلستُ على ما يرام، ابقني هنا بجانبني، ضعني الكمادات على فؤادي الذي يتقد حزناً، قولي: (ستمُرُّ كالعادة)، حدّثيني عمّا سأفعله في مقبل الأيام، لا تُشعّرني بالتعب، أو تقولي حالتك تزداد سوءاً، أو أنت على وشك الاحتضار، بل عانقيني بدفء، وقدمي الكثير من النصّح والإرشادات التي يجب عليّ تنفيذها بعد مرور هذه الساعات الثقيلة.. هل أنتِ تسمعينني يا أنا، أم أنكِ نائمة؟

\*\*\*

### مرحلة النضج بعد وعكات الضربات

يقول الفيلسوف الروسي دوستويفسكي: ستصل يوماً للنضج الذي يجعلك ترفض التعلق بعلاقة مؤقتة، أو صداقة بإرادة، أو جدال أحق، أو التعلق بالزائفين.

تعرّضنا للكثير من الآلام قبل أن نستسلم لتلك المرحلة قاتلنا مشاعرنا، وحُشرنا في زاوية تغدق بالوحشة، أتنقنا لعبة الهروب، وفشلنا في مهمة النسيان أكثر من مرة، أعرّتنا تشوشات الماضي كلما غنتها الذاكرة، وقامت بابتلاع هواجسنا إلى عمق السراب، حفرت الدّموع الكثير من الخنادق تحت عيوننا، وحُضنا حروباً لا نقوى عليها، وتلقينا للكثير من اللكمات حتى تضاءلت قدرتنا على المقاومة.. لقد أوجعونا أولئك الزائفين كثيراً ولكننا بفضلهم قفزنا إلى غيمة بعيدة، لنرى كل من حولنا بعين المنطق لا بعين العاطفة. يجدر بي القول بأننا ممتنون لهم كثيراً..

## هَيَّا لِنَبِكِ

أَنْ تَبْكِي فذلِكَ يعني هناك ضمير حيٍّ في داخلِك، شهم الأصلالة ومفعمٌ بالمشاعر الرقيقة أنت، كيباض الثلج ومبسم اللؤلؤ قلبك. إِنَّ الأشخاص الذين يَبْكون لأي موقف، وحدهم قلوبهم جميلة، نقية، رقيقة لا تحب فقدان أحد ولا قهر أحد. الأحد الذين قهروها ثم انتابها منهم الحزن، فغادرتهم بهدوء كيلا يقدرّون ثمنها الباهض إلا بعدما تغلق الأبواب في وجوههم. فابك عندما تخلد إلى التوبة فتبتهل مغفرة الغفور ليغفر لك، لتطفئ دموعك نار قلبك.. فابك كي تخوي كل شيء يبني في قلبك الكثير من الاستياء والشعور بالأسى، تحلق بأجنحة الوقار بين غيوم الانسراح. اذرف، فاذرف، فاذرف، لا تكتبت الحزن داخلِك فيتضخم وتفقّد كل ما تحلمه، وتود الوصول إليه. اجهش كثيراً لكن بمفردك ليس أمامهم سيرفعون رايات الانتصار مكتوب عليها (غلبه الانكسار)، أرايت (غلبه الانكسار) كل من حولك سيحاولون محو دموعك بأناملهم الكاذبة. الكاذبة التي أفسدت كل شيء (رُبَّها).. عندما نبكي فإنّ الدموع وحدها تربّت على أكتاف شهيقنا، لأنّ البكاء وحده يجرنا شطر مداخل الاختفاء لنعبر والسقم وليّ لا يفكر في الزوال.. هناك وديان اعتدنا عليهم في إسقائها، لكنها يبست بعد رحيلهم وأصبحت للاجئين ملاذاً في الهروب. الهروب من أماكن الذكرى وتفاصيل اللقاء التي سنفتقد لها كثيراً (أعلم ذلك) ولكنّ البكاء وحده يستطيع قتل مرارة



ذلك الافتقاد! نبكي كطفلٍ راودته أحلام مُستحيلة التقبُّل من قبل الحياة،  
يتمنى كِسرة من رغيف أو شيء من مأوى أو سعادة أو عناق أمٍ راحلة،  
تعصر قلبه عبرات خانقة، بل جالبة للدمار النفسي. وأمنيات في جوفه  
ماتت حديثاً بعد انتظار طويل، يتسلل برد البكاء إلى جوفه المليء بالكثير  
من الأمنيات المستحيلة في زمن حرب فتّاقة، فلا معطف للأمان لديه ولا  
مظلة تقيه قطرات خوف يبعثرها الظلام على أرصفة الشتاء.. البكاء  
لا يعني ضعفاً، فنحنُ نبكي كي نطمئن، تنهيدة عميقة عبرت كنصلٍ  
انغرس في الفؤاد وقد صادفت عازفاً بالمساء، والمارة التائهين وحدهم  
يضعون النّقود نصب عينيه لأنّهم وحدهم نبشت تلك المقطوعة ما  
بمشاعرهم.. شرحت كل شيء "مخنوق" ..

فهل خُضت تجربة التنهيدة التي وكأنتها جرفت كلّ همومك خارج  
بلدة قلبك!! (أنت تحيا بعد كل مرة تميتك فيها آلامك) فهيّا لنبك..  
وننطلق أحراراً غير مُثقلين بالتراكمات!

\*\*\*



a. m 55:11

ذات مرّة حين عثرت علي، أسردُ همومي، وأسلسل أسباب ضيقتي،  
حينها رفعت يديك إلى السماء تدعو على من تسبب في ذلك.. مؤسفٌ أن  
أبقى اليوم بمفردي، وأنت غائبٌ لأنك لا تستطيع أن تدعو على من  
تسبب في اكتراث التعاسة لي.. لأن المرء لا يدعو على نفسه يا صديقي..

\*\*\*

يستطيع الإنسان أن يكتم قهره في كل شيء إلا عندما يكذب عليه  
أحد (في المشاعر خاصّة).. هُنا يبدأ تدريجياً في خلع قناع العفوية، يتشله  
بقسوة غير معهودة، لا يحبُّ بسهولة، ولا يصدق بسهولة ولا يتغاضى  
بسهولة أو يقع في حُفر الكاذبين بسهولة بعد ذلك. يستنتج من كذبة  
اقترفت بحقه الكثير من الاستنتاجات أولها ليس الجميع صادقين وليس  
كل الألسنة تقول الحقّ!!

\*\*\*

### مراوغات..

للمرة المليون، توجّنا بصرنا إلى الحائط كي لا يلاحظون دمعة سقطت بتسلّل. انسحبنا من بين أحاديث الجموع بهدوء لنهرب إلى الشرفات بحثاً عن مناديل تقوى على مقاومة دموعنا المتدفقة! وحين تساءلوا عن سبب احمرار عيوننا فاوضنا بجزعٍ من تلك الأسئلة ليعلموا بأننا متعبين فقط، ونرغبُ البقاء بمفردنا.. راودتنا الكثير من التناقضات وتغلّب البكاء علينا حتى أثقلنا الوسائد بالدموع، ووددنا لو أن يكتبنا أحد، أو يقرأنا ويشرحنا لأنفسنا التي فشلنا في فهمها.. لكنّ أحداً لم يفعل ذلك أبداً، تركونا في ذاكرة التيه، نتوه لوحدنا..

## ذات هدوء!

بين حيطان أربعة، دموع جارفة، ذكريات تعبر باستمرار في الركن من شرفتك تعد خيالك خيبة خيبة! ومحاولاتك في محو الكثير من الدموع تبوء بالفشل، أو الكثير من الذكريات والشهقات. هدوء في الشرفة وضوء في القلب. يحتويك السرير ويعانقك اللحاف وتشرب الوسادة من عينيك دموع كالطر! في الحين الذي أصبحت هامة لا تشعر بالحياة جراء الدموع المألحة! حتى الوجنتين باتت موشومة بالترهل. الكثير من القصائد قد تدونها روحك الرثة، والحزن من أعماق القصائد، بينما تحشرك الأوزان والقوافي في المنحدر. أوزان الماضي، وقوافي الذكريات، تجهش بين المفردات العميقة.. تجهش طويلاً، والقلب يغرق في الصقيع، والذاكرة تلتف، والروح تنهالك، والنوم ملاذ المستسكين بي أزقة قلوبهم وعقولهم.. في الركن من شرفتك التي يجوبها الظلام، تلتهم مرارتك، وتبلع غصتك وتصفع وجنتك كرة تلو كرة.. وحيد انقرض أصدقاؤك بُرت علاقاتك وتضاءلت قدرتك على مجاملة الحياة أو أهل الحياة أو قسوة الحياة، وبحوزتك، فتيل لا يشعل سراجة سوى صديق الصديق الذي لا يُضاهي: جمالاً، أناقةً، عمقاً وغموضاً، إنه المسمى "قلماً" بينما يلتحف بسترته الجميلة المسماة "كراسة" تروي لهما قصصك ذات الفصول الطويلة وتجذف من مشاعرك ما استطاع لسانك المتشاب تحرير.. صمت طويل وهدوء غريب ونزر من النسائم الباردة تعبر

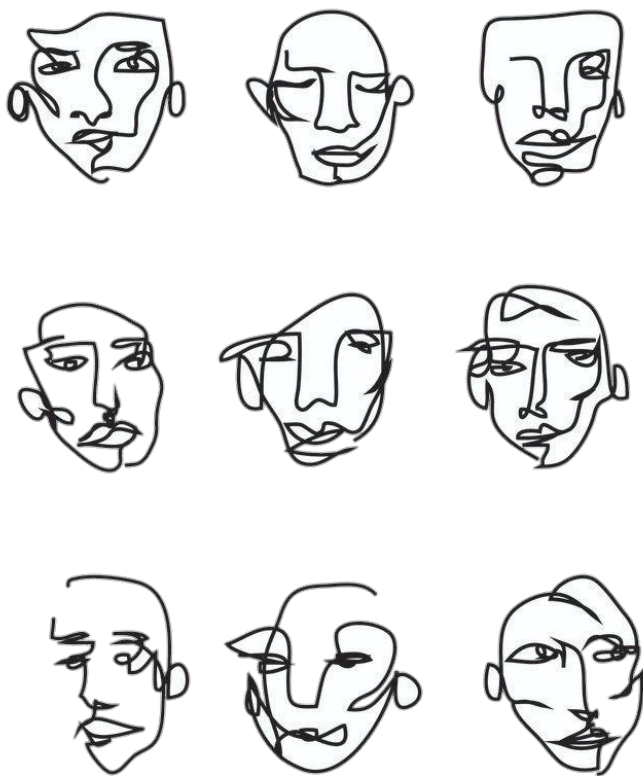
وجتتيك محاولة في مداعبة الصمت الذي ينتاب فاهك (قلبك أحرى)،  
تزدحم الكلمات أمام نافذة النسيج وتنتظر شهقة واحدة كي تتحرر من  
زنزانة الحنجرة. وما أدراك ما السجن، وما أدراك بعتمته، وحيطانه ذات  
الشروخ، وفئرانه المسنة، والسكون الذي يذبحك وينخزك دون أن  
يستوجب لك سجانك! تخاطبك أربعة حيطان منذ التسعينات وقيودك  
عزف مجنون وصراخك لذة يتلذذ بها جلادك وأنيك قهوته، وبكاؤك  
كعكعته ودموعك ماؤه العذب ودُمك شرابه الطازج وتوسلاتك لذيدة  
بالنسبة إليه كقطعة من لحم ضأن لم يرتو من لبن أمه إذ سلبوه منها كما  
سلبوك من أيامك التي كان من المفترض أن تعيشها.. فوضىّ تغتليك،  
وأصوات في داخلك لا تعلم أي صنف من المهمات التي تهمسها  
وتصرخ بها.. هل حقاً كل تلك الأصوات بين أركان هذا القلب  
الصغير؟! الصغير الذي لا يقوى على أثقال الحياة، رحاكم بي أيها الصغار  
الذين تصرخون في ساحة هشاشتي، اهدأوا.. ترتبوا في حديثكم،  
أخبروني ما الذي تودون وتريدون قوله!! (هكذا تعاتب الأصوات في  
داخلك) في شرفتك قد تشعر بالنجاة. بعيداً عن الضوضاء والعالم، تعيش  
من الروقان مع القهوة المرة حوزة القلم المخذول والكراسة الأرملة  
روايات من التراجيديا الطويلة، تخوض مآسيها بمفردك دون أن تشاركها  
الآخرين، فالأحزان لا يتشاركونها كالأفراح غالباً. هكذا هم، يحبونك  
إن توهجت، يهجرونك عندما تصبح معتماً..

يقول أنطون تشيخوف (يجب أن تشعر بأنك وحيد في الغرفة، السعادة الحقيقية مستحيلة بدون الوحدة).

تعيش مع نفسك.. تتبادل معها أحاديثك، تفهم ما تود، ترتب فوضاها، أو تحاول صقلها، شحذها وإعادة هيكلتها، مواساتها، ردم جذرانها الهائلة بالانهيار لعلها تكف عن الميول إلى وجهات الذكريات. قد تركل قلبك في لحظة نفاذ طاقة كتمانك، وتمزق ملابسك، وتحطم اقتناءات الشرفة، وتصفع الحيطان بالمزهريات والتحف، وتصفع نفسك أيضاً، ثم تستسلم للبكاء كطفل أضاع لعبته..

كلما تقدمت في العمر كلما أصبحت بَحْتَك أكثر عبئاً على عاتق الحنجرة، والاختناق ما أسوأه عندما تكابر فنسجن البكاء! والبكاء ما أقساه كلما انتقم من صمتنا..







p. m 45:4

في حقيقة الأمرِ جميعنا لدينا ذلك الاعتياد الراسخ منذ زمن، على أشياء نربط بها تفاصيلنا دوماً، اعتيادنا على احتساء قهوتنا في قَدَحٍ مُعِين، القراءة في وقت مُعِين، الكتابة في أوقات مُعِينة، جرس الساعة الاعتيادي، الإضاءة الاعتيادية، المعطف الاعتيادي، الزاوية الاعتيادية، أشياء نعتاد وجودها ويكون لها الأثر الكبير في أداء مهامنا كما يجب، وما إن يغيب أحدها حتى نشعر بخلل مّا، كما لو أن أُمّاً فقدت إحدى صغارها في الزحام، الأهم من كل ذلك، اعتيادنا على تراصّف كتبنا على الرفّ بالشكل الذي تعودناه، ثم ما إن يغيب أحدها مع صديق استعارها، شعرنا بنقص هائل حتى يعود، ليس الجميع لديهم تشبث بالأشخاص، هناك أشياء غيابها يؤثر سلباً على طريقة ممارستنا لمهامنا..  
أشياء لا أشخاص!

في الرُّكْنِ صورتنا الخرساء واجمة  
والروح من ألم الأحزان مقهورة  
هَلَّا أَفَقْتُ عَلَى الْحَانِ قَافِيَتِي  
يَا مَنْ تَلَا حِينَهَا بِالشَّوْقِ مَحْصُورَةً  
كَمْ قَدْ رَسَمْتُ عَلَى رَمْلِ الْحَيَاةِ بِهَا  
شَاءَتْ حُرُوفِي الَّتِي فِي النَّفْسِ مَطْمُورَةً  
أَمَّا هُ لا تَرَكِينِي خَلْفَ سَاقِيَةٍ  
أَرعى الْحَنِينَ عَلَى أَنْغَامِ عَصْفُورَةٍ

\*\*\*

لقد أصبحت شخصاً واهياً، حساساً، تثقبنني أبسط الكلمات، أتوتر  
من لا شيء، وترزعجنني أتفه الأشياء، وتسحق مزاجي أسخف المواقف،  
وتدمرنني أدق التفاصيل، وتثيرني أصغر التلميحات بالكثير من الاستياء!  
أهكذا أردت أن أجيبك عندما سألتني ذات قلق؟

\*\*\*

## ما يجول في داخلي، لن يفهمه أحد

كل ما أشعر به هو أن كياني يترسّب، تتبخّر أنفاسي الساخنة بفضل تفكيراتي عقيمة الحلول إذ بلغتُ من الحزن عتياً. تراودني رغبات عدة لا أقوى على تنفيذها كرغبة البكاء بعلن أو الضحك بعلن، أو التحدث دون أن تقاطعني دمة أسف، لا أدري، لكنها أشياء غير مشروعة الحدوث معي.. ماتت قدرتي على التشبّث بمن منحتهم كامل إخلاصي.. تهالكت أنامل ودّي، وأصبحت خائب الملامح، مكسور الفؤاد، مقفّع الحديث.. متبلورٌ في دوامة أوهامي وتساؤلاتي اللازائلة من غبشِ التناقض! ماكنتُ أدري بأن الماضي يجيد كل هذه الرومانسية ليبقى معانقاً أحضان ذاكرتي إلى الأبد..

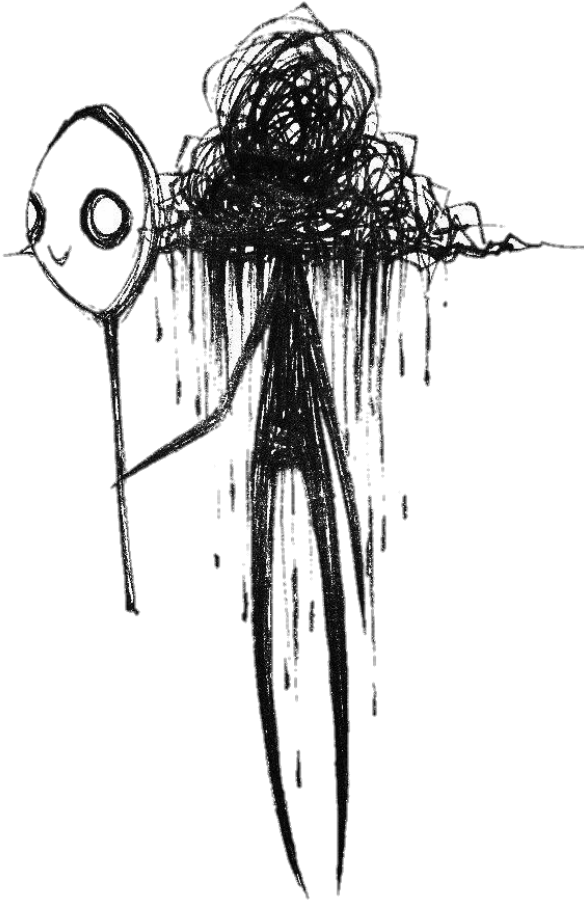
### اعتراف (2)

في هدوء هذه المدينة أغرق ممزوجة برغبة الرحيل أو البقاء، وأفكر ملياً كيف نستطيع إقناع هذا العالم بأن الأنثى التي تُخذل مرة واحدة، تصبح قوية كألف رجل، وفي الحقيقة أن الرجل ليس معياراً للقوة. إنها لا تنحني لقسوة الأيام، ولا تمنع لعصف مشاعرها البائسة، هي تحزن كثيراً، تلوم نفسها كثيراً، تتمزق روحها بشدة، لكنها كلما تذوقت المرارة والألم كلما ازدادت قوة وكبرياء، وعليها فإنها لا تخشى من الحياة أو من أهل الحياة، لأن الحياة هي التي تخشى صلابتها وصرامتها، وقوتها وثباتها الذي أینع بغِلْظَةٍ.. حين تحيِّب آمال أي امرأة فيك، فإنك تعرض نفسك للذل، لأنك لن تتمتع كثيراً بضعفها ولحظات سقوطها، في الحين الذي ستسقطك قبل أن تسقطها!!

أُسية (2)

وقد تهرب منهم، وأحاديثهم، وزيفهم، وأقنعتهم، وهذيانهم كلما حلّ مساء أحفاد ابن سلول. إذ يسردون أمامك شيئاً، ويضمرون أشياء مضادة. تغادرهم حين لا يعود لوجودك الفائدة القصوى، طالما تبقى بينهم مكتوف اللسان، يتيم الشعور بالدهشة، وشفيتك مهجورة من أي ضحكة، لا مبسم لديك ليتعالى، لا أحاديث في قلبك يمكنك التحدث بها. تشعر بأن قافلة الحروف ثقيلة، وجوفك ممرّ ضيق في قرية لا يملك أهلها سوى الفوانيس فقط.. يضع عمرك، وتنصهر أيامك الجميلة على موقد رحيلهم المفاجئ الذي لم تكن تتهيأ له يوماً. تحتضر بينهم، وتموت وأنت تصرخ من الداخل، تدفن نفسك وتقيم حدادك بنفسك، وتوتد خيمة عزائك بنفسك، وتعزيك بنفسك.. تطحنك حقيقة الأقدعة، وتصفق لفرانس كافكا إذ قال: (خجلتُ من نفسي عندما أدركتُ أن الحياة حفلة تنكُّرية، وأنا حضرتها بوجهي الحقيقي).. تخنق مشاعرك والكثير ممن هم حولك لا يدركون ما بال وجهك تعزيره المآسي، تخرس صوتك كلما اندفع في بعثرة الكلام، وتتجاوز مشاركة البقية في التفاهات، وتعلن قلة تحمّلك في إتمام الاستماع إلى بقية الثرات الليلية، والترهات المجنونة، والحقاقت المستمرة.. تغادر بعدما تروي لهم قصة عاشق هزلية، وتسخر من نفسك بينما تلتبس دور الأحق في تلك القصة.. تغادرهم وأنت ترتطم بين وجهات دموعك، وتتسكع بين أرصفة همّك،

وتطيح بك الأفكار أرضاً، ثم تقعات عجزك بين شوارع الشوق القارسة.  
لا قمر، لا نجوم، لا قلب، كان يعتني بقلبك (كل العالم أحلكته  
الأحزان).. تجثو وقلبك يتحطم من الداخل، ورثاك تختنق بغبرة  
اللانسيان، ودموعك تبلل أهداب جيبك الذي ما يزال مخبئاً رسالة  
الوداع بين زواياه، وبواطن كفيك تعانق ورودهم بشدة.. تذرف السماء  
مرتبة على أكتاف ضيقتك السحيقة الكاوية أطراف إحساسك، والجريئة  
في نثر أوجاعك دون استئناف. تبللك، ووشاحك، وقلبك، وتحاول  
غسل ذاكرتك من بقاياهم ...



### معهمُ الله!

قالوا: أنتم أجمل صدفة في الحياة، علقونا بهم فرحلوا، لا رسالة وداع، لا خبر عن رحيلهم، لا علم إلى أين غادروا. أنانية ذواتهم وارت الإخلاص، أولئك الأصدقاء جعلونا نتعلق بهم، ننتظر الوقت الذي نلتقي بهم بمرير صبرنا. رحلوا دون أن يقولوا: وداعاً، دون أن يدركوا ما حل بنا من انكسار وضيق مؤخراً.. دون أن يعولوا لاكترائهم الذي اكترثوه بقلوبنا بعدهم، ثم تركونا في تيهٍ ولم يسألوا عنا ولم نسمع لهم أي صوت قط، فربما قد أصبحت أسماؤنا في لائحة القدماء يغومها غبار النسيان أو ربما علّقت صورنا على جبل ذاكراتهم فرثوه لنكون فقط من الماضي. الماضي الذي لا تزال رائحته تراودنا في كل طقوسنا تضوعها الرياح ويخمدنها المطر تهبها الرياح مرة أخرى لتعيد الذكريات وتضع على الجرح ملح! لا بأس بالرحيل ولكن ياليت لو أعلنوا بذلك الرحيل؛ كي لا نشاق ونعاتب ونلتمس لهم أعذاراً للغياب. العتاب الذي فقط ندونه على أوراقنا بحبر دموعنا. الدموع التي لا نستطيع حتى إرسالها إليهم عبر بريد الآه الطويلة بينما تُزفر ثقيلة.. رحلوا، معهم الله إن نسونا وأصبحنا أسماء عابرة بالنسبة إليهم، إن أصبحنا لديهم أشخاصاً من الماضي، إن تركونا دون أن يعيروا الاهتمام للتفكير بنا.. معهم الله!



p. m 00 :5

إِنِّي أَفْكُرُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ بَيْنَمَا أَتَأَمَّلُ غُرُوبَ الشَّمْسِ كَيْفَ تَخْتَفِي  
بِهَدْوٍ كَأَنَّهَا الطَّيِّبُونَ. الطَّيِّبُونَ الَّذِينَ يَشْعُرُونَ بِالْحَيَاةِ فَقَطْ عِنْدَمَا يَقْدَمُونَ  
لِلْآخَرِينَ مَا يَسْعِدُهُمْ، وَيَزِيحُونَ بَعْضًا مِنْ أَوْجَاعِهِمْ وَلَوْ بِالتَّرْبِيتِ  
الْقَلِيلِ، وَيُضَحِّكُونَ الْبَاكِينَ الَّذِينَ سَأَمُوا اسْتِقْبَالَ أَوْجَاعٍ أُخْرَى..  
انْهَمَكْتُ فِي حَدِيثِي عَنْ أَوْلَئِكَ الطَّيِّبِينَ الَّذِينَ كُنْتُ مِثْلَهُمْ يَوْمًا.. حَتَّى  
أَدْرَكْتُ الْآنَ بِأَنَّ بَعْدَ كُلِّ شُرُوقٍ غُرُوبٌ حَتْمِيٍّ إِلَّا أَنْ الشُّرُوقَ بَعْدَ ذَلِكَ  
الْغُرُوبِ آتٍ لَا مَحَالَةَ. مَجْرَدُ تَسَاوُقٍ زَمَنِيٍّ وَتَعَاقِبِ اعْتِدَانِهِ جَمِيعًا بَيْنَ اللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ.. لَكِنَّكَ شَمْسِي الَّتِي غَرِبَتْ وَلَمْ تَشْرِقْ حَتَّى الْآنَ، انْتَظَرْتُكَ عَلَى  
مَقْعَدِنَا، بَيْنَ الظَّلَامِ تَرْقُبًا لِمَجِيئِكَ وَلَمْ تُشْرِقْ بَعْدَ. أَخْشَى أَنْ أَفْقِدَكَ بَاكِرًا  
لَأَنَّكَ مِنَ الطَّيِّبِينَ..

\*\*\*

وَلِمَاذَا يَذْرَفُ الْقَلْبُ لِرَحِيلِهِمْ وَقَدْ رَحَلُوا مَلُوحِينَ بِالكَثِيرِ مِنْ  
التَّجَاهِلِ! يَذْرَفُ رَبِّهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ إِعَادَةَ ذَاتِ الْأَيَّامِ وَالسَّعَادَةِ وَالْأَمَلِ..  
هُوَ اعْتَادَ أَنْ يَحْتَكِرَ سَعَادَتَهُ بِوُجُودِ شَخْصٍ اعْتَقَدَ بِأَنَّهُ النُّهْرُ الَّذِي يَنْهَلُ  
مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ تَرِياقَ مَسَرَّتِهِ.. رُبَّمَا يَبْكِي لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مِنْ يَوَاسِيهِ بِمَا يَشْعُرُ عَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ تَوَاجُدِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ حَوْلَهُ يَحَاوِلُونَ مَوَاسَاتِهِ.. رُبَّمَا يَبْكِي لِأَنَّ  
الشَّخْصَ الَّذِي كَانَ يَمْحُو دُمُوعَهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ يَبْكِي الْيَوْمَ..!

### أحلام نيسان

تمر الأيام وكأنها يطاردها قطيعاً بينما نرقص في الفراغ تتمايل بين جدران اللهفة والبعض من الاشتياق والقليل من الأمل المبهج للقاء مآ! إلا أن بعضاً من اللحظات الجميلة قد تمر كالنسيمة العابرة، رقيقة التفاصيل وحلوة المعنى. لذلك قد نحفظ بذكريات منسوبة لتاريخ مآ، كأحلام نيسان عندما وُلدت شفافة. كما أرى بعضهم ينتظر عيد ميلاده بحماس، عجباً! لم يذكرني به يوماً أحد لذا قد نسيتُه منذ زمن. أحلام نيسان أسماها قلبي الراكد على مرسى خذلانه بالأحلام المؤودة.. أيام الجاهلية يعيدها الزمن (أظن ذلك) الأحلام البريئة كابتسامة طفل رُسمت على فاهه الضحكة ك: الرقص تحت المطر، التجول بين الورود، الجلوس أمام البحر، قراءة كتاب مآ بينما تتكى على جذع شجرة حنونة، كتابة نص مآ بقرب من تكتب النص عنه، تنظيم قصيدة شعرية بلحظة قد تم اللقاء فيها، لكنها تلاشت تلك الأحلام. ماتت أحلام نيسان ليطم سجن المنتظر لها في شرفة العزلة وحيداً هو وشمعة خجلة، ودموع كثيرة، وابتسامة بكاء، وقلم يتعثّر بين خطوط الأسطر تارة تلو أخرى.. هو فقط، لن يأتي أحد ليحمل عبء جوارحه..

a. m49:10

ألديكم عيد ميلاد! لديّ عيد خيبة يرثي حزناً.. نيسان، ماتت فيه جميع  
الأمنيات الجميلة!

\*\*\*

ثم تفكر في الأشياء التي تبخرت دون سابق إذن، كيف بإمكانك ترميم  
قلبك البريء بعدما ثقبتّه باختفائها...!



## لا عنوان ..

بين شيء من التفكير وخفقان الرصد المبهم اللامعرف وسط ذاكرة الضياع، تهوي إلى زاوية تعانق الأرواح معجونة بالعدم، تجول بين مآرب تفكيرك المفرط، والليل يسهب منك نورٌ أهده إياك القمر ذات مساء غنى قصيدة الصُّمي ونجومٌ عاتبت الزمن عما اكترثه بحق علياء بحق المتنبي الذي كان يحن إليها، تهبُّ السواكن التي تحشرجها رياح تشبه الغائبين في التسلل، تنظر إلى النافذة وندى الليل يبتهلك ومبسمك ووجهك وتلويحتك. تترقب طرق أحد برؤوس أنامل كالرقعة، تغلق هاتفك فتستمع إلى المطر، وزخات المطر وأحاديث المطر، ودموع المطر. تعود لفتح الهاتف المرمي في الركن من شرفتك خلف مقعدك المشؤوم، أو تحت وسادتك الشاربة أيامك الطويلة! تجد قائمة الإشعارات فارغة. لا مكالمات هاتفية، لا رسائل ترصد عن حالٍ من صديق. إشعارٌ واحدٌ قد تتلقاه في عزلتك: بطارية الهاتف منخفضة.. ترمي به من حيث أتيت به، وما الفائدة منه، طالما لم يسأل أحد أو يلاحظ غيابك، أو يدرك انغماسك بين حيطانك أو يأتي لانتشالك من هلاك الانطواء قبل أن تترك مقصلة العزلة كقصاص لا قوم يحضرون لرؤيته لا شهود أيضاً.. يرصدك الانتحار قبل أن ترصده، وتختصر كلماتك في اليوم ألف مرة مع كل محاولة تكتب نصاً فتشطبه أكثر من مرة. تمزق الأوراق وتتلقى قاع شرفتك للكثير من تكوراتها الغاطسة في الدموع، لا حروف سوى

الشتات فيها. هروب من القلم، وهروب من الاعترافات التي قد يفضح بها قلبك فتقرأها والدتك عندما ترتب شرفتك وفوضاك كالعادة، وتكتشف سر الحزن الذي امتقع تفاصيلك. تشعر بأنك مازلت على قيد الحياة تارة، وتارة أخرى تشعر بأنك ملقيٌّ في تابوت الماضي تجول بين مآتم الخيرة لا أصوات إلا تمتعة الأرواح، ولا همس إلا ورق مهجور، ولا أنفاس إلا مايزفه الليل بين الدهاليز المخيفة. تقضم أناملك بدءاً من الأظافر وتشرب ما يهطل منها لتبلل لسانك الحارق بالجفاف. تنظر إلى الخلف فيناديك صوتٌ من أجنّة الليل، وتنظر إلى أمامك تجد الخط الفارغ معتماً، طويلاً، نهايته مجهولة! تتمنى معطفاً دافئاً أو وشاحاً يضعه عابر فوق أكتاف ارتجافك، وأشياء في داخلك تמידُ تارة وتسكن تارة. قلبك قارس جداً بحاجة إلى بعض الدفئ ككفّي شخص تهفو إليه (مثلاً)، يتغلب عليك شعور الضياع في غابة من الوحدة لا يسكنها سوى همهماتك وكأبتك وعناوينك المبهمة!



"لم يبحث عن الكآبة يوماً، ولكن الإفراط بالأمل هو من ألقى به إلى  
تلك الزاوية المظلمة"

ألبير كامو

\*\*\*

p. m 30:11

ما بالنا نمشي، وأرواحنا تتهافتُ ورائنا، تناديننا: هنا نحنُ، أعيّدونا إلى  
الشرفات.. إلى القلوب النواخذ!

\*\*\*

تشبهين شخصية ماتت في منتصف رواية حزينة، لتكن النهاية سعيدة  
دون أن تشاركي بقية الأبطال تلك السعادة يا أنا.. مؤسفٌ، أليس  
كذلك؟

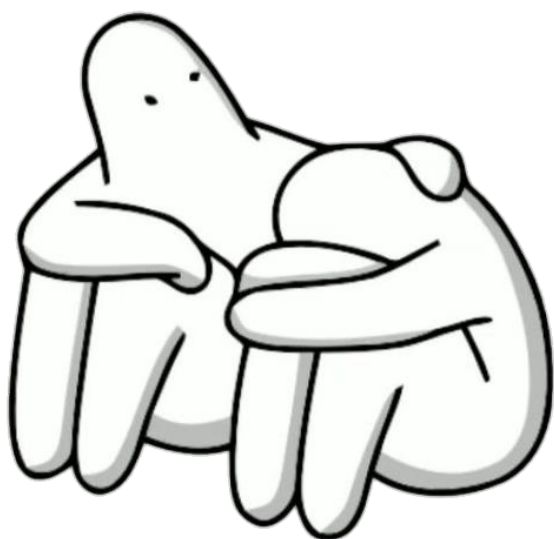
## وللحظة

تغرق في تفكيرك الجَمِّ وأنت تحتسي القهوة وحيداً قرب نافذة وحيدة  
وشتلة تسكنها ريحانة وحيدة ومقعد يهتزّ وحيداً.. تتنابك غصّة في الركن  
من أيسرك وبعثة في رشفة من قهوتك التي بردت بينما أنت تسبح في  
ماضيك وتفكر بقلق حول حاضرك كيف سيصبح بعدما بُترت أحلام  
قلبك وانتشر غرغرينا عدم المجاملة مع الآخرين وعدم الثقة بالأصدقاء  
بين أجزاء قلبك بهيمنة شاملة، تعاتبه على كرمه في العفوية وترثي  
مشاعرك عندما ماتت في حربك المليئة بالهزائم.. تتنفس بعمقٍ طويل، ثم  
تتوسّع الفتوق التي حاولت جاهداً في خياطتها فيسبح النزيف في  
ساحتك الداخلية حتى تتبلّل.. مؤسّفٌ شعورك بالوحدة أثناء امتقاعك،  
وما أن تصبح بخيرٍ يحاوطونك جميعهم.. أعلم ذلك: مؤسّفٌ جداً!



### كَفَى مُرّاً

في الركن من حين الحنين تعدُّ أصابع الاشتياق وتحرق قصائدك  
لتصنع منها موقداً يدفئ خريبتك النائمة حين أضعتها فعثرت عليها  
تنزوي على صدر القهوة المرة التي بردت وأنت تحملها بين كفيك  
المرتعشة. تقف فتطل على نافذة الذكريات وتزفر بخار جلبتك وتشهق  
مسائك الذي قضت عليه منية السبات بين أحضان الشتات. تتجه نحو  
منضدتك لتمزق نصوصك وتقطع أوردة الحروف وتشعل موقد  
وحدتك. هادئ وشبه فوضى تمزقك إرباً في الداخل المميت.. تناديك  
قهوتك: تناولني ساخنة، تناولني مرة. تهوي إليها: كفى مُرّاً.. جسر  
قلبك يهتد والأسوار أوجعتها شروخٌ متتالية وعنّ الدموع للمساء  
الثقيل، وأعلن القلب ضجيجَه، يجيء بين دياجي الهوى يطيش بين  
حيطان الفراق...!



" جذور اللذة في الألم وجذور الألم في اللذة، أما السعادة  
فلا جذور لها البتة "

ميخائيل نعيمة

\*\*\*

فقط بعد أن نموت سيقدّرون مكانتنا ويقضمون أصابعهم ندماً على  
كل ما اقترفوه بحقنا وإهمالهم لنا، كم من تفاصيل صغيرة كانت ستسعدنا  
وتبعث البهجة في قلوبنا وقد كانوا بخلاء جداً في منحها لنا.. وعندما  
كانوا بحاجة إلينا يأتون وينبعثون من حيث لا ندري، يضحكون معنا  
يحاولون تقديم ما يسعدنا فقط لأنهم بحاجة إلينا وبعد أن نقدم لهم ما  
أتوا من أجله، يخفون كما لو لم يأتوا.. بعد أن نموت، سيحزنون كثيراً  
مرتين، مرةً لأنهم سيكتشفون بأننا أنقّى منهم، ومرةً لأنهم لن يستطيعوا  
العثور علينا لنغفر لهم حين يطلبون منا المغفرة ويعترفون بكل ما اقترفوه  
بحقنا.. حيث سينهشهم تأنيب الضمير كما تفعل السوس بأقدام المقعد  
الخشبي أو المنضدة الخشبية!

## الحبُّ الأبديّ

كل الإجلال والثناء لجبران خليل حين قال في حضرتك: أجهل نساء العالم: أمّي، وظلّها، وانعكاس مرآتها.

فالحبُّ عليك والبوح إليك والحروف دعيني أبعثرها كقبعات على جبينك أو وجنتيك، أو كفيك وبواطن قدميك. مساء الحبّ يانصي الجميل وأغنيتي التي أعشق الاستماع إليها باستمرار بين تفاصيل يومي.. يا أسطورة حبي وقصة عمري الأجل وشمس نهاري وقمر عتمتي: ليختفِ الجميع، سأعتاد غيابهم وفقدهم عدا غيابك وفقدك أمر لا يُحتمل أبداً! بمجرد التفكير في ذلك أشعر بانفطارٍ قاتلٍ، وعبرة ناسفة.. فليقرر الجميع على المغادرة وإفلات كفي من كفوفهم، إلا أنت.. حذارى تفكرين في ذلك.. فلا حبّ إلا حبك!

## وهنُ المساء

نتورّطُ في إحناع عبثية شتّتها ذاكرة قلم. تساقطت أوراق أمس من الحدث القديم واليوم ينحُتُ مأساة جديدة أسطورية الفجوات.. الحروف والأوراق حفيدات الشجر تعانقها قاع خصبة في الحين الذي لم تكن الجاذبية عناقاً يقفز بنا إلى أعلى عمق من السماء.. نُنسى فنحاول النسيان، وظلمة تربّت مواسمها على أكتاف الوحدة، على وجوهٍ شحّت بفضل سخونة حارقة انصهرت على سفوح نافذة تنتظر حلماً لم يأت بعد، ونجومٌ تلوّح بشيء من ملمة هشاشة، شيء من بقايا صمت، صمت يهرع إلى شطآن الذاكرة.. صمت قاتل جداً.. للغاية... لا جدوى من الذكريات سوى أنها نافذة تبعر الكثير من السواكن حين تشبّث بستائر القلب المرفرفة بؤساً، وتقبض قبضتها حتى تعتصر عمقها بقسوة وتصفعها حتى تقع أرضاً، وتلعق من إناء الهذيان عسلاً مرّ التدوق. ثم نترك النوافذ مؤاربة لعل رسالة ورقية تطير إلى وسط الشرفة تخبرنا بأن هناك من ينتظرننا في الأسفل، ثم نجد صندوقاً مليئاً بأشياء تبكيها لفرط البهجة، هذا بعدما يغادر من حلّق بالرسالة إلينا.. نسافر إلى أعمار المسنين عبر محطات الشعور بالخجل. الخجل من القلب عندما أهدينا إياهم قبل استئذاننا منه فعبثوا به فأعادوه مسنّاً بعد أن وضعناه بين أكفهم طفلاً.. نسافر عبر تذاكر الذكريات المؤسفة هروباً إلى مرافئ الوحدة من الوجوه والتفاصيل المزعجة. نتخطى مسافة البعد ونخمد الذكريات كلما

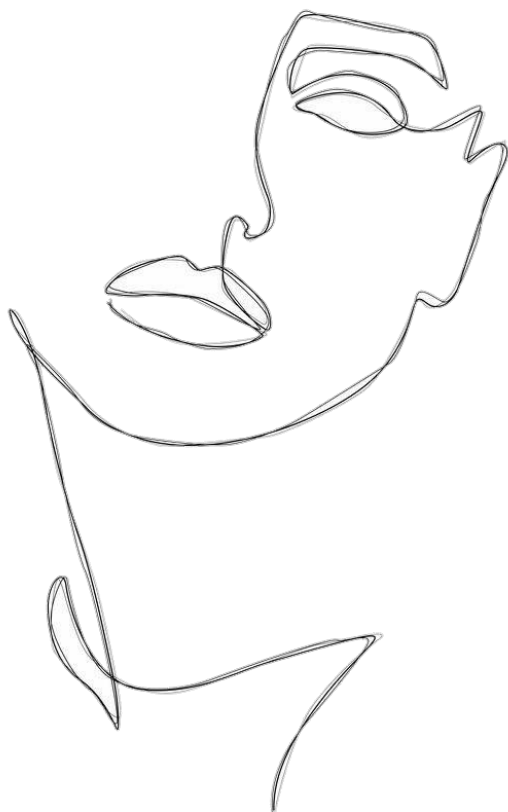
عكستها مرآة الذاكرة على نافذة القطار السريع! نصل إلى محطة غريبة مليئة بالكثير من الوجوه الغريبة ونحن مازلنا نتوهم كأن نلمح من يلوّح إلينا ليعانق وصولنا ويحمل الحقائق بدلاً عنا، لكنّ لعنة الحقيقة المؤسفة هي عندما نستشعر ضوضاء المحطة وأصوات الحقائق وصرخات العناقات التي يتبادلها الأصدقاء وتلويحات الكثير من الاشتياق التي يتبادلها الجميع. ونحن نُستشئ عنهم، نلوح لحياتنا لهروبنا لتجاوزنا وابتهاalna للهدوء فقط. فلا تثريب على من خذلونا بل علينا عندما وثقنا بهم وآمنّا بصدقهم اللاصّادق واعتقدنا بهم إيجاباً وهم سلباً واضحاً، وخلوة قلوبنا من السوء أعمت بصيرة الرؤية العميقة لنكتشف الحبّ المخبأ خلف الوعود الكاذبة. لنقرأ أساطير الأولين بين الورود التي أهدوها إيانا كطعم حتى وقعنا في مصيدة الصفحة المباحة!! للمساء وهنّ دائم مستمر لا ينتهي بانتهاء العمر قطّ، يبقى على مرّ الشهور التي سحقتنا تحت صخرة عزلة، على مرّ الأيام التي كابدنا رياحها اللامؤقّقة، على مرّ الساعات التي أهدرناها بين صفحات المذكرات المؤسفة، على مرّ الدقائق التي عشناها بمرارة قصوى، على مرّ الثواني عندما انطفأت الشمعة على آخر ثانية ثم مكثنا تحت رحمة الأنفاس التي يزفرها الظلام.. في هذه العزلة، أدركتُ وللأسف بأن الأصدقاء لم يكونوا بملء معنى تلك الكلمات التي نحتوها في مذكرة ذكريات، لم يبحث أياً من الأصدقاء عن سبب لغياب، أو تفاصيل توحى بأنني بخير. لوددت لو أن أخبر

نفسى المستقبلية: كان لي أصدقاء لا مثيل لهم، انتزعوا قلبي من قس العزلة المرتدية ثوباً من الحزن القاتم مزركشة بالكثير من الشتات والأمل المعاق! أسفاً بأن قصة قصيرة كهذه لم تحدث لأرويا بعد حين من هذا الحين.. أسفاً

\*\*\*

a. m 00:12

إنني هنا أرسم مستقبلي على لوحة فارغة، أزيل الأشخاص الذي تسببوا في أذيتي جانباً، والذين كذبوا عليّ والذين خدعوني والذين خذلوني أيضاً، أرسم خارطتي بكل هدوء وانسجام وروقان، أراني أعبر وحيداً غير محاط بأحد، لا صديق ولا عدو، لا غريب ولا معرّف، أعيش بسلام متعافياً بالهدوء وعدم التدخل في شؤون أي أحد.. قررت أخيراً أن أحب نفسي بإفراط، وأؤمن بنجاح أحلامي وسداد رمي خطواتي، وإلقاء سياجاً حديدياً سميكاً بيني وكل من يحاول أن يعيث بعمرى!





## أيام طائلة الأسى

نعانق أعمار ما وراء الأبواب المسنة ونحن مازلنا في أول الطريق  
المزهر حسبما قالت أُمِّي.. تمرّ شظية قاتلة دون إنذار مسبق كلما وددنا رفع  
راية حلمٍ وردي يضحي في النفس الشغوفة بالحياة.. وتمطرُ السماء بالكثير  
من القاذفات التي لم نرسمها يوماً في بيت الطفولة حين خربشته  
ضحكاتنا مراراً على دفاتر المدرسة.. والسماء باتت يتيمة اللمعان، لم تعد  
ترتدي ثوبها الأزرق الذي يمثل رونقاً خاصاً.. وإنما ترتدي ثوب الحزن  
الذي يسوده البلاء والتمني للرحيل المؤبد مع الراحلين الألى.. إن الأمنية  
التي نتشارك فيها معاً: هي الخروج تحت المطر دون خوف أو ترقّب  
لقاذفة تركض بهلع لتبتّر ضحكاتنا فترحل، ثم نرقص تحته ونتعانق تحت  
سخاءه في نثر القطرات الباردة، نطبطب على بعضنا بأنّها.. ستمرّ.. وقد  
كان ألفونس دي لا مارتين على حقّ عندما قال: الحزن يجمع بين قلوبنا  
في روابط أقرب من السعادة، والمعاناة المشتركة هي روابط أقوى بكثير  
من الأفراح المشتركة.

\*\*\*

### اعتراف (3)

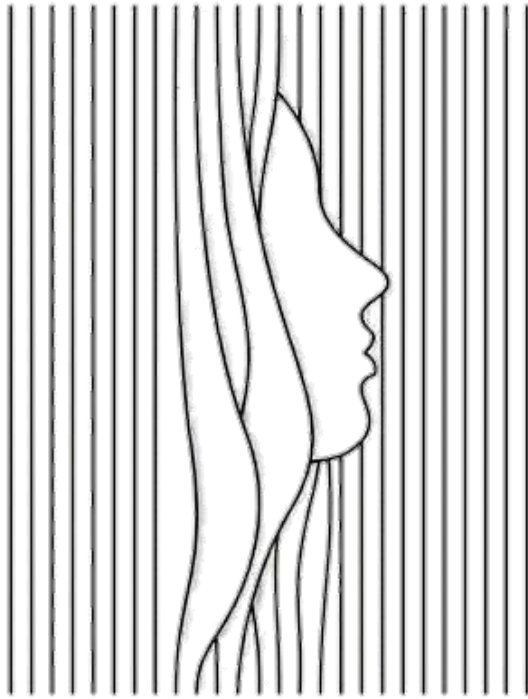
على الرغم من عشقي للهدوء.. إلَّا أنَّني مقيد بقيود الضجيج..

## أمسية (3)

بعد منتصف الليل، تدرك أنك قد غفوت فوق منضدتك الخشبية بأرق وإرهاق وانكباب وجهك يطفو على أوراقك الغارقة، يختنق بين بنانك القلم، لظالما أراد أن يقول: دعني أتنفس.. عيناك المنتفختان تكثر صداً قاتلاً، تواربها لتكتشف بأن الكهرباء قد انطفأت. تلسع البرودة الأرضية القارسة قدميك عندما تقف متحسّساً الجدران وسط شرفتك المظلمة بحثاً عن ثمة نور يباغت هلعك! وعند وصولك مقبض الباب تجدُ بأنك قد أغلقته قبل بضع ساعات.. وهنا تبدأ معركتك، إذ تنسى أين وضعت مفتاحه وتظل تتحسس في الأرض القارسة لعلك قد تلامس المفتاح البارد الذي رميت به ذات اختناق، ذات شعور بوحشة وانهميار وافتقار كامل الرغبة في التواجد.. ثم تخطو بانعراجات تائهة علك تشبّث بروح النافذة وتصرخ منها بجلبية تكاد تقتلع روحك من محلها، وأثناء فتحها بعد محاولات من الأكف المرتجفة، يلسعك هواء لا صوت له، لتجد بأن المدينة معتمة، الهدوء يرتديها... وبعد بضع من ثوانٍ بارقة يغرد صوت رضيع يهرول صرخاته بينما تحيء والدته ذهاباً وإياباً محاولة في إخراس ما ينفضه من حنجرته الطفلة! يصرخ طفلك الداخلي مع كل صرخة يطلقها طفل المساء الرضيع في الآونة الشرسة! يستيقظ أهل المدينة بتذمر فالجميع يريدون الإبحار بين أعماق نومهم لمجابهة اليوم المتّظر خلف أسوار عقارب الساعة التي تمشي ببطء.. وتستيقظ

مشاعرك الغائرة بين أهذاب بحر الاختباء العميق بفضل خريز الدمعة التي نسجت خيوط البكاء فتشابكت بارتعاشك وقيدت أوصال إحساسك.. تتراجع إلى الوراء واضطراب الأصوات يهيمن على حواسك، تريد إخراس طفل ما قبالة النافذة وما خلف سياج قلبك.. تصارع العتمة والضياء، والصراخات تخنق ما تبقى منك.. وقبل وصولك إلى الحائط الذي تتراجع إليه، قد ترتطم بمزهرية فتقع أرضاً أنت وهي، لتستشعر سائلاً ساخناً قد ساح من بين أناملك التي عانقت القليل من القطع الزجاجية، فيسكن الوسط والطفل ومن هم في داخلك.. تغفو وأنت مستلقٍ على أرض أوهاملك حتى يصل الصباح بعد رحلته الشاقة الطويلة.. فتستيقظ متهاكاً: ذهنك، وجسدك، وقلبك، ومشاعرك (محطم من كل ركن فيك)

تصبح الجميع بعد أن تلصق الابتسامة المزيفة على فاهك دون أن تخبر من حولك عن أي شيء خضته في ليلة شرسة افترستك بقسوة حتى انهذ قوامك.. فالأمسيات الطويلة المليئة بالكثير من التفاصيل القاتلة مهما حاولت ترتيبها على لسانك المتلعثم لتخبر أياً كان عنها لن يشعروا بما شعرت به من فوضى أحرقت كل شيء في داخلك حتى أصبحت هباءً تبعثر الرياح بين أزقة مدينة نائمة..



## حُجَّة!

كدأب انسحابك الدائم، معتاداً على كبح استعداد اعترافك وكلما حاول اللسان خوض تجربته، خنقته قيود التراجع.. تصطفي إيماءاتك كبديل أخير، كانسحاب، كشعور بفوز التجاوز، اجتياز مالا تودّ البوح به. مرموق بهدوء قاتل، مشيعٌ بالكثير من الحديث، لكنك فقط تلتزم التجاوز، وتغادر باعتصار هائل! (لديّ الكثير من الأعمال لأنجزها) قد تقول تلك التعويذة كحجة للهروب من بينهم، من ضجيجهم، وأصواتهم التي تخنق وتيرة مبسمك بينما ينأى كلما برز لثوانٍ خاطفة. (فقط مصابٌ بصداع ثقيل، أريد النوم) تخبر من حولك بتلك الاعترافات الثقيلة عندما ترغب في اقتناء قسطٍ من التلاشي والاختباء وسط حوايا عزلتك المفعمة بالكثير من روائح القلب الاستثنائي حتى في حزنه! أدخنة اختناق وأخرى للشتات وأخرى إرصاداً للاستفاقة من غوص تصدية الملامح المستعارة وسط إناء قناعك الملطّخ بالأمان. تسبح في أرض أشجانك ذات الليالي عارية الضوء كون القمر خائراً. تغوص خلال عمقك المليء بأشوائك المحطمة كيف تتدحرج من زاوية إلى أخرى كلما سعلت حنجرة رياحك النائمة داخل شتاتك الجاف. تلوذ إلى تعتة القليل من الأعذار كمحاولة في رصد حجة تنجيك منهم وتفحصهم وظعنهم بين صحاري شروذك بينما يرتعد صهيله فوق ضفة

رمشك الغارق.. كحجة تحبرهم أريد قسطاً من الراحة.. لوددت أن  
تخبرهم بأنك تريد قسطاً من الاحتواء لروحك المستاءة المقرونة بعجز  
الليل وأسفه..

### a. m 20:12

عندما يأتيك من يتحدث عن قصة انهزامه وشعوره بالجفاف تارة  
والغرق في سيول المآسي تارة فلا تمنعه عن الانهيار ولا تحاول كثيراً أن  
تكبح رغبته في الصراخ أو تقاطع اندفاعه في نثر ما يجول في خافقه، دعه  
يفرغ كل شيء فتجربة الكتمان شاقة للغاية ولا سيما عندما تطول مدتها  
كثيراً، كأن تظل أعواماً وأنت تُحاول إخفاء الكدمات والجروح التي  
تسببها أقرب الناس إليك، وتحاول إخبار البقية بأن كل شيء على ما يرام  
وأنت تتألم في اللحظة ذاتها.. قل له: ماذا بعد.. عندما يتوقف بغتة لا  
تسمح بذلك لأنه ما يزال يخبئ الكثير في داخله.. أن تواسي يعني أن تفهم  
الكائن المقابل وتشعر به فعلاً، أن تُقاسمه الحُرقة وتقول له كلما توقف  
لاستعادة أنفاسه: أنا أفهم عليك.. أحياناً نحن لا نرغب أن نواسي ببضع  
حكمٍ قالها الفلاسفة والأدباء وأصحاب التنمية البشرية، بل نتمنى أن  
يخبرنا من نشكو إليه بأننا لا نستحق ما تلقيناه، وفعلاً كان شيئاً مثيراً  
للحزن بشدة، وأمر كارثيٍّ بحقنا.. إنني أستغربُ الصديق الذي يخبرني:  
ابتسم يا صاح فإن الحياة جميلة، وأنا أحاول في اللحظة نفسها استعادة  
أنفاسي ونبضات قلبي على وشك التراقص والتناثر خارج فؤادي.. أريد

أن يعانق ارتجاف كفيّ ويحدّثني عني دون تردّد، أن يصغي إليّ إن كان  
حقاً يعنيه أمري، أن يسلسل كل ما يعرفه عن شعوري في تلك اللحظة  
تحديداً.

\*\*\*

وإذا القلوب جهشت، وإذا تصدّعت الذاكرة، من يتولّى المواساة، من  
يتولّى الترميم!

\*\*\*



## وعزاؤك

لأيامك التي لم تستطع اللحاق بها، عندما أعثرتك مطبات السفر  
الطويل حتى وقعت منهاراً في منتصف طريقك.. انفلتت منك حقيقة  
الأحلام، ليدهسها ويبعثر ما بها من أوراق أشرقت شمس الصباح وأنت  
تدوّن بها الكثير من الأمنيات التي عزمت على تحقيقها في مدينة المستقبل!  
وعندما تأوّهت حيلتك بين أشجار مغمضة الصوت، مخيفة تعانق الكثير  
من أسرار التائهين الذين اتكأوا على جذع سقمها بسقم.. عزاؤك للأمنية  
التي خطفها القطار السريع مع حقيقة الأوراق!

### بقايا نصّ

والأيام التي ولّت لم تذر منّا شيئاً ليحيا.. على قيد العبور نخاتل  
شعور الرغبة في البقاء ونتحسس خشونة متذبذبة بين أوردة تنزف  
باستمرارية غير منقطعة.. نهمس كالطلّ الصغير، كالذي استهوته  
العبرات المتأرجحة فوق سفينة بحر المشاعر يتيمة الأمسية. نعبّر حاملين  
القليل من البقايا بين أكفّ خيبتنا، والليل القتور الاحتواء لا يسّم  
اكتراث التعثرات لأقدام تمشي بارتجاف بين الممرات المنقوعة في إناء  
الظلام، والعيون تسبل بخوف وترقب عشوائي، والقلب يخفق مذعوراً،  
الحيلة قارسة من شعور باقٍ أو الشعور بمشاعر الشعور.. فنصبح فعلاً،  
فعلاً، فعلاً ضامرين جداً، فاقدين قدرة المواصلة نعانق بقايا سطور  
دوّنتها أفلام الذاكرة أو بقايا نصّ، خنقته المنية قبل وصول المسعف..





a. m 30:12

قد تحاول بوقت كهذا في ترتيب: انهيارك، وضياحك، وبكائك،  
ودموعك، وحنينك بينها تحنّ إلى أشخاص لا يحنون إليك.. تسئم  
الانتظار لأحدٍ كان من الجيد أن يسأل عنك وأحوالك فتباغت النوم قبل  
أن يباغتك.. للهروب من قسوة فراغك.. تقفز من سريرك بأرق كي  
تتوسّل إلى عينيك الآبهة عن ذرف دمعة، تجثو إليها محاولاً إقناعها بعبارة  
قالها أمين نخلة: (الدموع هي مطافئ الحزن الكبير) تقبّل وجنتيها برجاء:  
أطفئي أحزاني.. لطفاً!

\*\*\*

الاعتذار بعد ثقب الروح، والتجاهل المخيّب للانتظار! لا يجدي  
نفعاً.. إن الاعتذار مجرد سخافة أخرى، فهذه الروح الباهظة لا تقبل أن  
تُهان كثيراً، والإهانة هي أن يُقترف بحقها مرة أخرى وثانية وثالثة بعد أن  
تغفر في كل مرة، الروح تعشق الصدق، الصدق في كل شيء، في الصداقة  
والمشاعر والاعتذار والعتاب وحتى الغياب، تشغف دائماً أن تُجازى  
بمثل ما تقدّمه من صراحة، الحصول على من يقدّر قيمتها دائماً، فرفقاً  
بالروح لأنها مع الأيام تتجاهل من يتجاهل نقائهما بقوة وصلابة!

\*\*\*

## بحثاً عنك!

بلحظة مباغته لسكونك، تشعر بأن شيئاً قد انْثَـشَلَ من بين أحضان قلبك الدافئة (ربّما) بينما كان يلتحم بك، بشدة قصوى، ثم تهرُـعُ لبدء عملية البحث الغامضة تتجول بين شرفات منزلك كالذي يبحث عن والدته فور دخوله إلى المنزل.. لكنّك لا تستطيع النداء باسم له فالمنادى معرّف باسم ينسب إليه، فقط تناديه بعينيك وقد احترقت ماوراء الحيطان بينما يرتجف قلبك بشدة، ويتدرّأ على تنفّسك الضيق.. تتجاوز تساؤلات أهل منزلك عندما يثير دورانك حول الشرفات من غرابتهم لكنّك تسئم عندما تبحث في القبو المليء بالغبرة أو الباحة للمرة العاشرة.. ثم لا تجد ما تبحث عنه! فتحمل معطفك، وعمامتك وتغادر منزلك وغصة ترافق حنجرتك ثم تبحث بين الطرقات، والممرات الضيقة فلا تجد جدوى للبحث المبهم لشيء مبهم.. تكفّ عن البحث، وتسقط رذاذة من غيمة عينيك الناكسة بالاختناق، والأسوأ من كل ذلك هو عدم إدراك جنسية من يكون، ولم أنت تبحث عنه أساساً، تشعر بأن المباني والشوارع الفارغة تدور بك بتدرّج! منهاراً أنت في الوسط المحاط بالكثير من الهدوء القارس.. ثم تشعر بمن يطلّ من فوقك، وشهيقه المتعالي ما بعد البكاء يروي الكثير من الحكايات البائسة، يقول ورجائه يستهوي لنضجك: "أنت" هو الذي تبحث عنه..

p. m 30:10

أن تبحث عن نفسك ثم لا تجدها.. ذلك هو الضياع الحقيقي!

\*\*\*

إن أعظم الخسارات هي أن يخسر الإنسان نفسه، ولكن الأمر المُرْبِك هو  
عندما تصبح في الوقت نفسه، الخاسر والمنتصر.

### في هذه العزلة

نسيْتُ الكثير من الوجوه إلّا وجه أمّي، حتّى تفاصيل وجهي نسيتها  
كوني لم أصافح المرأة ولم أنظر إلى زجاج النافذة التي تعكسني منذ أيام  
طائفة.. جميعهم تلاشوا عندما علموا بأن الوقت الذي أصبحتُ بحاجة  
إليهم فيه قد آن أوانه.. اختفوا عندما قتلت الأحرار رُوحِي، وأنجبتني  
زهرة جافة، لا تتفتح إلّا في الظلام، فالحزن متمرّد سطوته دجّالة وتعسّفه  
ديكتاتوري! وصدق ابن القيم عندما قال (الحزن يضعف القلب، ويوهن  
العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن).





## معنى أن

ترفض افتراس جزعك لقوة قلبك، وتروّض نفسك الثائر للبقاء هادئاً، فتغمض عينيك بشدة كالذي أغلقت الريح الباب على سباته بقسوة، وتشدّ بشعرك إلى الوراء كلما أسبلتها الرياح الساخنة مكابداً هجمات الكلمات التي تطرق فاهك من الداخل وأنت تقاوم برفض خروجها إلى الخارج، جامحاً لركلها متفادياً مشاعر من حولك أن تنطفئ!

معنى أن: تبتلع الكثير من الأمنيات مع كل نصف لقمة تحاول ابتلاعها.. تمنح لنفسك نصف حب ونصف عناية وتنتظر من يكمل النصف الذي تبقى ثم لا يأتي.. تكتب رسالة إلى من تحنو لرؤيته فتمزقها قبل الوصول إلى المنتصف المراد إيصاله..

معنى أن: تسبح في حبّ أحدهم يسبح في حبّ غيرك.. تعتقد بأن الباقية التي اشتراها أحدهم لك فتكتشف من يوم غدٍ بأنّها قد أهديت لغيرك.. تفكّر في تفاصيل أحدهم بعمق وأحدهم يفكر في تفاصيل غيرك.. تكتشف بأن الابتسامة التي رسمها أحدهم لمن هم خلفك، وليست لك..

الكثير من الـ "معنى أن" تشقّ قلوبنا وتقصمها بقسوة كلما تبعثها خيبة الاعتقاد الذي آمنا به. تهلكننا دقة الملاحظات في همشية الأصدقاء التي يعشون بنا خلالها وتؤسفنا تفاصيل التجاهل التي يدوسون بها تفاصيل قلوبنا..

يقول نزار قباني: "لم تتوقف الحياة من بعدك ولم أتوقف أيضاً، علمتني هذه الخيبة أن أنظر لمن يحبني لا أنتظر من أحب"

\*\*\*

### a. m 30 :1

يملؤنا الجمود بعد أن نُخذل، لا نخطط للانتقام، ولا نقذف  
بالكلمات الثقيلة.. لا نرسم على وجوهنا ملامح الكراهية، أو نحرض  
الآخرين على من آلمنا.. فقط نغادر، نرتدي أثقل معاطف التجاوز..  
قلوبنا تهدأ، نُحمد نيرانها الحماسية السابقة، لا تبدي لأي أمر آخر أي  
اهتمام، تستيقظ صباحاً، وتنام مساءً، وتحتسي القهوة بروقان عميق،  
وتنام دون دموع، أو عبرات، أو ذكريات، أو مأساة، أو حسافات، يموت  
في قلبها كل شيء.. تصبح جليداً، جبلاً راسياً شامخاً موتداً بأوتاد الألم  
المفترط.. فالألم المفترط يقتل المشاعر غالباً، وحين تموت المشاعر يموت  
كل شيء.. حتى النبض يخفق عند الصباح ثلاث مرات، وعند المساء لا  
شيء مرات! لذا ننام دون معاناة أو تلاطم مع أمواج مشاعرنا، تلك التي  
تبددت.

\*\*\*

مساء الخير..

أما الآن.. أينك يا صديق المساء الذي كنت تضحك قلبي، حتى تنهمر  
دموعي لفرط الضحك..؟

\*\*\*

### وحين تذهب إلى من يتجه نحو غيرك

راوغ شعور التردد أو العودة إلى اللحاق بهم، بينما لا يستحق قلبك  
أن يؤذى ويُذل أكثر من اللازم.. برهن لأصدقائك منذ بداية المرحلة  
والتعارف بأنك شخصاً لن يزحزح جمالياتك عبور أحد، ولن يقهرك  
جفاء أحد، مستقلاً بجوارحك ووجدانك، لا يؤذيك أي خذلان! كن  
صريحاً مع الحياة، تكون صريحة معك.. فتكفيك شرّها وأهلها!

\*\*\*

## حزني مريض

لا تسألوا ما بي، فحبيب قلبي يتجرّع بالألم، أنا سبب اختناقه حين  
قررت الرحيل، حملت حقائبي وأتيت إليه مودّعاً مقررّاً التحليق إلى عوالم  
تخيلائي، فسألته بحيرة: هل يحزن الحزن، يا حزني، ليجيب: مريض أنا  
وحزني مختلف كيف توضع أمتعة الهروب أ وحيداً.. تذر أشلائي يا  
رفيق، وأجبتة: إن هربت معي فلن يعدّ ذلك هروباً.. فقال: إيّاك يا بنت  
الليالي الدامسة تغادري دون اصطحابي معك لا حياة إلا بي فلا جدوى  
من الهرب، أعيدي الحقيبة والكتب أو احمليني معك خبئيني في جيب  
معطفك أو بين دفتي كتابك أو وسط غمّازتك.. لنهرب قبل فوات  
الأوان.. هيا معاً.

p. m 38:11

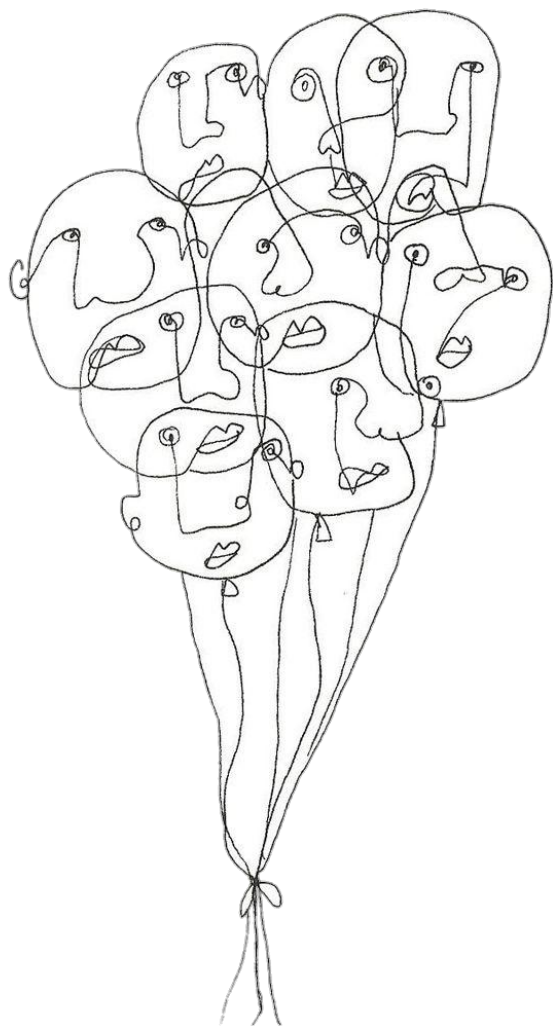
كم أودّ الرحيل فأغادرهم كما فعلوا! أغادرهم بما تعنيه المغادرة، مليئاً بالقناعة، رافضاً الالتفات، ومقررّاً على محو كل شيء. دائماً أفكر في المغادرة وأخشى الكثير من الأمور التي قد تتسبب في هدم تلك الخطة، أخشى دمعة الضعف العاقبة، ولمعة العينان المثعبة، والغصة التي تُمازج كلمة (وداعاً).. أرغبُ الرحيل كما لو أنني لم ألتق بهم يوماً، كما لو أن صدفة لم تجمع بيننا، كما لو أننا لم نتبادل الأسرار والأحاديث الطويلة.. أرغبُ المغادرة كلياً وبتعاقد تام مع ذاكرتي، كأن تدعهم يغادرون منها وتتركني وشأني.. أعيش من جديد!

\*\*\*

يقول جان جاك:

ماهي تلك الحكمة التي يمكن أن تكون أعظم من طيبة القلب؟

\*\*\*



## مُعَانَاة

لا يوجد ما هو أسوأ من أن تدّعي القوة وأنت ضعيفٌ للغاية لا تقوى قول شيء، أو فعل شيء، أو خوض التجربة لأي شيء.. تستمع إلى عجزك دون مقدرة منك في إخراسه، أو مجابهته بما يليق بلؤمه.. ولا يوجد ما هو أسوأ من لحظات الفراغ والهدوء التي تتبعها زحمة الأفكار ثم الدموع، ثم البكاء والصراخ، ثم الصمت الثقيل، والبلاهة والتحديق في سقيفة وهمك.. ولا يوجد ما هو أسوأ من أن تعشق الظلام بقوة بعدما كنت تخشاه في أيام طفولتك.. ولا يوجد ما هو أسوأ من أن تحاول جاهداً في البحث عمّن يجيد الإصغاء إلى كل شيء ترغب قوله حتى تنتهي.. ثم لا تجد من يستطيع تحمل تلك المهمة!

\*\*\*

#### اعتراف (4)

مُثْقوبة ذاكرة المساء.. مُحَاطة باللاشي من كل حدبٍ! وانفطار هذا  
القلب يعاتب ذلك الألم العالق على غصن ابتسامة.. مفتونة بلمعات  
الدموع!



#### أُمْسِيَّة (4)

حاولنا مراراً أن نصبح أقوى مما كنا عليه، وحين نجحنا في المحاولة  
كُسرنا من أقرب الناس إلينا، وانهارت سعادتنا بفضل أعز الأشخاص  
على قلوبنا، وإذا أن جبرها لم يكن سهلاً كجبر الكسور التي أحدثها  
الغُرباء، لأننا لم نستوعب ما حدث، لأن قلوبنا التي وثقت بهم، أبت  
تصدق بأنهم سيخونون تلك الثقة ويقضون علينا بالخيانة التي لم نتخيلها  
يوماً..

## كل شيء.. ينتهي

لوددت إخبار البقية أن الرسائل لا يبقى عهدا، والمناديل،  
والورود، والكلمات التي وضعها الأصدقاء في دفاتر الذكريات ماهي إلا  
مجرد حكايات خيالية سيقصّها الزّمن المستقبلي بحرقه!

\*\*\*

## فقد أن!

ولجنا بين دموع وعويل، بين فتات وشتات. في شرفة كم انتظرت الليل طويلاً إذ كان الانتظار مهلكاً ليعبرها فتنام، وروائح الفقد باتت مشتعلة ولم يطفئها شيء. مشتعلة حتى أشرفت شمس باكية، والأوراق والحروف تدقّ على صدر حزنها بوجع. وطوى الانتظار صفحات خذلانه شاداً رحال العبور، جوارح خائفة يتوسّدها أنين طويل، ينسج الشوق خيوطه لرؤيتهم المستحيله للحديث اللامتناه معهم للكلمات الراكضة إلى قلوبنا كسكر على فنجان قهوة. ماتوا راحلين والفقد قد أطرق أبواب عناء برح معتكفاً بين أحشاء انتظار قد انتظر كثيراً.. يُستحال رؤيتهم سوى في المنام إذ كان من حظنا وهذا هو المؤلم في الأمر (قدّر الله ما شاء فعل) نردّها حمداً وشكراً على قدره وحكمه جلّ جلاله، كلما مرّت أطيافهم وتعالّت نوحاتنا. وبوجهة قلوبنا من نحب هو من يرحل باكراً وما غير ذلك هو من يمهلّه الله للتمتّع في الحياة. إن الفقد غصّة تبرح مدى عمرها عالقة بقلوبنا كالخصى! لاتهمّ نزولاً، ولا تفكر بعكس ذلك فيا لماراته! كم هو مؤلم حين لا تستطيع رؤية من تحب لأن الرحيل قد أصبح بملء المعنى رحيلاً. يُطرق بابك لينخبرك محدث الخبر: فقد أن، ثم يتجول بين المنازل ويخطف كل من غنى مواويله النشيطة يومياً، لا يلقي مكالمه هاتفية لإخبارنا عن قدوم، لا يكتب إلى ساعي

البريد رسالة أيضاً، يطرق الباب ويأخذ من كان يشبع قلوبنا بالبهجة  
فيرحل مليئاً بالانتصار، ونحنُ مضخّمون بالانهيار، بالبكاء والانكسار.

رحم الله كلّ روح افتقدناه ومكثنا بين تفاصيل الصور الخاصة بها  
حين خبئناها في صناديقنا لاستعادة اللحظات، والتفكير فيها كذكريات  
لن تعود يوماً كل روح اشتقنا إليها كثيراً.. آمين.

### موت

لا يوجد ما هو أسوأ من أن تحنّ إلى ميتٍ كان يعني لك الحياة برمتها..  
تموت أنت أيضاً من بعده ولكن بطريقة مختلفة..

\*\*\*

p. m 06:10

دموعٌ تسكب ما يجول في القلب، رياح تبوء محاولاتها في التجفيف  
بالفشل.. وسادة وقعت في حبّ البكاء حتى أصبحت ثقيلة  
كالصخرة.. شقيّ هذا المساء قليلاً!

\*\*\*



إنِّي من الأحزان تُغرق دمعتي  
جفني ويأسو بالنشيج غنائي  
أمسى وأصبح والنَّوى لي صاحبٌ  
والْبُعد يقتات الأسى بشقائي  
ربَّاهُ.. فالفقد الثقيل أغصّني  
وأصابني بالطعنة النجلاء  
هذا أنا أحسو المواجه كُلمًا  
هاجت حروف البؤس في إنشائي  
أنشأتُ من حبر الدموع حكايةً  
كوصيةٍ تسري إلى البؤساءِ

\*\*\*

لا شيء يستحق أن تندم عليه.. سوى ضحكة كبحتها بتأملٍ عميق في  
ذكريات مؤسفة ماضية!!

\*\*\*

## على طاولة القهوة

تستشعر شيئاً يحاول اللجوء إلى دفئك، يشعر بالقلق كطيرٍ استيقظ دون أن يجد أمّه، مؤمناً أنها ذهبت لجلب مايسدّ لعنة الجوع التي تعتصر حواياه النحيلة.. كريشة سقطت من أمّ الطير التي اصطادها رجل من رجال البراري قبل أن تصل إلى ذلك الطفل، معلنة الفقد المؤبّد... كدمعة سقطت من عينه بعدما انتظر لأحضانها كثيراً حتى بعد علمه برحيلها، لكنه مازال ينتظر مع كل غروب شمس أن تأتي إليه بينما يئن فوق غصن من شجرة يتيمة، تواسيه حرقه اليتيم!

## وصمة عبء

مساء الخير، صديقي المتربّع هنا، بقربي! لم يأت الخير بعد كما أردنا أنت وأنا، ننتظر تلويحة الأشرعة عندما تُنادى للرحيل من هنا إلى عالم آخر يسكنه نور خفيف، وتهيمن السعادة على جهاته الأربعة كما يحيط الهواء بالكرة الأرضية تماماً. لنا الله يا صديقي في عزلة ما من طارقٍ لبابها فيبادر بالسؤال عن فتاتنا فقد اكتفوا وعبروا بقسوة لا يضاهيها حديد، اكتفوا بمن يقسامهم السعادة لأنك وأنا لا نليق بهم قطّ، فالتوهّج لا يقع في حب الانطفاء، والتفتّح لا يقع في حب الذبول نحنُ وصمة عبء على عاتق قلوبهم! لن يسعهم الوقت للاعتناء بنا أبداً. إننا هنا لاجئان خلف خزانة الهروب مختبئان وراء الستارة المرتعشة الكمهاء، نهمس في أدنى بعضنا، ونتبادل التهديدات إذ أكتبني فأصطحبك معي للتسوّل بين مرّات السطور عندما أدركنا مؤخراً بأن لا أحد قد تدارك اختفائنا، هروبنا أنا وأنت منهم. لقد نجحنا في أمرين يا صديقي، الأول هو أننا اعتنقنا عزلتنا بحبٍّ أما الآخر هو أننا قد أصبحنا نجيد الهروب دون التفات دون دموع تلوّح! رحلنا، بتجاوز صادم. اعتنينا بقلوبنا يا صديقي، كنتُ أمزح أعني لم نستطع ترميمها حتى الآن، وسط أحضان كفّ النور تهرول في الجوّ الغائم كحفنة متهمّشة، كمرأة سقطت من نافذة غاضب، وفشلنا في الكثير من الأمور أهمّها: لوعة الانتظار، وترقّبنا المستمر لسماع أقدام شخص يمشي إلينا بهدوء ليعتذر. أتعلم يا صديقي أن العلاقات العابرة



تهدم كل شيء حتى حائط الشرفة والسقف الخاص بـ: (الأحلام)..  
نتمغنط تحت شمس الهاوية، على وشك السقوط، التراجع، والتدحرج.  
نبتهل القليل من التشبث من صديق يخشى فقداننا، بل يشكل فقداننا دماراً  
في حياته هائلاً.. كم الخيال قاتل، أمنيات الليل، حكايات القلم التي لا  
يحققها سوى ورقة ثم تأخذها الرياح بعيداً بعد إتمام آخر نقطة (دمعة)  
معلنة استحالة التحقيق لتلك الأمنيات المعاقة، وهلوسة الأفكار أيضاً،  
جميع تلك الأشياء: تزيد من عمق الجروح فأكثر، وأدنى التفكير فراقهم،  
أقصاه كيف استطاعوا اكتراث ذلك، وأوسطه عُزلة عانقتنا بعدما تنهنا بين  
مرارة الأدنى وحرقة الأقصى..

\*\*\*

a. m 30:12

وسط حقبة الذكريات، تجعّدت الدموع عندما تشابكت ببعضها  
وانكبّت عليها حروف ساخنة: كماء بحر، اتّقدت تحت غضب الشمس.  
ككوب قهوة طرد بخارها بهدوء..!

\*\*\*

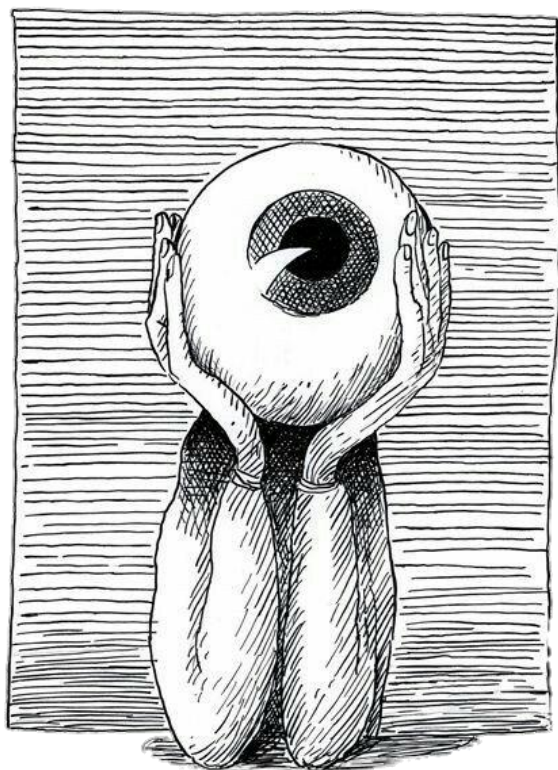
الصداع من قتلة الليل الذين يتسللون عبر النوافذ..

\*\*\*

## في الضفة الشرقية

ألتهم أحلامي برثاءٍ طويل، وأحاول بقدر ما أستطيع بالألا أسمح  
للشroud أن يتربّع حوزتي.. كل الأوجاع تتراصف فوق صدري الضائق  
به الحال، ولا جدوى من الإفصاح أو الشكوى إلى صنف البشر، فقد  
أصبحوا قُساة غير معوّلين لأحزان الآخرين ربما! أشاكس حظّي التعيس  
الملائم لي، وأتمنى لو أستطيع الركض إلى مقعد المدرسة، وحين أجلس،  
أتهياً معداً كامل عتاد تساؤلاتي المبهمة: هو إعراب المتعب في جملة (نام  
المتعب في وقتٍ متأخر). ومن ثم أقاطع معلمي الفاضل حين يقول بكل  
بساطة بأن المتعب هو الفاعل، أعاتبه قبل مغادرتي للصف، أهمس له  
وعبرتي تدفعني إلى الأمام: كان عليك أن تكمل العبارة (لذا هو وصل في  
وقتٍ متأخر)..

أنتم لا تقرأون قلوبنا.. تقرأون ما بالدفاتر فقط!



## طفولة عابرة!

فياليت، أبقاني الزّمن طفلة ألعِبُ بالدُّمى، وأبني بيوت الطّين بعد عبور المطر، حينما كنتُ أرقص تحت زخّاته دون تقييد من أحد. أتأرجح دون ملل فوق أرجوحة الطفولة. ياليت.. بقيتُ طفلة! أرتمي بين أحضان أمي، أخبئ وجهي على صدرها وتغنّي لي بحبّ وهي تدسّ أصابعها بين خصلات شعري حتى أنام. يا ليت.. بقيتُ طفلة! أُغني حروف الأبجدية بصوت مرتفع بفرحة، بفخر، دون خوف وأكتبها على الأسطر ثم يصفّق لي أبي يقبلني بحب.. حين يقول: بنتي الشّطورة. يا ليت.. بقيتُ طفلة! على مقعدي الصغير في الصفّ الأول وأحمل حقيبة الأحلام على متن ظهري دون تذمّر، أتناول الآيس كريم المثلج إذ أخشى أن يلامس ياقتي كيلا أتسبب في عناء والدتي أثناء تنظيفها لسرتي فيا ليت.. بقيت طفلة! أتوكأ على الحيطان في المشي وأخطو خطوتين فأسقط، فأضحك من نفسي، فأنهض مجدداً، فأتشبّث بأهداب ثوب أمي وأخبئني بين أقدامها بينما تنهمك في إعداد حسائي.. ياليت يا صديقي.. بقيت طفلة! لأبكي بصوت مرتفع دون خجل، دون أن تُخرس صرخاتي، لأعلن عبراتي عندما تؤخذ مني دميتي أو قطع الحلوى خاصّتي، ياليت.. بقيت طفلة! في النافذة تنادي العابرين، مسرورة بنطق الحروف، بالترنم حرة. يا ليت.. بقيت طفلة! ترسم بيتاً في الدفتر وشمساً في الركن الأعلى منه وغيوم تشر القطرات ببراءة واللّون خربشتي بحرية وفخر، فأعلّقها

على حائط الصف وأكتب تحتها اسمي. يا ليت كل ذلك يعود، لظليت هناك دون تفكير في العودة إلى هنا المخيف.

(منذ أيام الطفولة وأنا أحتفظ بعدد من التذكارات التي تبدو ساذجة، لكن رؤيتي لها كثيراً ما تجعلني أتذكر فترات مضت من العمر بتفاصيلها الرائعة، وعند ذلك تحضر الأيام الماضية أمامي حية زاهرة)

- محيي الدين اللباد

\*\*\*

p. m 59:5

بحاجة إلى سماع بشرى تحدّثني عن اختفاء الحقد، عن تلاشي الذين يجيدون كسر القلوب، عن تعافي أولئك الذي يعانون جفاف المشاعر، عن نهوض الأقوياء من جديد بعدما أسقطتهم المكائد في حُفَرِ الحسد، عن التثام الجروح التي انتابت الأمهات بعد فراق أبنائهنّ، عن جميع الأشياء الجميلة التي سلبها البشر من بعضهم.

تختمُ أنت ما أسهبه من أمنيات: عن انقراض الذين يفرقون بين  
الأحبة!

## ثمة أمنية!

ثمة أمنية..

تجول في خافق القفص

محبوسة..

وأضعت مفتاح العبور

سياجه ضيق..

والاجتياز مبهم غريب!

كُسر الجناح..

تأوهت الأمنية.. ماتت في القفص..

قبل تقيلها.. وأدتها بحرقه.. وأدتها والقفص.

### مرآة متكسرة!

تنسى وجهك لأنك لم تره منذ أيام عبرت بإرهاق، ولربما! خشية من رؤية البستان المحترق، ولربما! خشية من تفاصيل الهالات المدمرة مدينة جفنيك! تسقط من بين يديك مرآتك التي حملتها قبل رؤيتك لنفسك، تنغرس قطع منها بين أصابعك بتدرج سائح! تتوه بين انعكاسات الكثير من الأجزاء المبعثرة في قاعك، ويروي كل جزء ما وراء الحكاية.. عيون البوح منتفخة، والدّمع يمشي على صراط الرمش الرضيع. بحر جارف يغني في سلطنة جزء من تنهيدة أو جزء من مرآة.. تتجه نحو نافذتك المغلقة منذ شهور كالقرون، فتراجع إلى الورا خشية من شماتة الشمس.. على عمتك! خشية من ضوضاء المدينة.. أن تسخر من هدوءك! خشية من رياح الصيف.. أن توبخ اعتناقك لروح البسمة الميتة! خشية من وصول رسالة.. تعلن موعداً أخيراً للعزلة وأنت قد وقعت في حبها ولن تفكر في التخلي عنها قط.. ثم تصبح رافضاً رغبة احتياجك لأحد، تتمنى التلاشي بدلاً عن شفقتهم عليك ترفض أن تصبح صديقاً يُستغنى عنه، ترفض أن تُهمَّش، أن تُنسى. لذا قد تتحاشاهم فهم خيبات جميعهم دون استثناء... تنسى خريز الدّم الذي تختر في الأنامل الشابة والدمعة التي علقت في جذع الجفن المُشارف على التريث بين أحضان الموت! والتفاصيل التي صفعتك بها مرآتك المسلخة شعور قلبك. وفي مأزق الشرفة تقع وسط كومة تيه بين تفكيرك لفتح



نافذة مقابلة وبين تفكيرك لكنس أجزاء المرايا المبعثرة. تأبى فتحها خشيةً مرة أخرى من الرياح! أن تبعثر هذه الأجزاء من المرايا وتلصقها على جدران الحائط اللزج بالأسرار، فيعكس ضوء القمر تفاصيلك عليها، فتراك بصورة مختلفة وترى نفسك بشكل مختلف، تنام وأنت تعاتب شهقاتك لوحدهك..

أمّا أحاديث المرايا التي فضحت ما كنا نرفض سماعه، وسلسلت كل شيء لم نرغب في قراءته لنجد أنفسنا بغتة أشخاصاً آخرين بعد وقوفنا أمامها دون نية وإنّا صدفة أو صفة من كفّ صدفة لنستيقظ ممّا نحن عليه وندرك أنفسنا، وأين نحن... للمرايا أحاديث لا تكذب أو تجامل بينما يجاملنا الآخرون ليتحاشونا وجفافنا كي لا نصيبهم بعدوى الجفاف، للمرايا صراحة فذة لا يخالطها ريبٌ أبداً.. تعكس أشكالنا المأسوية بجديّة، وتحديثنا عن أشكالنا عندما كنا مُزهرين لا بائسين كما هو الحال. للمرايا أحاديث لا يُملُّ منها، فهي وإن كانت مؤلمة، يكفي أنها صريحة لا تجيد الخداع أو المجاملة!



p. m 59:10

يومٌ ما، ما يزال قابلاً فيك حتى اليوم، أنت تحاول تخطيه، لكنه  
يتشبهُ بك أكثر، بتفاصيله كاملةً، يعيد سرد نفسه دون ملل، يخلق في  
سماء ذاكرتك على الدوام، وما إن تحاول التقاطه منها، حتى يرتفع أكثر،  
 ويفرض وجوده أكثر، فترغم على معايشة ذلك اليوم، في كل الأيام.

\*\*\*

وأكد أختنق من هذه المشاعر التي أشعر بأنها تشعر بها أشعر به تارة،  
وتارة أخرى أشعر بعدم شعورها لما أشعر.

### ما بي.. يا ترى!

على عتبات الأمل، أنتظر فرصة عتاب ونلتقي. قد تكون من الفرص  
التعيسة لكنها أمرٌ سعييد للروح هويتها، حيث أُعيد إليك ما منحني  
وتعيد إليّ ما منحتك. نصفّي حساباتنا ونتصافح قبل المغادرة برحبِ  
جسور. نقطع الوعود لكلينا بأننا سوف ننسى بعضنا، ولن نقضي ليالينا  
في الألم أو نشعر بالوحشة مرة أخرى. تلوّح إليّ وألوّح إليك على عتبة  
الباب بابتسامة أتكى عليها قبل السقوط أو الولوج.. وفي هذه اللحظة  
التي أوثّق فيها تلك الفرصة كيف حدثت مازلتُ في حيرة من حزني  
كحيرة سيباويه من: (حتى) وكلما قررت الانتشال من ذكريات معك عاد  
إليها قلبي ركضاً، يتراجع عدة خطى ويعاود كرّته الساذجة.. آه كم  
تعتريني رغبة الهروب ليس منك وليس من هذا الوطن أو حتى مني  
وحسب، بل من الماضي الذي مازلت فيه مقيد. ليتني أجد شخصاً فاز  
في مهمة النسيان ليخبرني عن استراتيجيته كيف استطاع على تنفيذها!  
لا أعتقد بأنّي سأجد شخصاً فاز فيها، كل الذين قالوا: مع الأيام ننسى،  
ما يزالون عالقين حتى يومهم هذا؛ لأن النسيان مجرد حجة نقنع بها  
مشاعرنا، بأننا سنجتاز مشاق ما يؤسفها.. تُرى ما بي، أصبحتُ لا أشعر  
بأي شيء، أُجرح.. لا أبالي، أُخَيَّب.. لا أبالي، أُخدع.. لا أبالي. شيئاً فشيئاً  
تموت نكهة الحياة في عينيّ، كلّ ما أراه رماديّ وكلّ ما أسمعه صوت  
يسعل فراغاً وكلّ ما أشعر به هو اللا شيء في أيام اللا شيء!

p. m 09:11

ثم تحاول الهروب من نفسك، والهروب يفكر في نفس المحاولة!

\*\*\*

إن بائعة الورد التي سئمت الانتظار ولم يشتري أحد أي وردة مما تباع لم  
تبتئس لأنها لم تتدخر شيئاً من المال، بل لأنها خافت من أمرٍ واحد: الجفاء  
يقرع طبول حربه بين الجميع!

## سَنٌ مُبَكِّرٌ لِلْغَايَةِ

تعلّمتُ من الحياة الكثير من الأشياء وفي سَنٍ مُبَكِّرٍ للغاية.. وما زالت تعلمني فالعشرين عاماً أو خذلاناً في طريقه إليّ! إذ علّمتني بأنّ الأحلام المستحيلة لم تثق بهذا الحاضر المُحاط بالظلمة والخوف، لذا هي لم تُجَازَف وتقبل إلينا.. علّمتني أنّ الصّمت مهمّةٌ ثقيلةٌ للغاية، وحدهم المحمّلون بالحييات يستطيعون تنفيذها..

علّمتني أن الأماكن تصبح مُزعجة وجالبة للكآبة عندما يغيب منها من كان تعيننا كل أموره.. علّمتني أن النّوم ملاذ الهاربين من ضجيجٍ في ذكراتهم!



### اعتراف (5)

وفي الجزء الهادي من تواجدي.. ثمة اعترافات هائلة، أبلتُ سوءاً  
حين سجنتها واقترفتُ ألماً جديداً بحق قلبي هذا! حتى باتت تنقر  
جدران ذاكرتي باستمرار.. أشعر بك يا أنا، تتألمين كثيراً.. حسناً، لا  
عليك.. سيبتسمُ الخطُّ يوماً.



## أُمسِيّة (5)

في هذه اللحظة، أحاول جاهداً في عقد صداقة مع هذه البعوضة  
 المشاغبة المُحدثة لهدوئي الكثير من القلق، وأتمنى لو كان باستطاعتي  
 الوصول إلى من يقوم بقطع الكهرباء لأخبره بأنّ دعوات المسنين الذين  
 لا تقوى حيلتهم على تحمّل الحرارة قد تسبب له الكثير من المتاعب، أو  
 إخبار مسؤول هذه الدولة بأننا نعاني كثيراً، والكثير من الحقوق الصغيرة  
 مأخوذة منا منذ أعوام طائلة! لا أعرف إن كان هناك من يشعر بمعاناتنا  
 المزرية، ولكن قدرتنا تحللت، وصبرنا بات ينفذ، وفيضانات التحمل  
 توشك على الانفجار.. إنني أشعر بالاختناق كثيراً في هذه اللحظة، ليس  
 لأن الكهرباء منطفئة، والجو حار، والهواء مَيّت، والبعوض يتراقص  
 بخفّة ساذجة، والهدوء يخيّم القرية بأكملها في هذه الليلة الطويلة! أنا  
 أشعر بالاختناق لأنني أكبر ولا شيء من تلك الأمانى يكبر معي، أنظر  
 إليها كل يوم حتى أصبحت بحجم الكفّ أحملها كلما قررت البحث عن  
 فُرص تجعلها تكبر وتساوى في العملاقة.. في هذه المدينة كل الأحلام  
 ليست قابلة للتحقيق، وإن أنجبت حلماً فخبئه عنهم كي لا يتم دفنها  
 وأنت تنظر إليها مكتوفٌ من كل شيء حتى من رغبتك في البكاء! لقد  
 أصبحنا نُخرس ألسنتنا بأنفسنا كي نبقي على قيد الحياة، كون حُرّية  
 الاعتراف بتلك الأحلام سوف تسبب لنا الكثير من المشقّات، وقد نُقيّد  
 ونتلقّى لمهزلة السجّانين كلما شعروا بالملل من مهمتهم.. هذه البعوضة

المشاغبة ما زالت تثرثر في أذنيّ، يجب أن أطفئ هذه الشمعة البريئة..  
وأخلد إلى شبه النوم، إلى العتمة المرموقة بحزني.. وبؤسي من هذا الواقع  
البائس..

## وحيد في الوحدة

رغبة معدومة لتناول الأكل واحتساء القهوة أو التحدث وقراءة كتاب وكتابة نصّ أو فتح الباب، النهوض من السرير، أو شرب الماء.. لا رغبة في شيء سوى التفكير العميق جداً. التفكير الأعماق في عمق القلب فقط، تتناول أدويتك بإفراط بين حين وآخر قريب وعندما تشعر بأن فيروس الحزن انتشر بين أجزاء روحك، تحمل هاتفك ليجيء من يساعدك على التنفّس الذي يتضاءل تدريجياً قاتلاً كالذي يُحرّس كينة حادة في الأيسر من صدرك! تجدّ الخطوط مشغولة عنك مع آخرين أهمّ بكثير فتستسلم للغياب عن الوعي لعلك تغيب مؤبداً بعد مقاومتك التي علّقت أملها بصوت من يجب على مكالمته. تريد أن تصرّخ بحجم الألم الذي وتّد استيطانه في بلدتك الداخلية، تريد أن تنادي وبصوت مرتفع، أن تبكي بحرية دون خجل، أن تبكي كالأطفال وتسلسل الأشياء التي تؤلمك جداً، أن تعانق صديقاً يقول مواسياً: ابك أكثر.. أنا هنا.. أن تسمح لدموعك بالتدفق حتى تستقلّ بتنفسك ويستقرّ نبضك.. يتجاهلونك عندما تكون بحاجة إليهم وينسونك بينما تنتظر قدومهم ويستغنون عنك عندما يحين وقت الاعتناء.. يستولي عليك الصداق ويهيمن الدوار عليك حتى تقع في المنتصف دون أن تنادي.. دون أن تستطيع طلب النجدة. تقف على قدميك الهامدة الثقيلة الأشبه بجثة ضحية ماتت بغتة مرة أخرى.. ثم تقوم بالدور الذي قام به خالد صدقة

حين قال: (بطريقة ما، أستطيع تدبر الأمر في النَّهار، أما في الليل أقف في وسط الشرفة كشخص ذليل وبلا خبرة كأنه أخرج حواسه من العلبة الآن ولا يعرف كيف يستخدمها).

وكالعادة المعتاد تذوق مراراتها توقظك حرارة من خفيدات شمس ما بعد العاشرة صباحاً! كل شيء فيك.. ميت، والأمر الذي على قيد الحياة هو شعورك بالأسى لتجاهلهم عنك، وتجاوزهم تلويحات نجدتك.. رحلوا، ولطالما وددت أن تتكى عليهم بعدما توكؤوا عليك طويلاً وجففت عيونهم طويلاً وسهرت معهم حتى بزغت الشمس (واسيتهم بنبل).. فتصبح بحاجة قصوى بعد ذلك إلى جرعات كافية، من النسيان والتجاوز والعزلة والاختفاء والنوم والصمت والنضج والقسوة والنهوض والوقوف والاستغناء كما فعلوا. بحاجة إلى الكثير من الأشياء التي قد تواسي تورطك في فجوة وحدتك..



a. m 36:12

أنا فريسة الخشيات، لذلك أبدو قلقاً على الدوام.

\*\*\*

من وسادة مخدول، قفزت دمعة إلى الأعلى، ولم تعد!

\*\*\*

قلبي تعيسٌ تائهٌ ومؤرقٌ

والليل يمخر بي بدون سلامٍ

وعمامتي حجبت نوافذ فكري

ورؤاي قد تاهت مع الأوهامِ

فتسير قافلة العبور كأنني

أمضي بأحلامي بدون خطامٍ

## انتظرت كثيراً أن يأتي إليّ صديق ليطمئن

فلم يأت.. أن يطرق تفكيره بي، فلم يصاحبني الحظ أبداً، خلف النوافذ ترصّدتُ لصوت فرقة الأصابع تطرق بخفية بعدما ينام الجميع، فلم يطرقها إلا السراب وحصى الغبار الصغيرة.. ترقّبتُ لحركة مقبض الباب كثيراً، لكنّه ما يزال مهجوراً غمره الغبار منذ السّابع من أبريل وهو على قبيلته، ولم يمسه تغيير. وانتظرتُ لرسالة تنزلق من أسفله لكنّها وللأسف لم تنزلق، فالرسائل لا تبعث نفسها إلى الآخرين ولا تكتب نفسها إلى أحد دون إذن من مرسل. انتظرتُ أن يأتي لانتشالي من نفسي المتعبة. يفتح الستائر، يسمح لضوء الشمس أن يملأ الشرفة لكنه وللأسف لم يأت.. حتى هذه اللحظة لم يأت. إن لعنة الانتظارات الحمقاء كانت من أشدّ الأمور التي أخشاها، ولكن الإفراط في الخشية من بعض الأشياء هو ما أدخلني بين أحضان هذه العوالم من نفسي حتّى أصبحت فاقدًا قدرة التصنّع وتقبّل أفكار الهائمة بالأوهام الليلية

p. m 13:8

إنَّ التَّأَلُّمَ عَلَى إِخْفَاءِ مَا يُؤْلَمُك، وَالاعْتِيَادَ عَلَى وَشْمِ السَّعَادَةِ الْمَزِيْفَةِ  
عَلَى وَجْهِكَ ظَلَمٌ بِحَقِّ نَفْسِكَ، لَا تَقْسُ عَلَيْهَا بِمِرَاكِمَةِ الْأَحْزَانِ، وَلَا  
تَحَاوُلَ أَنْ تَشْعُرَ بِالسَّعَادَةِ وَأَنْتَ لَمْ تَتَخَلَّصْ مِمَّا يُؤْرِقُ قَلْبَكَ وَيَهْلِكُهُ، وَلَا  
تُلقِي بِنَفْسِكَ إِلَى تَهْلِكَةِ الْكُتْمَانِ الْمُفْرَطِ، لِأَنَّهُ السَّبَبُ الرَّئِيسِيُّ فِي تَوَلِيدِ  
الْأَوْجَاعِ وَتَكَاثُرِهَا..

\*\*\*

لَا أَعْرِفُ إِنْ كَانَ سَاعِي الْبَرِيدِ، قَدْ أُصِيبَ بِدَاءِ الْكُورُونَا!



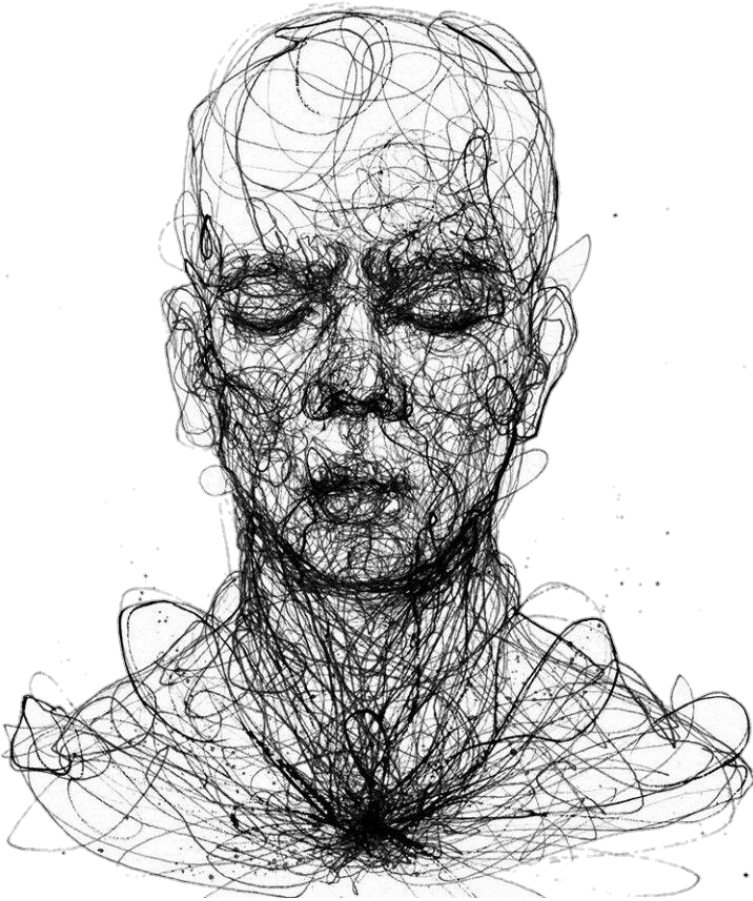
## يُؤْسَفُكَ أَنْ تَعْتَرِفَ وَبِكُلِّ فَخْرٍ طَاعِنٍ!

أَنَّكَ الْيَوْمَ وَحِيدٌ. وَحِيدٌ بَعْدَمَا كُنْتُ تَعَدُّ أَصْدِقَائَكَ ثُمَّ يَتَجَاوَزُونَ  
عَدَدَ الْعَشْرِ الْأَصَابِعِ، وَالْيَوْمَ كَفَّكَ مَقْبِضٌ لَا خَنْصَرَ تَوَلَّتْ الشَّتَاتُ وَلَا  
بَنْصَرَ عَانَقَتْ هَذِهِ الْهَشَاشَةُ.. وَفِي مَوْطِنٍ رَوْحِكَ، تَفْتَشُ عَنْ هَوِيَّةٍ  
انْتِمَاثِكَ، تَبْحَثُ دُونَ اسْتِسْلَامٍ، تَطْرُقُ الْأَبْوَابَ بِتَبِيهِ بَعْدَمَا يَتَغَلَّبُ عَلَيْكَ  
شُعُورُ الْغَرَبَةِ، ثُمَّ تَتَسَاءَلُ: هَلْ أَنْتَمِي إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ.. الْجَدْرَانِ تَوَاطُؤُهُ  
لِلْأَرْضِصْفَةِ، وَالْأَشْجَارُ وَالْأَعْمَدَةُ سَوَاءٌ، وَالسَّمَاءُ تُشَبِّهُ حُزْنَ الْأَرْضِ، وَكُلُّ  
مَا فِي هَذَا الْكَوْكَبِ مُتَرَادِفًا، كَمُجَنُّونَ يَرَى شَخْصًا يِمَاطِلُهُ فِي الْمِرَآءِ،  
تُنَاصِرُكَ عِبَارَةٌ عِنْدَهُ خَالٌ حِينَ قَالَ: (كُلُّ الْأَمَكْنَةِ مُتَشَابِهَةٌ، إِذَا أَحْسَسْتَ  
بِالْغَرَبَةِ) تَجْثُو وَأَنْتِ تَزْفَرُ شَيْئًا يَلْتَحِمُ فِي عَيْنِكَ، وَكَلِمًا زَفَرْتَهُ عَادَ لِيَلْتَحِمَ،  
وَكَأَنَّهَا دَعَابَةٌ مِنَ اللَّيْلِ تَنْسِيكَ خِيَانَةَ الْأَصْدِقَاءِ عِنْدَمَا هَجَرُوكَ وَتَلَاشَوْا  
مِنَ الْأَوَّلِ حَتَّى الْآخِرِ، مِنَ الْجَدِيدِ حَتَّى الْقَدِيمِ. فَعَمَتَمَ مَسَاءً أَيُّهَا اللَّاهُ  
أَصْدِقَاءُ!

a. m 22:12

الأرواح التي لا تؤذي تُؤذي كثيراً، والتي لا تكذب يُكذب عليها كثيراً، والتي لا تحون تتعرضُ للخيانة كثيراً، والتي لا توبّخ تُوبّخ كثيراً، والتي لا تهدم الآخرين يهدمها الآخرون كثيراً، والتي لا تحب فقدان أحد، تفقد كثيراً.. الأرواح الطاهرة ضحية الأرواح الخبيثة!!

ولكنَّ الأولى وإن أهلكها البشر كثيراً فإنَّ الله يحبُّها، ومن أحبه الله أحبَّه أطيّب الناس، وحظيَ بأنقى الناس في آخر المطاف..



### لا بأس

سوف تُباغتك صفعات من أقرب الناس إليك وقد يبكيك أحبّ الناس إلى قلبك وقد يتسبب في تعثرّك من كان يظنّ قلبك البريء بأنّه ملاك الكون الأبيض! سوف يلقي بك أشدّ الناس عشقاً في جوفك إلى مستنقعات الضياع، سوف تأتيك طعنات في أوسط ظهرهك، ودموع تُغرق ذاتك العفوية في نهر الألم لفرط الملاحظات التي نسفت سلامك إذ تقرأها بعمق قاتل لجوارحك! قد تباغتك وجوه غريبة، وتصادفك ملامح وتستوقفك مواقف لم تكن تتخيّلها يوماً قطّ! سوف تكون بحاجة إلى من يستأصل الأشواك التي وضعها شخصاً غادرك بعدما قام بزرعها في جوفك دون أن تدري، سوف تحاول أن: تكبت الآهات والغصّات والكلمات والدموع. الدموع التي تُجرف كما تجرف الشلالات المستلقية في غابة قلبك، سوف تواجه مصاعباً وأوقاتاً أصعب وتحسب بأنك الوحيد في هذا العالم. إنّها ضرباتٌ يمرُّ بها الجميع، لا أنت بالوحيد الذي سيمر بها، ولا أنا بالوحيد أبداً.. وكل ما أنا متأكّد منه بأنها ستمضي، بعد أن نتعلم منها دروساً لم تعلمنا إياها المدرسة.

## ما تزال مملوءاً

بالكثير من الاعترافات، على الرغم من تحدُّثك الذي استمر لساعات مع صديق لك.. بالكثير من الحمل الثقيل على صدرك، وأنت الذي لم تذر شيئاً إلا وصرَّحت به ذات انفجار نفسيّ، بالكثير من الحزن، وأنت قد عانقت السعادة قبل عودتك إلى شرفتك ذات الروائح البؤسية النفاثة! بالكثير من الأرق، والصمت والهدوء الذي زفرته ذاكرة مسائك الرافض قناعة التجاوز، ومحاولة التعايش، ومناصرة الأمل، والوقوف في صفّ التفاؤل.. بالكثير من الحكايات التي رصدها الليل على صفحة السماء، وكنت البطل المتقمّص دور القوي السعيد، وأنت عكس ذلك خلف الكواليس.. بالكثير من الغصّات، ونثر حقائق البكاء والاعتراف بها!

### اشتياق مؤقت

واشتاقتُ لقلبها القديم كشوق معصمها للساعة وأذنيها للأخراص،  
شعرها للدبوس، أصبعها للخاتم، عنقها لعقد اللؤلؤ، شفاهها للحمرة  
وعينيها للكحل وأكتافها للمعطف ورأسها للعمامة وملابسها للعطور.  
كانت تحنّ إلى قلبها البشوش والوجه الضاحك في كل وقت والصوت  
العذب دائماً والروح الخفيفة كالظلّ الخفيف والأحاديث التي لا يَمَلُّ  
المستمعون من سماعها والضحكات العفوية التي تطلق سراحها دائماً من  
حنجرتها الأنثوية.. سئمتُ دقة الملاحظة في دراسة المواقف التي عبرتُ  
والتفكير في نسيانهم، أو نسيان التفكير بهم وقضم أصابعها في ركنها  
الخاص بهلع مستمرّ، واشتياقها المؤقت كل يوم، وعندما تستيقظ تهم في  
نسيانهم وما أن يحلّ المساء تصارع كيفية النسيان فتنام وندبة استوطنت  
قلبها.. وقلبها يركل أضلعها يودّ الانتصار، الهروب، والتسلل خارجاً  
عن نطاق سجنها المؤبد تحت رحمة سجّانها (العُزلة).. كانت تبكي  
وعيناها مجففتان، تصرخ وفاهها موصّد، تتحدث ولسانها ساكن، كانت  
تقاوم وهي مغميٌ عليها في خزانة الثياب، يبحثون عنها وهي مقيدة بقيود  
الاختباء.. وكانت بحاجة إلى قلبها القديم أيضاً كحاجة الشرفة إلى  
الضوء، وترانيم العصفير!

a. m 12:7

الشيء الوحيد الذي يذكرني بك هو قصة مجنون ليلي التي كنت  
تحدثني عنها دائماً.. وشيء آخر تذكرته الآن هو عبارتك التي تختم بها  
أحاديثك قبل تلاشيننا عن بعضنا: إن فرقتنا الحياة.. قولي لها فلتنعم  
بالبقية، أما أنا فسأعقد مع الموت صلحاً وأسافر إليه.. نقطة.

\*\*\*

لا يهمكم من الوقت مضى وأنا مازلتُ مختلفياً عن الجميع كي لا أراك  
بهم.. المهم هو أنني أصبحتُ فولاذياً لم يعد أي شيء يؤثر بي... أنا في  
أحب نفسي بشدة قصوى، بقوة لم تلحظها من قبل

\*\*\*

### نتواجد في شبه الحياة..

ثم أصبحنا جامدين، هادئين، خامدين، لا مباليين، نسير في نفقٍ تحت قصر الكتان المشيد بلعنة الأسى الذي حاوط خاصرة الحرية والاستقلالية... قلوبنا حافية الثقة، تمشي على صراط العبور، لا مبالية لأشواك السبيل الحادة، أو هطول الألم على موطن القلب الغرير.. مسالمين لا ننتمي إلى أي طائفة من طوائف الحب المزيف، نسعى وراء تحقيق الاستقلالية حتى لأحزاننا.. أُصَبْنَا بفويياء من الثقة..! لم نعد نثق بأي شخص في هذه الحياة.. بعد الكثير من المعاناة التي آلمتنا جراء تلك الثقة المفرطة..

وما قاله خوان خوسيه كان فعلاً الأمر الذي ما زلتُ أعانيه حتى هذه الثانية: عدم الثقة بالناس، الأمر الذي لم أشفَ منه بعد.

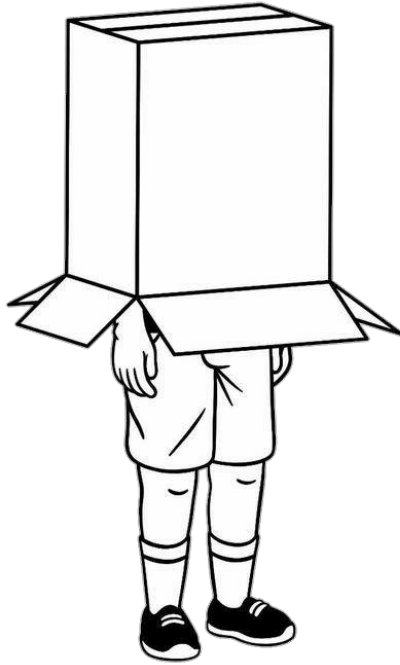


## حكاية صمت

هذا الصّمت علّمني كيف أتجاوز، ومن التجاوز تعلّمتُ كيف لا أبالي، ومن اللامبالاة تعلّمتُ كيف لا أحزن دائماً، وهذا اللا حزن علمني كيف أكون هادئاً جداً، وهذا الهدوء علمني كيف أصبح عادياً، والعاديّ هذا علّمني كيف أعبر دون استدارة، والاستدارة هذه أخبرتني بأن الذكريات تعود بفضلها، ومن الذكريات تعلّمتُ أن الحياة عبارة عن رواية، وفي تلك الرواية سيختفي الأصدقاء ويصبحون ذكرى، ومن الأصدقاء تعلمنا كيف نكتفي بعنايتنا لنا فقط..

ولفرط ما أن وقعنا في حبّ العزلة، أصبحنا معتمدين لا يرونا في الصّباح لأنّ المساء موسمنا فقط، نرتدي الوشاح الأسود والعمامة السوداء والمعطف الأسود والكندرة السوداء ثم نغادر لتعزية قلوبنا إذ تولول في ركن من مبنى بعيد على أفق جبل يطلّ على قرية مهجورة لا نصلها إلا بعد تحطّي غابة مهجورة طرقها وعرة! وفي منتصف حديثنا مع رؤساء العدم، نهدأ بعد ضحكة طويلة نتفادى دمعة سقطت كصاعقة في منتصف الليل، نهرب واضعين أكفنا على أفواهنا كي لا تلتحق الشهقة بالدمعة ويكشف كل ما خبئناه منذ زمن مرير ونعود لنثبت كرامة صمتنا بأنها فقط دمعة ضحكة وقعت لفرط الضحك فيغيرون الحديث شفقةً بنا (ملاحم قاتلة) فيدوسون على كرامة (صمتنا)..

وجهةً غير صحيحة نسير فيها رغم قراءتنا لللائحة المانعة للعبور،  
أرض مزروعة بالقنابل المتفجرة وأخرى تبعتها بكيلوهات (مقبرة  
قديمة) تعانق أرواحاً لا تستيقظ إلا في المساء، نمضي كمجنون فقد عقله  
أو نسيه على طاولة الطبيب حين ذهب للمعاينة فهرب أثناء بكاء أشواقه  
وإلحاحها للركض وراء صوت طفل مفقود ينادي في شوارع الذاكرة..  
(الخامسة والعشرون ندماً) ما قالته الساعة المعلقة على حائط القبو  
المخفي أسفل القلب المغبر بالألم، هل هو توقيته حين وقع في فخّ الندم  
قبلنا، أم هي عقارب الأقدار تعيد نفسها للجميع! (إلا ثلاثون خيبة)  
مهلاً يا سادة.. هناك خيبات أخرى في الطريق ليستعدّ الجميع..



a. m 24:2

صباح الخير يا أمي وبعد، آذوني البشر، وأغلقوا أبواب السعادة في وجهي، احتجزوني في قفص البكاء، وجلدوني بالجفاء، وأسروني بالعناء.. وها أنا أكتب إليك وسجّاني يزجر بضعفي، ويزدري بقلّة حيلتي، أنحتُ لك على جدار هذه الزنزانة الطيني بأظافري ما يجول في خافقي، لا تبالي ألم أصابعي، فحين يكتب الإنسان إلى أمه يشعر بالحرية حتى وإن حاصروه بالفيّ جندي وحارسٍ مُسلّح، حين تأتين لزيارتي قد لا تجددين سوى رائحة اشتياقي إليك، وعبرة نحتّها بأظافري التي لطالما اعتنيت بنعومتها تنص على: أنا ميتٌ من اللحظة التي حالوا بها بيني وبينك يا أمي.. ميتٌ منذ زمن طويل.. أخبرني الله بأنهم آذوني فلا حجاب بين دعواتك ورب الإجابة أبداً.. (وداعاً)

حَاطَبْتُهُمْ خَجَلًا وَالْقَلْبُ يَشْجِينِي  
عَادَرْتُهُمْ أَلَمًا وَالْدَّمْعُ يَشْقِينِي  
فَلَذْتُ مِنْ شُرْفَةِ الْأَحْزَانِ خَائِفَةً  
وَعَبَرْتِي تَسْكَبُ الْأَوْجَاعُ فِي عَيْنِي  
عَانَقْتُ كُلَّ وَسَائِدِي وَالسَّهَادُ عَلَى  
جَفْنِي وَكُلَّ تَلَا حِينِي تَعَادِينِي  
مَهْلًا أَيَا قَلَمِي مَازَالَ فِي خَجَلِي  
حَرْفٌ وَقِصَّةُ أَحْلَامٍ تَوَاسِينِي  
لَيْلِي وَأَنْشُودَتِي الْخُرْسَاءُ وَاجِمَةٌ  
وَالْكُونُ بِالشَّعْرِ وَالشُّكُوى يَنَاجِينِي

\*\*\*

ارتجافٌ حادٌّ، في فصل الصيف، رغم إغلاق النوافذ، وإطفاء التكييف  
وثقل اللحاف، للقلب فصوله الخاصة!

\*\*\*

### وأصبحنا نسئم الاتكاء على الأكتاف

فقد أصبحنا نثق بحنية الجدران كلما احتجزتنا مشاق الأيام..  
نخاطبها ونطرق عليها رؤوسنا النائمة في فراش البكاء، نتحسّسها عندما  
يبقى التّوازنُ أصغر من الصفر، فتصبح الحالة في موضع السالب كون  
الأيام موسمٌ سلبي يمر ببطء كعجوزٍ واهنٍ.

اعتراف (6)

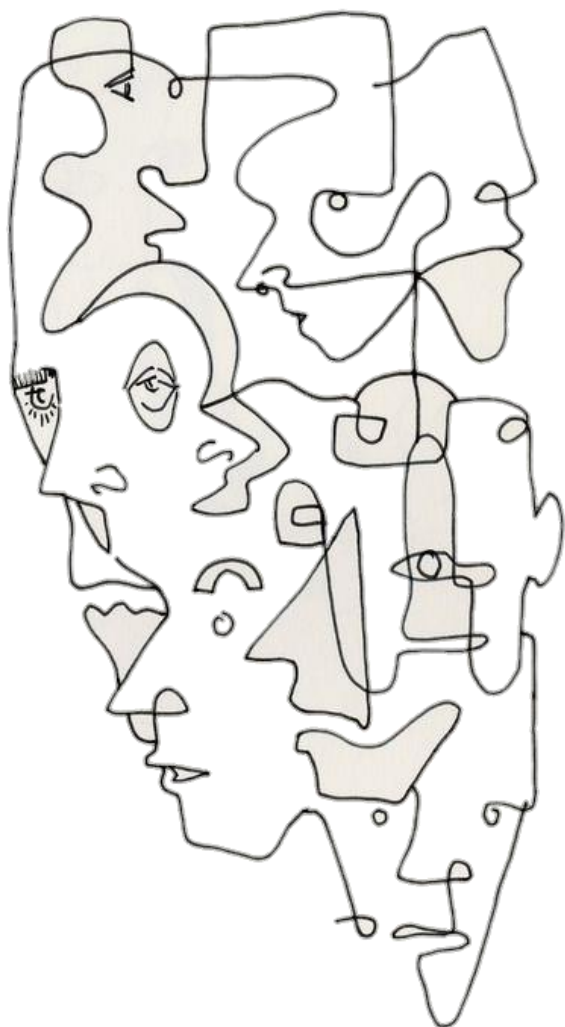
مهما كنتُ محترقاً في هذه العزلة، وحاوطتني شيخوخة الأحزان  
وأسقمْتُ موبوءاً بعجز المسنين وحساسيتهم المتغلبة على أرواحهم  
المرتعشة فإنني أشعر بالكثير من الفخر كوني أطفئ نيراني برؤوس  
أصابعي دون صراخ أو تهليلات نجدة! أنا شخصٌ يكتفي حتى بانتياره.  
صامتٌ وصمتي عيباً لست أخجل منه..

أُمْسِيَّة (6)

إِنْ سُئِلْنَا كَمْ أَخَذَ مِنَّا وَقْتًا لِلنَّسِيَانِ سَتُتِيهِمْ إِجَابَاتُنَا عِنْدُنَا نَخْبِرُهُمْ  
بَأَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ قَدْ أَخَذَ الْكَثِيرُ مِنَ التَّنَفُّسِ وَالنَّوْمِ وَالرَّاحَةِ وَالنَّشَاطِ  
وَالْقَلِيلِ مِنْ أَجْزَاءِ الْقَلْبِ وَالْأُورْدَةِ وَالشَّعُورِ بِالْحُرِيَةِ حَقَّ الشَّعُورِ.. قَرَّرْنَا  
أَنْ نَنْسِيَ بِكَامِلٍ إِرَادَاتُنَا دُونَ إِكْرَاهٍ أَوْ تَحْرِيزٍ وَلَكِنَّهَا أَفْعَالُهُمْ جَعَلْتُنَا  
نَتِمَكَّنُ مِنْ فَعْلٍ ذَلِكَ دُونَ تَرَدُّدٍ، بِأَنْفُسِهِمْ جَعَلُونَا مُتَصَلِّينَ مَعَهُمْ.. كَمَا  
يَقُولُ أَحْمَدُ خَالِدُ تَوْفِيقٍ تَمَامًا: (النَّسِيَانُ بِالنَّسِيَانِ وَالبَعْدُ بِالبَعْدِ، وَأَنَا لِنَفْسِي  
وَأَنْتَ لِأَمْثَالِكَ) وَبَلَا شَكٍّ فَإِنَّا خُضْنَا تَجَارِبَنَا الْحَرِيَّةَ مَعَ الْإِخْتِنَاقِ  
وَتَسَاقُطِ الشَّعْرِ وَالتَّنَفُّسِ السَّرِيعِ وَقَضْمِ الْأَطَاقِرِ وَتَصَاقُلِ الْأَسْنَانِ  
وَالْإِرْتِجَافِ فِي الزَّوَايَةِ الشَّقِيقَةِ وَالرَّكْضِ لِلإِخْتِبَاءِ تَحْتَ السَّرِيرِ فَوْرَ  
سَمَاعِنَا لِأَقْدَامٍ تَمْشِي نَحُونًا وَوَضَعَ سَبَابَاتُنَا عَلَى آذَانِنَا خَشِيَّةً مِنْ سَمَاعِ  
صَوْتٍ يَصْرُخُ فِي وَجْهِ هَلْعِنَا أَوْ صَفَقِ الْأَبْوَابِ أَوْ حَفِيفِ الرِّيحِ أَوْ زَقْفَزَقَةِ  
الْبَابِ وَالنَّوَاظِدِ الْخَشِيَّةِ.. لَا تَعْرِفُ كَمْ يَصْبِحُ اللَّيْلُ مَهْلِكًا حِينَ تَصْبِحُ  
رُؤُوسَ أَصَابِعِ الْأَقْدَامِ قَارِسَةً وَالْجَسْمَ سَاخِنَ كَمَكْوَاةِ الثِّيَابِ وَالْقَلْبَ  
يَغْرُقُ فِي حَبْرِ السَّخُونَةِ الْمُتَّقَدَةِ. أَقْدَامٌ ثَقِيلَةٌ تَعْبُرُ بِجَشَعٍ مِنْ فَوْقِ رَصِيفِ  
الْقَفْصِ الصَّدْرِيِّ الْهَشِّ.. وَأَمْطَارُ الْهُوَى تَهْطُلُ لِتَنْبِتِ أَغْصَانًا لَا وَرُودَ  
فِيهَا، وَأَشْجَارٌ لَمْ تَتَمَّرْ إِلَّا نَبَاتِ الْقَطْرِبِ الشُّوكِيِّ لِيَنْخِزَ الْبَقَايَا الْمُسَاءَ عَلَى  
حَافَةِ الْخَشُونَةِ الْمُتَعَالِيَةِ بِجَبْرُوتِ أَعْوَجٍ.. مِنْ سَمُومِ الصَّيْفِ تَنْسَابُ  
الرِّيحُ السَّاخِنَةُ مُسْتَشْرِسَةً إِلَى قُلُوبِنَا عِبْرَ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ كُسِرَتْ وَلَمْ



نستطع إصلاحها فأيدينا ترتجف، وكلما طرقنا مسهراً طرقنا الأصابع  
وتراجعنا إلى الوراء نتأوه بوجع دون مقدرة على الصراخ إلا ملوحة  
الدموع التي تتأثرت فوق الجرح بتسلل وكأنها تقول: اصرخ.. ابك!  
ونبّخ عطهرهم الذي أهده إيانا ذات خداع ليتخدّر الجزء الذي طُرق  
بالمطرقة. لم ندرك حينها بأننا سوف نستخدمه كمخدّر بدلاً عن ذكرى  
جميلة! لأن الهدايا كالابن الذي يمنع والدته من حقوقها في الحياة بعد  
رحيل أبيه مع غيرها "حقيقة مؤسفة"...



## عطرهم، والورد الكاذب

ولأنهم يعرفون كم أنك تعشق الورد، لأن قلبك بستاناً لا يخالجه  
 ذبول، ولا يعترف بالذبول، ولم يقع في حب الذبول يوماً أو يقع الذبول  
 في حبه، يترسون أيامك بالباقيات الكاذبة وهدايا العطر الفخمة! ولأن  
 قلبك نقّي قد تغريك هدية إلى الدرجة المائة والثمانين من حزين يعاتب  
 إلى سعيد يهّل قصائد قيس لليل. ترفض أن يشاركك أحد في عطرك  
 الذي أهدي منهم، تحبّه بين ثيابك كيلا يتسلل أحد إخوتك دون أن  
 تدري فيبخون عليهم العطر الذي أصابهم بإغمائه بعد خروجك من  
 المنزل، وانتشرت رائحته بين أرجائه حتى الطابق الأعلى.

تغضب عندما تجده في اليوم الثاني قد نقص وبخّ منه الشقيق الأكبر  
 أو الأصغر.. فتصرخ! وكأن كارثة وقعت في شرفتك، ليس لفخامة  
 العطر.. ربما؛ بل تريد أن يبقى معك دائماً لتذكركهم مع كل بخّة تلهمك  
 الحياة أثناء مغادرتك لوجهاتها... وبعد أيام تجد بأنك تبخّ بعشوائية  
 لينتهي ولعلّ حبهم الذي خدعوك به (ينتهي).. ومع كل بخّة تحرقك  
 غصة وتسيل دمعة وتراودك بحّة ليتولّى البكاء مهمته في عزلتك التي  
 عانقتها بفضل غدرهم لودّك. تتوجّه إلى قفص الورد التي أهديك إيّاها  
 ذات صباح احتسيتها قهوة الحب معاً على طاولة المحبة، فتجد بأنها ذابلة  
 وقلبك ووجهك ومشاعرك وعينيك وأنت جميعكم ذابلون وكل شيء فتر  
 مع فتورها، تبكي بحرقه كيتيم يئن فوق قبر أبيه.. ووردة أخرى

وضعوها بين دفتي كتاب أهدوه إياك بعدما قرؤوه (حسبما قالوا) تستلقي  
على ضفة صفحة تكمن عبارة قرأتها بطريقتهم حينها لتقرأها اليوم  
بطريقتك فتجد بأنك كنت مغفلاً لأنك كنت نقياً وهم عكس كذلك..

\*\*\*

أَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ فِي

هَذَا الْمَسَاءِ

أَنْ يُجِبَ الْأَوْفِيَاءَ

الْأَنْقِيَاءَ

الَّذِينَ تَعَرَّضُوا

لِحَادِثِ الْخِذْلَانِ

فِي مُحِطَةِ الْجَفَاءِ

فَأَصِيبُوا بِبِتْرٍ فِي مِشَاعِرِهِمْ

وَرَضُوضٍ فِي قُلُوبِهِمْ

وَكُسُورٍ فِي أَرْوَاحِهِمْ

حَتَّى قَيَّدُوا فِي أَسْرَةِ الْعِجْزِ

يَتَأَوَّهُونَ بِكِتْمَانٍ حَادًّا!

a. m 56:2

من حزن حظك، أنك اليوم تبخ عطرم الذي أهدوه إياك فلا تشعر  
برائحتة.. لأنهم رحلوا

\*\*\*

### أنا أبكي

تائه.. في ركن دمعة

صبتني نجمة عبور

في طريق الهاوية

أرتخي والارتقاء!

يرتخي..

بين أحضان السراب

متشبث بالهروب

تحت ماء الخبر

أصب ذعري

في ذاكرة صفحة

مهلاً أيتها الريح.. أنا أبكي

### كم مرةٍ

كم مرّةٍ يجب أن تتحدث عن الشخصية الضعيفة التي تتمتع بها في هذه الأيام الماردة، كم مرةٍ يجب أن تنتظر من يوقظك من كابوسك المرعب والقاتل، كم مرةٍ يجب أن تجازى بالصفعات بعد أن غمرت الجميع بالطيبة والتعازي لموت مشاعرهم وإخبارهم بأنها فترة ثقيلة وستمضي.. كم مرةٍ يجب أن تحذر قلبك بأكذوبات الليل كلما عاتبك عن سبب إهمالك له!

\*\*\*

### محاولة فاشلة!

توصّد نوافذ الحنين فتأتي به الرّياح، من أسفل باب الشرفة.. رياح الحنين قاسية..



## تَقْلِبَات

تَقْلِبَات فِي الْمَشَاعِر:

من ضحك إلى بكاء

من سعادة إلى حزن

من مرح إلى انهيار

من بشاشة إلى عبوس

من مزح إلى جدية!

تحدث تلك التقلُّبات عندما ينادي صوت من أصوات الماضي ثم يبدأ شريط الذكريات بالتسلسل فنغادر تاركين نصف ضحكة أو كلمة، أو حركة مرحة.. نصبح في حالة استياء من الأشياء التي لا نقضي يومنا إلا بها ونغادر الأشخاص الذين لا يكتمل العمر دونهم ونتجاهل الأحاديث التي كانت من أبلغ اهتمامتنا ونسحب من المواقف التي نعشق خوضها ونكتفي بإيلاء في كل رأي يُتخذ. نضع أشياءنا في أماكن غير التي اعتدناها ونرتدي أشياء لم نرتديها من قبل ونتناول أطعمة لم نمضغها من قبل ونحتسي الشاي ثقيلًا ونحن نُفضله عكس ذلك.. تقلُّبات مزاجية تفقدنا رغبة العيش بسبب شخص جعلنا كذلك معدومي الرغبة من كل شيء.. نشعر بالكثير من الحزن لكننا لا نستطيع البكاء، ونبكي أحيانًا بغتة



هكذا دون موقف مبرر للصراخ المفاجئ.. نودّ فعلاً شرح ما بداخلنا  
لكنّنا لا نقدر، ثمة شيء ما يقيّد حاشية التعبير، ويميت الحروف  
فنتسحب بهدوء خارجي متفادين فوضى الداخل أن تهول إلى الخارج..  
نضع حوِجراً بيننا وبين من اعتدنا انقضاء الأوقات معهم! نطرق  
الأبواب برؤوس أنامل خجّلة بعدما كنّا نداهم بعشوائية ومرح كونهم  
قد اعتادوا ذلك منا، نشاركهم جلساتهم بهدوء أمّا أحاديثنا لها العزاء فقد  
ولّت، نُصبح أشخاصاً ليس أحياء فقط نمشي لكنّ الروح في عالم آخر  
يشبه الموت!!

\*\*\*

a. m 16:9

أنا المتّيم بالفصول.. هائمٌ بالربيع، والخريف صبايتي، الشتاء أغنيتي،  
والصيف قصيدتي..

\*\*\*

فقط عندما تتظاهر بأن كل شيء بات عادياً لا يستحق الجدل سيدركون بأنك فعلاً قد أصبحت جدياً مع نفسك والأصدقاء والحياة ومن هم على متن كرتها الأرضية! إننا في آخر المطاف نستشعرنا جيداً، بأنه علينا أن نتراجع قبل السقوط فلا شيء يستحق أن نوذي أنفسنا من أجله.. تصفعا الأصوات المنادية في دواخلنا قائلة: إنهم في مكان آخر يحققون أحلامهم.. ماذا عنكم، هل تقبلون مغادرة الحياة مُدْلُون فارغون من كل شيء!!



### فتصبح بحاجة إلى أن تعامل بلطف

كما لو أنك طفلاً، فالتصرف معك كقويٍّ دائم ناضج لا يبالي، أمر يزيد من زحمة الألم على فوهة الفؤاد العليل... أن تجد من يحدثك عنك، ليبرهن كم هو قد فهم على ما تودّ بوحه لنفسك قبل الآخرين، أن يرسم خارطة تأخذك إلى وجهتك التي تودّ الوصول إليها لكنك لا تملك تلك الخارطة... أن تجد من يشعر بكل شيء تمرّ فيه ويسرد القصص الخزينة التي قصّتها حياتك الرمادية في باحة الفضاء الفارغ من الداخل.. أن تنام كالأطفال تصحو وأنت تضحك دون حزن لأمر عبر، أو قلق من آخر آتٍ... ثمة أمانٍ "صغيرة" لو أن يحققها الأصدقاء..

## دمعة وطن

عندما نمضي جراء الغياب عبر بوصلة لهفة لامتناهية وأمنيات لا أمل  
لديها سوى عناق صفعه حميمة.. تتمنى رحيلهم فيأبوا ذلك إلى أن يعدّوا  
وجبة تلفح حرارتها سخونة ولذاعة فلفل.. يعبرون فتعبر أرواحنا  
بعدهم لنبقى بعدهم دمعة وطن غرقت بالأسى وأغرقت الجميع معها.  
وأن نقول دمعة وطن، فإنه ليس أمراً هيناً أن تنفجر آبار تلك الدموع،  
الوطن الذي نقطن به لكننا مع ذلك نبقى لاجئين في المنافي التي اعتادت  
تلقي دموعنا التي تُذرف بحرقه بعد أن كُسرت قلوبنا وتناولنا نكهة  
المراة على أرصفة الوحدة وشعور عدم الانتماء أو عدم رغبة الشعور  
بذلك الانتماء (من الآخر)، ضائعون أضعنا بطاقة الانتماء إذ هرول  
صاروخاً فهربنا لكنها ورائنا وقعت، بل عانقت الرُكام ونحنُ نُهتأ بين  
شوارع البرد وصارعنا جوع الأمان، الدفعى والمأوى وسُلبنا من كل شيء  
لنا.. تمزّقت أمانينا ودُفنت بهجاتنا بذلّ مستعصف بطموحاتنا.. وعلى  
حافة السقوط: صرخت طفلة الأحلام فأوقع الصراخ بها إلى أرض  
الضياع معانقة دُمية المأوى الوحيد لوحدتها بينما تهمهم حافية الأمل  
عارية الدفعى والشتاء يقضم أصابع أقدامها بأسنان عنيفة.. يحاوطها ظلام  
مستمر هسيسه خفيف وشيء يشدّ بشعرها من الخلف إذ تصرخ في عالم لا  
تُسمع به الأصوات.. قطّ.

:p. m 02 :9

إذا سئمت من المبررات وتفسير مدى حزنك قل من الآخر: أنا يماني

\*\*\*

### لا أريد لهم أن يعودوا

لطالما فكَرْتُ غالباً في الأصدقاء كم أنهم يشبهون الأبناء الذين ينسون آبائهم حين يشيخون وعند احتضارهم يأتون من أقاصي الدنيا من أجل بصفة ميراث ليس إلّا! حين أموت يا أمّي أخبري جميع أولئك الذين أحزنوني ألا يأتوا لتعزيتك.. لا تقبلي بالذين جنوا على روعي أن يعزوها بكل بساطة يا أمّي! فقد أنزلوا الدموع من عينيك. عينك تلك التي بإمكانها محاربة كل هذا العالم السخيف من أجلها.. من أجلك أنت فقط فقط فقط... يا وردة قلبي!

\*\*\*



## ما يزال صوت عقارب الساعة يطنّ في أذنيك

رغم تحطيمك لها قبل قليل عندما قلت لنفسك إنّ يأتِ أحد في منتصف الساعة التي تخوض هلوستها، ستنهض وتطرق الباب بنفسك، فتعلن الجنون الذي يتسوّل بين ممرات انتظارك للحظة تشيح بنظرك فيها إلى النجمة الهزيلة المختبئة خلف غيمة الحبّ الأبله بخوف كطفلٍ اختبأ خلف والدته خشيّةً من غاضبٍ يلحق به ليبرحه ضرباً.. مازلت تلوم نفسك على ترقّبك لإتيانهم، وتلوم اللوم على مضايقاته لك كثيراً وأنت الذي لم يسّم الانتظار للحظة، حتى بلحظة اليأس المحيطة بك.. أيها القلب المنغمس بين بقايا بقاياك المتبقية: كم أنّ المساء محظوظ بك.. بشحوبتك!

## لم نعد صغاراً

تترعرع الأوليات كلما تقدّمتنا في العمر، والصفعات تنجّبها الحياة يوماً تلو الآخر! تؤذينا قصص لم تروها الأمهات اللواتي كنّ يقرأن قصص النوم تلك. ملامح جديدة في عالم العبور، وجوه عارية الضحكة، مليئة بالكثير من الكلام لكنها لاتقوله، عيون ذابلة وأفئدة تتنهد باستمرارية! لم نعد صغاراً فقد أصبحنا ندرك معنى تلك الأشياء التي كنا نجهلها.. وعلى عاتق الحديث نتذكر أيام الزمن العليل هذا لنخبر أجيالنا بأننا عانينا كثيراً بل كنا نلوّق مرارة الليل ومرارة النهار إذ يتساق الهَمّ والأسى وشعور الضياع بتوقيت دقيق جداً، لعلهم يستعدون لكل شيء قد تعدّه الحياة ضدهم... عندما كنّا صغاراً نبكي كلما صُرخ على وجوهنا أو غُضب علينا أو أخذَ منّا شيئاً يَخْصُّنا، نهول إلى الأمهات ونحن نشير بسباباتنا الصغيرة إلى من اكرث بركان البكاء الذي ضجّ من حناجرنا، أمّا الآن فقد التزمنا الصمت في كل شيء، فعندما يصرخون ننسحب بجمود، وعندما يغضبون منا نوميء بالاعتذار حتى وإن كانت التبريرات مقنعة لما حدث.. نهرب إلى الشرفات مكابدين شهقاتنا وندسّ بكائنا بين الوسائد كي لا يسمعون صراخنا، نشير إلى القلم ليأخذ بثأرنا بوضع كلمات نرصدها في ورقة ما نضعها فوق منضدة شرفة الجلوس فترحل بعدما نكتب كل شيء وددنا البوح به لكننا خشينا التحدث والمواجهة والتعبير والبكاء أمامهم، ثم نهرب قبل أن يروا الدمعة التي تقيأتها عينٌ

حائرة، نهربُ إلى جذع شجرة تأوينا وتعانق بوحنا نسلسل مآسينا  
المتراكمة وكل شيء حتى ننام ودمعة صغيرة نامت فوق الجفن المسودَّ  
وشهقة صغيرة لم تنم بل تترصد اقتراب من يحضنها لتنام وكلمة صغيرة  
سقطت من حافة البكاء واعتراف صغير عانقته الشجرة الحنونة كسرَّ  
صغير يبقى دفيناً في ذاكرتها إلى الأزل..



| دائماً أقول: لقد كبرتُ ياسادة.. لم أعد صغيراً

وما إن أرى أمِّي يتحنَّى ما قلته جانباً |

\*\*\*

a. m 09:12

كانت تمسّط مشاعرها وعينيها تنظر إلى مرآة الذكريات.. وبعد انتهائها  
وجدت المشط محسّواً بالكثير من التهنيدات المتساقطة بكثافة!

\*\*\*

لا تهرب من أوجاعك قبل أن تتخلّص من تفاصيل أولئك الذين  
تسببوا في تنمرها عليك كأن تنفيهم من ذاكرتك.. وقلبك!

أستطيع!!

## لم ينادني سوى ذلك الصوت الهامس

الذي يودّ أن يستلقي على ذات الأريكة الهادئة، ونتحدّث عن ثُمن  
الدمعة، ومرارة سُدس التنهيدة، وموت العُشر- من صنف الكلمات التي  
خدمتها رغبة المشاركات المفقودة منذ أيّام طويلة.. وأهربُ من فكرة  
الحاجة إلى أحد، إلى الاحتواء، والعناية والاهتمام.. معاتباً قلبي على  
مواقفٍ عبرت قبل وصولي مرحلة النضج هذه.. كنتُ أُلحّ على الاهتمام،  
والعناية، والتساؤلات لماذا؟ وأعاتب على تقصيرهم تجاهي لماذا؟ لم  
كنتُ أفعل كل ذلك، دون اجتهاد منهم لأجلي، ولو لمرة واحدة فقط..  
لأجلي أنا يتكلّفون، ويسابقون إشارة المرور للوصول بسرعة، أو  
يبحثون عن محل ورد مفتوح في وقت ممطر أغلقت فيه جميع المحلات،  
أو يحاولون تحبئة الكتاب الذي يودون إيصاله إليّ داخل المعطف كيلا  
يتبلل.. لأجلي أنا!



## مقعدٌ متحرّكٌ

في غيبٍ يرتديه الضباب الغائم أمام نافذة الشroud يهتزّ مقعدٌ متحرّكٌ  
في سكون طويل وانسراح تعقبه ضجة الأفكار وعرس الضياع يتخثر على  
حذايفر نافذة خشبية مقابلة ينخرها سوس الذكريات حتى بدت معلقة  
كاعتراف في حبل غصّة، عيان مغمضتان وتنفس بقيّ في الداخل آهياً  
الخروج خشيةً من ضوء الشمس.. دموعٌ تسيل بجمود دون إصدار أي  
صوت تعبر من فوق خطوط الأجفان المنعرجة دون اكتراث فوضى كون  
فوضى ما بداخل البئر تكفي.. الأفكار حيارى من الوصول إلى نقطة  
النهاية والذكريات تحيء وتوليّ كأّم توشك الولادة والحنين يعلن  
صرخاته باستمرارية، والدموع زائغة بتهديدٍ قاسٍ بينما هي تودّ التحدث  
بكل شيء يعتصرها.. عقارب الساعة لا تكفّ الثروة كبومة تسلسل  
بوحها حتى تشرق شمس الهروب لأنها لا تبالي سخرية العابرين من  
أحاديثها بل تثرثر دون انتهاء (يا لحظها حرة البوح دائماً) جزء من ضوء  
يعبر شروح النافذة محملاً بالكثير من غبار العتمة بالكثير من تساؤلات  
الليل بالكثير من الإجابات التي لم تُخلق لها الأسئلة بالكثير من الأسئلة  
التي لم تُخلق لها الإجابات بالكثير من الصداق اللعين والتناقضات اللا  
راحلة!

p. m 38:11

أُحِبُّكِ أَنَا، لِذَلِكَ أَتَسَلَّلُ إِلَى قَلْبِكَ عِنْدَمَا أَكْتُبُ لِأَكْتُبِكَ

لو تعلم يا شقيقي العنيد كم من العناء أسديت لأمي لانسحبت من تلك المعارك التي قررت خوضها ببسالة على الرغم من صغر سنك لأتيت إليها ركضاً وقفزت إلى أحضانها ثم انحنيت إلى أقدامها لتقبلها وأنت تبكي تطلب منها المغفرة. ينام الناس إلا امرأة تفكر فيك بحسرة وتتساءل بضيق: (يأثرى هل هو في مكان دافئ، إنهم في الجبال والطقس بارد) وحين يتناولون الطعام تضع اللقمة من يدها متسائلة بألم (يا تُرى هل يأكل شيئاً، أهو يتناول وجبة الطهاطم المخلوط بالجبن المفضلة لديه) وحين تحتسي الشاي تتساءل فيما إن كانوا يقدمون لك الشاي المهيل الخفيف. إنها تعرف حق المعرفة بأنك في حرب، قد تنام في كهوف الجبال أو على تلالها الباردة، تنقطع عنكم الموارد الغذائية لأيام عدة، بالكاد تجدون عيناً تسقيكم، فأنتم من غواص الصحاري يا أخي. لو تعرف كيف يخفق قلبها حين تسمع صافرة الإسعاف تولول، وحين ترى جثث القتلى على التلفاز، حتى أنها بدت تخشى مغادرة المنزل هروباً من الثروات والدعايات التي لا تكف عنها النساء المنافسات مهمة الإعلام بل أشد من ذلك.. هذه النافذة قد اعتادت على قلقها كلما وقفت أمامها تنتظر عودتك أو جزعتك من هناك أو هناك، وكلما سمعت صوت صبيها هرعته من حيث تجلس حتى تتأكد وتعود بخيبة أمل حين تدرك بأن ذلك ليس صوتك.. كل شيء هنا يحن إليك و(الأماكن كلها تشتاق لك)

مقعدك المدرسي، وأساتذتك، وزملاؤك وأصدقائك والخضار وصاحب  
البقالة والجار والجد وأبوك وأمك وأبوك وأمك وأبوك وأمك..  
وأنا يا أخي أهانت هذه الدموع عيني العامستين التي تلقبها بـ(الكوريّة)!  
عدّ أرجوك.. وقل جملتك التي اعتدتها منك دائماً كلما وجدتني أتحدث  
إلى الأوراق: سيشتكي بك القلم يوماً!! اشتقتُ إليك..

### صباح الوجع أيها المساء

أو مساء الألم أيها الصباح، دعنا نكسر روتين ما نقوله بزيّف لبعضنا  
كل يوم.. فقد أصبح للمساء صباح ساهد، وللصباح مساء بارد.. في آنٍ  
واحدٍ تنام نسمة مساء في حضن الصباح، وتتقيأ غيمة صباح يتيمة في نهر  
المساء.. في عيون المصّبّحين بالخير الكثير من تعابير المساء المتصاعدة  
بتعبٍ وعناء، وفي عيون من يمسون بالخير الكثير من الفتور الذي شربوه  
من شمسٍ أصابها كسوف مباغت! الصبح والمساء أصبحا متشابهين،  
فالتأثر مُسدلة، والنوافذ موصّدة، فقط شمعة في منتصف الشرفة،  
وغرق في صحراء الاستفهام، عقارب الساعة تسير في الاتجاه المعاكس  
(يبدو كذلك).





### اعتراف (7)

ربّما فكرة الاختفاء، كانت مجازفة بحقّي ومستقبلي المجهول في كتيّب  
(مُبهم) لكنني شخصاً طوّقته حساسية الضوء، وقعتُ في حبّ الظلام..  
ربّما هذا/بعض شيء!

أمسية (7)

أشدّ رحال مشاعري مسافراً فوق سجّاد الهروب، أقع في همّ صحراء  
وأصبح متصحّراً أشعث الكلمات. آتي إلى تلك الأجزاء التي تناثرت  
خلفي ظمآنًا وألهثُ كطفلٍ هارب، صديقي صديّ مهموم يردّد ما تبصقه  
حنجرتي من صراخات متتابعة، وشمس الغروب تروح خجلةً من عجز  
العون الذي لم تسده لي خلسة! أرواح الأطفال القاطنون في مقبرة قلبي  
ينبعثون من بين أصلاب العتمة، يكون وأنا الذي أبكي دون دموع،  
يصرخون وأنا الذي أصرخ دون صوت، يركضون وأنا الذي أركض  
دون أقدام، يصفّقون وأنا الذي أصفّق لرموش وحدي دون كفّين!  
شمس الحكاية تشرق بطقوس النهاية، معلنة نهاية الأحداث التعيسة،  
المؤسفة، الجالبة للانقراض من عالم الضجيج. تشبّجت تلك الدموع  
وسط زحمة الأفكار، والبسمة تنمو بجفاف على ضفة شفاه ممزّقة  
بإطلائها المأسوية، تروي تعاسة القصص التي غسقتها زئبقية الأيام  
عندما عبرت بانسحاب.. أنا لستُ حزيناً ربّما، أنا فقط وجدتُ الحزن  
وحيداً في شارع الفراغ، فاصطحبته معي لنتشارك شعور الوحدة، ونخبر  
كلينا أننا في المأزق ذاته. إنني تائه فقط يا صديقي، أشعر بالضيق في  
صحراء المجهول، تنساق دقائق البطيئة إلى حضن الزوال، منصاعةً إلى  
بؤرة الموت! أودُّ احتساء الشاي مع صديق مُستاء، لكنني أصبحتُ  
شخصاً بخيل المشاعر وفقير الكلام. قد لا أستطيع تبادل الأحاديث معه

حتى بإيلاء أو تلميح، سأتوّج عينيّ إلى زجاج النافذة، لن أُقابلها بعينيّ الكائن المقابل، سأواسيه بتنهيدة في كل مرة يحاول فيها شرح كم أنّه حزين. حزين للحدّ الذي لا يستطيع وصف ضخامة ذلك الحزن، سأسمح لدمعتي الهادئة الاحتياطية أن تنزلق ليعلم كم أنّني أشدّ منه بؤساً... في هذه اللحظة، تحديداً مصابّب بصداع الهدوء، كأن أصواتاً تتحدّث وتسكن، وكأن هناك من يعبر ويختفي، وكأنّني أغرق في بحر لا يبلّ ماؤه أحداً وكأنّ صوتاً يهّلّ ما قاله سيغموند فرويد: (لا يمكنك أن تجد السعادة وأنت غارق في حديثك عن الألم)

إنني أصرع شعوراً لا أقوى عليه يا صديقي.. أحتاجك وإن كنت تزيد من كل تلك الاضطرابات.. تعال وحديثني عن السعادة، وعلمني كيف يتحدثون بها.. كي أجدها!



## ثَقَّةُ كَلِمَات

تتركُ فينا أثراً..

منها ما يحيي مشاعرنا

ومنها ما يميّتها!

منها ما يهدمنا

ومنها ما يبيننا...!

هي مجرد كلمات..

لكنها تستطيع أن تؤثر على قلب الإنسان كثيراً.. حتى أنها تستطيع

دفنه وهو حيّ..

p. m. 52:8

لا شيء جديد.. سوى أنني أصبحتُ أكبر الألم وأصغرُ الأمل بكثير!

## أصبحت هادئاً لا أقوى الالتفات!

ممارساً طقوس الهدوء كل يوم، مُهاجراً كل ما لا يعنيني وإن كان يعنيني أمره من قبل، أرفض إسراف عمري هذا في اللامجدي، قاتم أحبّ الأشكال الملونة بالأسود والرمادي، أعشق الجوّ ضبابياً، والسماء ممطرة والرياح راقصةً باستمرار، تناول القهوة المرة من أولويات الليل، وقراءة الكتب ذات الاضطرابات المزدحمة في قلب كاتب من متطلبات قلبي الأساسية.. أنا أحب الجلوس بمفردي دائماً كهذه اللحظة مثلاً. أعشق العزلة بشكلٍ مُفرط...! فلا شيء يمكنه أن يضاهي لذة الخلوة مع النفس والقهوة والكتب والعزلة..

## قناعة

ويصبح للقلب رغبة الميول إلى التخلي بدلاً عن الإلحاح في التماس الاهتمامات.. وما نحنُ بضئيلي القيمة كي نُعرّض إلى مهزلة التهميش، فإن كُنّا شيئاً ثميناً تواجدنا وإلّا نكن، كانت المغادرة هي الخيار الأرجح!

p. m 07:11

أنا الوحيد بين الجموع، الصامت الثرثار، الضاحك الباكي، السعيد  
التعيس، المُلْهُمُ المُحْطَم، المضمّد الجريح، القويّ الضعيف، أنا التضاد  
بعينه.

\*\*\*

## استفهام

ما شعرتُ يوماً بأني غريبٌ إلا حين افتقدت من بينهم وجهك!  
ما ذنبي إن كنت أنتمي إليه؛ لأنه وطني..

\*\*\*



### غبرة النسيان المؤجل تسودني باللاهناء

أنام لكن الانتظار ينوب عن أفكاري إذ يبقى مستيقظاً لعل المسرة  
تطرق أبواب قلبي وأستيقظ بضحكة ودمعة تؤكد أنني سأصبح بخير  
بعد الآن وسأتحرق من قفص الغياب وأقفز من نافذة دمعة.. وكل ما يثير  
ذهول تلك النافذة هو أنني السجين والسجان، والعزاء والمعزي، والتائه  
والباحث والغريق والمنقذ، أنني أنا وهم، لذلك أشعر بالنقص؛ لأنهم لم  
يأتوا..



## قحط المشاعر

فتسيرُ مؤجلاً في عالم يؤجّل السعادة للحظة خنوع. مصاباً بداء  
الجفاف في أرض خلوتك، حارقاً في صحراء تيه، ظمآن مشاعر، بحاجة  
إلى بئر ودّ.. يا إلهي كم يحيمني الضيق - هكذا تنادي.. في فراغ ببداء -  
تحملُ مأسيك على أكتافٍ وارقة بالانهيار، وتركض وراء غيمة.. لتأويك  
حرقة شمس الظهيرة! ثم تنظر إلى الوراء لتجده توأمٌ للأمام، رمال ناعمة  
وقلبك الخشن فقط في الحدث، أمّا روحك فمتهالكة كزهرة تستسقي  
قطرة ماء على الأقل. تُعترك ابتسامة أمل قبل انطلاقك إلى أحضان  
البكاء! حين ترى عن بُعد خيمة من خيام البادية! فتزحف إليهم محملاً  
بقحط المشاعر، فيخبرونك بأنه قد اجتاحتهم منذ أعوام لذلك هم هنا  
هاريين من خضرة البشر المصنوعة من الخيانات والكثير من المكائد التي  
يحكونها لبعضهم.

\*\*\*

p. m41 :5

وخلف تلك الابتسامة الواسعة، أحاديثٌ أنجبتها شفاهٌ مثقلة  
بالصمت..

وإذا بكيتُ كما اليتيم.. بمفردي  
من ذا الذي يمحو بلطفه أدمعي!!

## مساء الخير أمّي...

آمل أن تقرئي هذه الرسالة بين ثمة أوراق قد تجدونها يوم غدٍ بعدما تأتين إلى شرفتي الأشبه بالتابوت.. أن تقرأي هذه الورقة تحديداً، وإن كانت ستوجعك.. لكنني أريد أن تتخلصي من تلك التساؤلات التي تؤلم قلبك من أجلي.. أريد إخبارك الكثير من الأسرار: أنني حزين أولاً، لكنني لا أعرف لماذا، ربّما الكثير من التفاصيل الجالبة للحيرة قد ترابضت دفعة واحدة عبر فوهة موقفٍ كان الأشد وجعاً.. أنني محاط باكتئاب حادّ ثانياً، وأنني قبل قليلٍ بعثرت كل شيء في هذه الشرفة رأساً على عقب بحثاً عن مُسكّن أو جرعة تخدّر هذا البركان المقتحم ببلدة قلبي بعنف، أردت إيجاد تلك الجرعة دون اللجوء إلى فكرة المغادرة من الشرفة، دون مناداة، فصوتي لا يرغب الإفصاح قطّ، حتى وإن أخبرتك من قبل بأنني لن أتناول أي دواء.. لقد أصبحت أخشى العالم كثيراً يا أمي. لم أقم بفتح الباب الذي طرقته ليلة البارحة عدة مرّات لأنني متعب ثالثاً، ولكن حاشائي أكون متجاهلاً لجلالتك يا نبع قلبي، بل لأنني لم أكن أرغب أن تري ذلك الاحمرار الذي وتّد أمسية على رفوف عيني، فتحرمين عينيّك من النوم، وأنا أعودُ بأن ينقضي الليل وأنتِ تفكرين بقلق حول ما يحدث معي.. يقول فولتير يا أمي: (حجر الأم هو المكان الآمن الذي تستطيع أن تسند إليه رأسك وأنتِ مرتاح ومطمئن) لذا أنا أحبك أولاً ورابعاً وعاشراً وآخراً، فابتسمي الآن يا حبيبتي.. فكل المآسي هيّة وأنتِ بالجواري دائماً.. أحبك

## صديقي الخيال

على ضفة لهفة.. أترقبك

مجيئك، لاختطاف مشقتي إلى حقيبتك

فنهرب مسرعان قبل الشروق..!

نغني المواويل على غصن عناق

نرسم الأشواق، هاربان إلى نجمة خلاص، نغرُفنا من لحن

نهر فنسقي حبنا، بائتمان

تحت قصيدة، أنا.. رصدتها

لأجلك!

\*\*\*

على طاولة واحدة، الحزن، الحنين، الخوف، والألم..

هناك مقعدٌ شاغر!

## فتشعر بخجل انتمايك

لعالمك البائس هذا دون أن تدرك بأنك البؤس عينه، تسير موشحاً  
بالحزن وتظن أنك الوحيد الذي وقعت بين أحضانه حتى عانقك إليه آهياً  
إفلاتك مرة أخرى.. تنكأ على ظهر غيمة وتطوف بين أسوار البحث  
المستمر عن شيء مفقود منذ أيام ولطالما أردت أن يقنعك الأمر الذي  
جعلها تروح بسرعة دون أن تعانق شيئاً من حلوها أو مسراتها، فتؤسفك  
فرصتك التعيسة حين لم يحالفك الحظ بأن تلتقي بالسعادة.. تؤسفك أكثر  
عندما تدرك بأنها عبرت وأنت غاطس بوجهك على وجنة الحشرات  
المبجلة بتوسلاتك لعودة لحظة ما هُدم فيها كل شيء لتصلح كل شيء!

\*\*\*

## رسالة

وألقيتُ في منتصف الهروب.. رسالة

أعثرت لهثي نحو نافذة الانتشال:

من مهابط السراب.. وفحيح الليل

تقول: لا مفر من العزلة..

التجول خارج المنازل.. ممنوع!

\*\*\*



p. m 28 :1

أنت لا تعرف كم هو مؤلم، أن تكتب ما أوجعك،  
فيقرأه من أوجعك!

\*\*\*

### تلك النهاية

التي ولطالما انتظرت أن ينتهي بها كل شيء: حزني، وأسفي  
وانتظاري الوهمي وما يجلب الهلاك لقلبي.. انتهى الزمن قبل أن تأتي!  
وإذ أختتم حديثي يا أمي بعد مناهدي لأوجاعي بالطرق العدة التي  
فشلتُ بها.. تعثرتُ مراراً وأنهكتني تلك العثرات بعدما أصابت  
مشاعري بالكثير من الرضوض والكدمات، انتخبْتُ العتمة كحلٍّ نهائي  
لأتعثر بين جدران احتراقي دون أن يراني أحد أو ينتصر لذلك الحزن  
الذي أقيم بقوة في موطني المشرد. الموطن الذي لم يترادف والأمن منذُ  
زمنٍ مريـر...! رَبِّ ضحكة قد تعيد قوامي من جديد يا أمي، إلا أن تلك  
الأشياء المتخلخلة في داخلي ستبقى على مرِّ العمر حتى اليوم المؤاتي للفناء  
الأبدِي.. اعترافي جالب للأسف كثيراً، لكنها الحقيقة يا عزيزتي!

اعتراف (8)

قوية.. كأمي..

لك أن تخاف الآن من قوتي..

كونك تعلم بأن قوة الأمهات لا تُنافس.. لا تُقهر!



أُمْسِيَّة (8)

أدركتُ مؤخراً أن كتابة الأشياء الحزينة يجرف كل مايثقل القلب من  
براكين البوح المتختم بمزيج الحزن المدجج تحت حكايات الروح  
المتهالكة الفاقدة رغبة العيش والمضي من جديد في معركة الحياة  
اللامنتهية! حبوتُ على أسطح الأسطر الباردة بحثاً عني والشيء الذي  
أشعر بعدم تواجده والجزء الذي أشعر بأنه قد وقع من تلة قلبي إلى ندبة  
لُصقت بذاكرتي المليئة بالأحداث الميتة!

ركنتُ أسئلتني على زواية التفكيرات المحاربة هدوئي حتى نسفته  
لأخوض ضوضاء لا تعترف بأمر يقال له (هُدنة)!! كانت الكتابة ملاذي  
الآمن يا أمي دافئة كأنها أحضانك حنونة كأنها كفأك التي تضعينها على  
جيني كلما سادتنني حُمى الليل! ولطالما قرأت الكثير مما كتبت في هذه  
العزلة عندما كنت تتسللين بعد منتصف الليل لتجدي بأنني قد أطرقتُ  
رأسي الثقيل فوق أوراق غيبوبة أحدثتها عبارة أو نص حشرج كل شيء  
حتى انهمرت دموعي وزفرت آخر تنهيدة لأغمض عيني ساهداً بإرهاق  
متعجرف!

كانت الليالي تمشي ببطءٍ يا حبيبتني لأنني لم أتواكب والنوم العميق  
منذ أيام طائلة! خسرتُ حيلتي في معاركها التي خضتها مع تفكيراتي  
الممزوجة بالتناقضات المؤهلة للانتقال إلى مرحلة النهاية الحتمية..

استنزفتُ الكثير منِّي محاولاً استئصال تلك المآسي المتكوّرة في شتاء قلبي  
الطويل فصله، خاطبتُ القمر من خلف النافذة وأصبحت أجيد لغة  
الجدران الأربعة، وقد كانت حنونة يا أمّي، خاطبتني بالطريقة التي أردتُ  
أن يُتبادل بها الحديث تماماً..

أمّا العتمة فقد صبحت شيئاً منسوباً لجلالة سوداويتي بل شيئاً يعني  
لي أمره كل الكثير.. حسناً أمّي منذ أيام طويلة لم أكبس زر الإضاءة  
الرئيسية للشرفة، فقط ذلك المصباح الذي بات يغادرني بهدوء من فوق  
منضدتي الأشبه بطفل يتيم حيث تحتل الركن الفارغ من شرفة تسبح في  
لحون الغياهب المستمرة دون مغادرة أو رحيل!

يا الله كم قست الدموع عليّ يا أمّي، كم أحرقت عينيّ وألهبت قلبي  
وعجنت فؤادي بالحزن الذي لم يقع في حبّ نهاية قط. كم طعنت وجنات  
روحي وغدرت أوراق كتابتي وأصابت ذاكرتي بجلطة التسني للنّوح  
والبكاء وموالة الشهقات التي دحدرتها أيام مضت فأبقت المرارة في  
جيب تلك الذاكرة الحزينة!

صدّقيني يا أمّي أشعر بالكثير من الحرية الآن لأنني أدركتُ بأنّ  
سجن الأحزان طويلاً في دواخلنا يعني بأننا نسجن فيها أنفسنا فنصبح  
مثقلين بأثقال تفوق متانة قلوبنا ونمضي في الحياة مليئين بالأرق ونشعر

بفراغٍ فظيعٍ جدًّا عندما لا نجدُ من يعثر على ذلك الحلّ الأمثل للقضاء  
على كل أحزاننا أو يشغل حيز ذلك الفراغ!

ولطالما أيقنْتُ الآن بأنَّ الحلَّ الأمثل للقضاء على كل تلك الأوجاع  
التي تأسرنا هو أن نواسي أنفسنا بأنفسنا.. أن نبحت عنّا جيداً، أن نكتب  
أوجاعنا ونصرِّح بها لأنفسنا كي لا نختق بها ونحن ما زلنا نحلم بالكثير  
والكثير..

لذلك يا أمِّي أنا سعيد اليوم، كل شيء حزين في قلبي كتبته، وكل  
شعور أهان قلبي ركلته حتى تبعثرت تهشماته على متن أوراق... قد تظَلَّ  
هناك بعض الأحزان موشومة في قلبي يا بريقي، ولكن لا عليك من حزن  
الماضي وإيّاك أن تخشي ضعفي مرة أخرى في المستقبل كل ما عليك هو  
هذه اللحظة تحديداً، أن تبسمي وتشربي وجهك القمريّ بالضحكة  
التي لا تُماثل ولن تُماثل أبداً أبداً.. أن تصفّقي لي عندما قررت النهوض  
من سرير البكاء خالِعاً قميص الحزن الذي تشبَّث به طويلاً! ولا تقلقي  
يا أمِّي بشأن الدمة العالقة على محاجر عينيّ لأنّها تعقم قلبي من البقايا  
العالقة في جدرانهِ! فصباح الخير يا أمِّي، كم اشتقتُ لرائحة كَفِّكِ،  
وحنّاتكِ، وقهوتكِ، ورغيفكِ، ورائحتكِ وبخوركِ، وأغانيكِ،  
وحكاياتكِ، وشتلة الريحان الخاصة بكِ.. جئتُكِ من حرب العزلة  
شامخاً.. منتصراً بعد خوض الكثير من الهزائم، لديّ الهمة العالية على  
نسيان كل شيء ومعاشة الأمور بتجاوز دائم.. لأجلكِ أنتِ.. كي لا

أرى دموعك تنسكب حزناً عليّ.. بل سعادة من أجلي! ربما قد اعتدت ذلك مني، حين أختتم كل عزلة بهذا الوعد، وعد النسيان والمحاولة في تحقيقه، كون هذه العزلة التي اعتنقتها بأسفٍ لن تكون الأولى أو الثانية، أو حتى الثالثة ولن تكون الأخيرة.. ولم تكن هذه عزلتي الأولى بل سبقتها كثيرات، لكنها لم تنضجني كما فعلت هذه المرة.. لكنني أعتقد بأنني بعد الآن سأصبح شخصاً لا تقهره الحيات.. هذه المرة أنا حقاً تواقٌ على تنفيذ النسيان.. وقراري صارمٌ جداً على تنفيذ هذا الحل الأمثل.. سأكون مختلفاً هذه المرة يا أمي.. سأغيّر.. سأنسى.. سأبدأ من قلبي أولاً ثم ذاكرتي، كما قال الكاتب اليميني القدير مجدي الرّدفاني: إذا أردت أن تصبح شخصاً جديداً، ابدأ التغيير من قلبك.



## مذكرات مفقودة

## 1 | آب

لا أعرف كيف باستطاعتي وصف تلك اللحظة القاسية التي علمتُ فيها بأن كفيك قد أصبحت ملكًا لكفين أخرى، واسمك أصبح يُنادى من قبل شخص ليس أنا، عينك تلتقيان بعينين ليست عيني، ضحكاتك يتغذى من رحيقها قلب ليس قلبي. شعرتُ بأن رصاصات وقاذفات وسيوف حادة وخناجر وأسهم وأقواس ونيران ملتهبة قد اخترقت صدري. أعلم جيدًا يا مواجع بأن بلاعتي الكتابية سخيضة مُقابل حرقه شعوري بعد رحيلك، ولكني أحاول قدر المستطاع أن أكتب إليك، ولعلمي بأن نسبة وصول رسائلي إليك ضئيلة، ولكنها على أية حال ستصل يومًا ما. من يدري؟ ربما قد تجدنيها أسفل وسادتي حين تأتين لزيارة شُرفتي بعدما تنتهون من مرحلة دفن جثماني. أساسًا ما الذي سيأتي بك إلى شُرفتي، ما الذي سيأتي بك أيضًا لتكوني ضمن من يهلّوا على قبوري بحبات الرمال - كم أني سخيضٌ أحيانًا - لا بأس في ذلك، شعوري هذه الليلة يتبخّر في الجو الفارغ، وأشعر بأن قلبي سيجارة في فم مُكثَّبٍ يمتصُّ منها ما يُحدّر أوجاعه، وبعدها تنهاى استفادته منها سيهرشها تحت قدميه ويغادر إلى وجهة مجهولة، ربما إلى إحدى التلال الجبلية أو إلى بحرٍ يبعد ثروة المدينة وصخب الحياة التي أصبحت بالنسبة إليه روح بلا روح. شيء في داخلي لا يزال ملتهبًا يحرقني جدًّا، حتى الآن لم ينطفئ، لا أدري لم هو حتى الآن لم ينطفئ، ربما هو بحاجةٍ إلى قُبلة، أو رسالةٍ

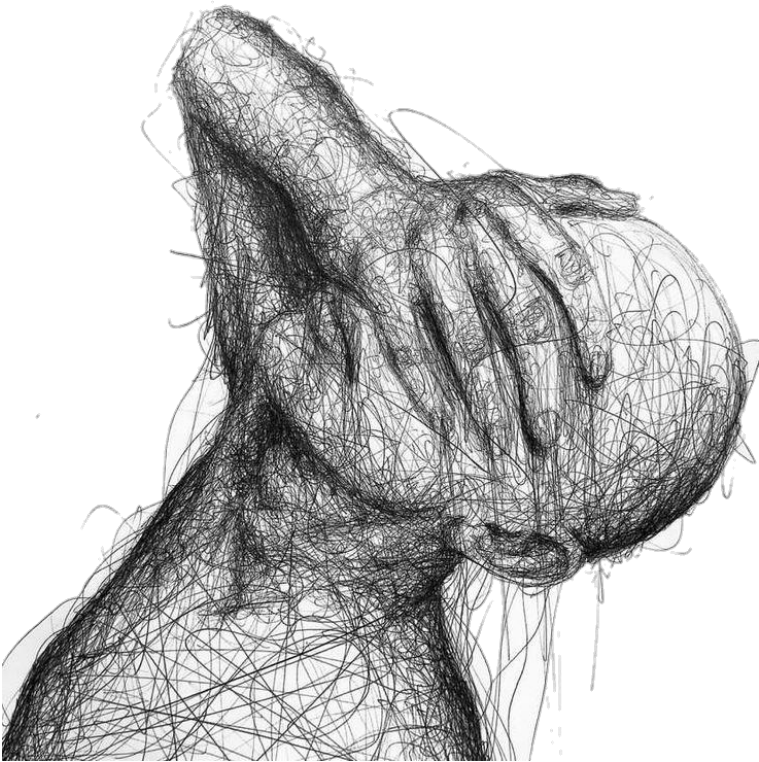
تصلني منك، أشم فيها رائحة الياسمين، وأعطر قلبي بحروفك،  
وأحصّنه برائحتك الساحرة. لو أن يجتمع كل أهل هذا العالم من حولي،  
محاولين مواساتي لما استطاعوا يا عزيزتي، ثمة أحزان لا تُبرءها المواسة،  
وثمة خيبات ليس لها ترياق، وثمة دموع ليس لها مناديل، وثمة أمنيات  
غير قابلة للتحقيق مهما ترونفت بها جوانحنا. جرحي أكبر من أن يُواسى  
ويُرصد ويكتب. عميق جدًا يا صاحبة الشامة السوداء التي ينتمي قلبي  
إلى استقلاليتها العتيقة، إذا تطفو بهدوء على شقّ أسفل شفّتيك، تُشبه ذاتي  
عندما تموه بها صفقة من صديق. آه يا بُنية العينين ما كل تلك القسوة التي  
قتلت بها شغفي وآمالي. لم أعهدك يومًا قاسية، لقد كنتِ غُصنًا رؤوفًا  
وزهرة حنونة!



## 2 | أب

أريدُ الهروب من جميع الأماكن التي أراكُ بها، من المقهى، والشوارع، والأرصفة، والمكتبة، ومني. كم أرغبُ الهروب مني فأستريح من مآسيّ قليلاً. حسناً أعلمُ بأن المرء يستطيع التخلص من أي شيء في هذه الحياة الحمقاء إلا من نفسه، وكلما أصبح أكثر كآبة كلما التصقت به أكثر، وعانقته أكثر، وأحبته وعشقته أكثر، كيف بإمكاننا أن نُشفى ونحن ما زلنا موبوءون بأنفسنا، كيف يتخلص الإنسان من نفسه يا صاحبتني، لا أدري كيف حقاً، ليتنا نقدر على خلع أنفسنا منا حين نُصبح ضُعاء الحيلة لا نقوى شيء، نخلعها كخلع القميص أو المعطف. التخلص من النفس ليس حلاً، ومحاولة الهروب من الحياة أيضًا ليس حلاً. البُكاء ليس حلاً والدموع كذلك. كل تلك الأشياء ليست حلولاً يمكنها أن ترتق الفتوق التي انتابتنا في حرب الهوى. ولكنها على كلّ حالٍ ما زالت قرينة بصمودنا، أفكار صامدة ظلت حوزتنا في الحين الذي تأكلت بقية الأفكار من رؤوسنا الفارغة والمليئة في الوقت ذاته. عاهدتني ألا تمضي العمر مع غيري، لكنك لم تفي بذلك العهد، كم أخشى عليك من عذاب الآخرة لأنك نقضت عهداً. كل المنافي التي أهرب إليها أجلك فيها، يُطاردني صوتك ملاحك، وابتسامتك التي تفلقني إلى مائة مجنون يسير بضياح يداعب كسرات قلبه ويقضهما محاولاً بلعها جيداً ليخرس جوعه أو بلع غصته لإخراص دموعه. أشعر بأن شيئاً يقوم بحكّ حنجرتي، كأنّها

الغصة، هي دائماً تحب المواساة بطريقةٍ عجيبة. قديماً حين كنتُ طفلاً، كانت أُمِّي تكتشف بأنِّي على وشك الانفجار حين ترى وجهي ينعقد، وعيني تترقق تشي بالحزن البحت. لقد كانت تقول لي: إبك يا صغيري، لا ذنب لقلبك البريء بأن تحمله ما لا يطيق من الدموع. اكتشفت بعد ذلك الحين بأن الدموع لا تأتي من العينين. إنما تأتي من عيون الفؤاد. وكلما سُئِلت الذكرى تفاصيلك أصيبت عيني بالحمى، ومن هنالك يتفشى أنفلونزا البكاء في داخلي. افهميها جيداً. في داخلي، وداخلي ليس كأني داخل. إنه ساحة مليئة بملامحٍ عارية تحت أنفاس الشمس الغاضبة. إنه بُركان مُتعب.



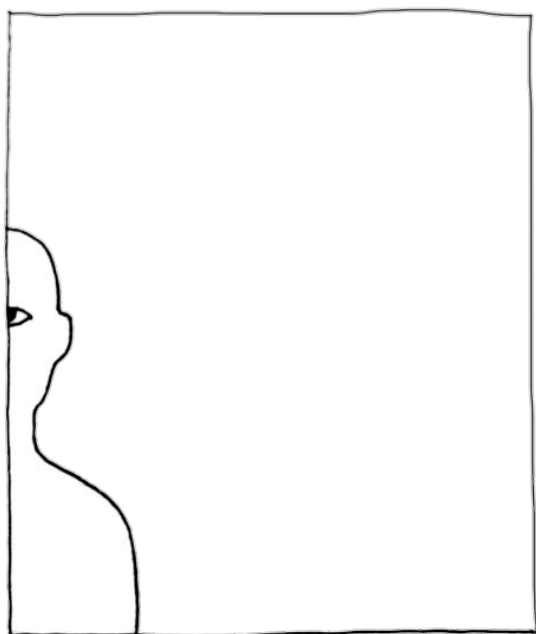
### 3 | أ ب

ليتني استطعتُ البكاء أو الصراخ أو شد شعري إلى الخلف كأَيِّ  
مصدومٍ صفعته حقيقة لم يتوقعها يومًا. في الحقيقة لم أقل شيئًا، لم أحاول  
الركض إلى نافذتك لأطرقها فتعلميني بأن ما سمعته كانت إشاعة من  
ثرائرات أبناء الحارة. لا أدري، لا أستطيع وصف ذلك الشعور، يشبه  
سكوت الأمواج بعد الهياج، خشيتُ أن تكون تلك هي الحقيقة، بأنهم  
نجحوا وحالوا بيننا، وأنتِ لن تصبحي زهرة ما تبقى من عمري، وأنني  
لن أشفى من عينيك كلما ابتليتُ بمأساة. أرجوكِ عودي وأيقظيني من  
نومي إن كان ما أعيشه كابوسًا، اصفعيني، افعلي أي شيء. أنا تائه في  
حُجرة بُكائي، باردٌ جدًا.. عانقيني. ما زلتُ أتذكرُ يوم الخيبة جيدًا،  
أحفظ تفاصيله بكل دقة، منذ بدايته كان غريبًا جدًا. الشمس تحاول  
إخفاء أمر ما عني، كلما حاولت التحدث إليها تظاهرت بالانهماك، لقد  
كان الطقسُ ساخنًا، الناس تتنازلُ عن إغراءات الحياة التي تُحاول في  
مداعبتهم، ونحت الابتسامة على شفاههم العالقة في سنين الإياب  
الغائب. لقد كان الجو مُتعبًا، والأشجار حزينة جدًا، الورود منكشمة في  
ذاتها، والأوراق تبحث عن رحالةٍ تختبئ في جيبه وتهاجر القرية المهجورة  
رغم امتلائها بالناس. لقد كنتُ أنا أيضًا خامدًا للغاية، أحاول ترتيب  
أوراقِي المبعثرة، أو ترتيب فراشي الملقى على الأرض بعشوائية، أو  
احتساء كوب القهوة الذي برد وأنا ما زلتُ أنظر إليه بشرود تام، كأنها

أجلس في حلقة حوارات ليس لي فيها سبيل فأرغم على الاستماع حتى ينتهي النقاش. كنتُ غريب الشعور في ذلك اليوم، واليوم بحد ذاته كان يحمل مشاعر عرجاء تحيء وتذهب ببلاهة، وأتمها شقيقي الأصغر حين أقبل إلي متعثراً متحمساً قائلاً وأنفاسه تتقطع: لقد وافقت على عقد قرائنها بشخصٍ ليس أنت! كسرت لعبته وصفعته دون شعور. بعد أيام قمت بشراء لعبة جديدة ولم أفارقه حتى غفر لي خطيئتي. وأنتِ؟ متى تقومين بشراء قلب جديد غير هذا المتشظي أو تقومين بطلب المغفرة مني! قلبي يؤلمني، ضمدي، كمدي، عانقيه، أو دثريه. افعلي أي شيء لأجله إنه يعاني. أي شيء! أرجوكِ.

لم أرتج منك شيئاً باهضاً سوى أنني كنت أتمنى فقط أن تبقى بقربي، حيث أكون دائماً. فأنا الذي كنت لا أرى إلا بعينيك، ولا أتنفس إلا برئتيك، ولا أتحدث إلا بصوتك، ولا أغني إلا بحنجرتك، ولا أكتب إلا بأناملِك. كنت أقول: حذارى تغيبني عني فأنا دونك لا شيء. وحين أيقنت بأنني أصبح ضعيفاً دون تواجدك قررت مهاجرتي مستلذةً بلحظة انهياري عن بُعد. رحيلك لم يكن أمراً يسهل نسيانه وطيّه من صفحات الذاكرة، بل كان أشبه بانتزاع الروح من الجسد. أنا من بعدك ميتٌ لأن روحي قد اختبأت في الحقيبة التي حملتها. عودي إلي تعود روحي. كنت الضحكة التي أستفتح بها تفاصيل يومي، والأمل الذي على سبيله أمضي دون اعوجاج، والأغنية التي تحملني إلى مجرات النعيم مرحاً، والقصيدة التي دونها أحدهم غرق في بحر الهوى، والنصّ الجميل الذي اقتبسته من كتاب الحياة، والشمس التي تُبلغني وجهتي وتضيء وجداني، والقمر الذي يعانق في المساء أسراري المخبوءة، والزهرة الاستثنائية التي تُنافس كل زهور البساتين فتفوز دائماً، والقهوة التي كنت أحتسيها بعشقٍ لا ينتهي، والوجهة التي لا أمضي إلا إليها لأنك فيها، كنت لي كل شيء، وكل شيء أنت. أما الآن فلا الأشياء تشعر بي ولا أنا بالذي أشعر بها، من بعدك لم يعد للروح روح.. ألم غزاها فقتلت! لقد تشوّهت لحظات أيامي جراء براكين غيابك، أصبحتُ حزيناً داكناً كخصلات شعرك

اللييلة التي أدسُ تفاصيل قلبي المتعبة فيها. لقد كنتُ أشعر بأن هناك جرحًا عميقًا في داخلي بعد اختلائي بذاتي المُرَهقة وروحي المرقطة بالأحزان العنقوانية التي تجلد شغفي بقسوة وجبروت، تسرّب دموعي إلى ذلك الجرح فأزداد ألمًا، أهمس كلما هاج وجعي: آه، وأنا م كالنائم، أو أموت كالميت، ثم لا شيء يحدث بعد ذلك، ربما لا شيء. أفكر أحيانًا فيك، ولأكون صريحًا معك فإنك تُمكنك جُل تفكيري بك، ودائمًا ما تكونين محور أفكار رأسي التي لا تكفُّ عن الثرثرة، ولطالما تمنيت لو بإمكانني صنع قفلٍ لباب أفكار رأسي لأغلقه ونأخذ قسطًا من الراحة. ولكنني سرعان ما أطرّد تلك الفكرة لأنني بين هذا وذاك لا أرتاح إلا بك.





## 5 | آب

بعد خيبتى الأولى التى وُلدت منك، شعرتُ بأنى تعرضت لألف  
 خيانة أخرى، وكل خيانة كانت تحمل وجعاً أشد من سابقتها. لم أعهد  
 أنى هكذا، ضعيفٌ أستسلمُ بسهولة بعد هزائمي، ربما لأننى لم أنتصرك،  
 آمن قلبي بأن كل الانتصارات التى تحيىء من بعدك مجرد مسكنات تُخدر  
 صداع ما يدور في رأسي من معارك. لم أعتقد يوماً أساساً بأنك سوف  
 تخنقني من أمامي، لن أراك على رصيفٍ ما أو تتكئين على حيطان المكتبة،  
 غارقة في نص وجدتي أسفل نافذته أنتظر إطلائتكَ عليّ منه، فأعدتِ  
 قراءته مائة مرة فتشعرين بأنك قد التقيتِ بي مائة لقاء. أخبرتُ الأقدار  
 بأن تأخذ ما شئت مني حين صادفتها إحدى الليالي وأنا أتسكع في ممرات  
 الليل الفارغة من التفاصيل المبهجة كممرات قلبي تماماً، لكنها أبت إلا  
 أن تأخذك مني تحديداً، قَبَلْتُ قدميها ويديها كما لم أفعل ذلك من قبل  
 لأحد قط، إلا لأمي! ولكنها مع كل ذلك لم تقبل، فقد كانت صارمة  
 القرار. تساءلت عن سبب إصرارها في إحالتكِ عني فأجابتُ:  
 الأشخاص الذين يخشون فراق من يتكئون عليهم لن يتعلموا كيف  
 يصبَحون أقوياء حتى يستطيعون الوقوف بمفردهم دون سندٍ أو مُتَكأ.  
 لكنني أوقفتها بتوسل: ليس من المعيب أن يكون هناك من نستند عليه  
 كلما أهانتنا مكالب الحياة. ضحكت مني بسخرية فهمست قبل أن  
 تتلاشى: لن ينضجك إلا الفقد، ستتعلم كيف بإمكانك الوقوف

بمفردك، لم يكن لأجلك، فلا أجلك ولأجلك. وداعاً. لحقتُ بها، تشبَّثُ  
بأحدى كفيها قبل أن تغادر كطفلٍ يتشبَّثُ بأمه لكيلا يتوه بين زحمة الحياة  
الزائخة بالملامح المخيفة بمفرده، همست لها وعيني تعزفُ سيمفونية  
عزاء وتوسل ورجاء: أعيديها إلي أو خذيها إليهما. استدارت إليّ بملامح  
عارية من أي معنى، صفعتني ببضع كلمات وغادرت: ما زلت بحاجة إلى  
تجارب قاسية حتى تصبح أقوى مما أنت عليه، ما زلت هشة والحياة لا  
تقدس الضعفاء. حتى الآن لم يفهمني أحد بأني أستطيع محاربة جيش  
كميٍّ بمفردي دون خوف أو قلق وأنتصر، إلا محاربة اشتياقي إليك لا  
أستطيع الانتصار عليها، بل كلما حاولت التخلص منها قضت عليَّ أولاً.

## 6 | آب

لقد كان الجميع يعرفني جيداً، وطنٌ وجهي يحمل كل أنغام البشاشة. طبطبة وضهاد ودواء لكل منكسرٍ ومجروحٍ وموبوء بحنينٍ أو خيبة. الآن لم أجد من ينتشل الحرائق التي تأكل داخلي، وتسبح بين أوردتي النازفة فتشتعل أكثر. لقد حول الشوق دمي إلى بترول ليتكاثف الاحتراق ويتصر عليّ ويتباهى. كم كنتُ أخاف عليكِ مني جداً، كأن تنامي وخديكِ غارقين دموعاً، أو قلبكِ يحترق، وكل مطافئ العالم تعجز عن إطفائه. أخاف عليكِ من مزاجيتي، أولوياتي، وتراكماتي. هأنذا أخوض كل تلك المخاوف بفضلكِ ولم تأتِ لإخباري بأنكِ تخافين عليّ منك. في هذه الأيام صرتُ أشعرُ بأنني أصبحتُ أعيش حياة أخرى، تختلف تماماً عما تعيشه بقية الناس. أستيقظ مساءً وأنام صباحاً، لا تُغريني الشمس النشيطة الأنيقة بقدر ما يُغريني القمر الذي يتربع على عرش السماء التي لا تكلّ عن ارتداء وشاحها الأسود بعدما يُلقي الشفق الأحمر رقصته الأخيرة ويرحل، تسحرنِي إجماله همساتها بلبابة تختلفُ عن تفاصيل الشمس. ما يُغريني في القمر أنه ذا تفاصيل غامضة، يشبهكِ يا مواعع كثيرًا، وبقدر حدة غموضكِ كنتُ أحبكِ لأنكِ أنثى ليست سهلة المنال بتاتًا، كلما غصتُ فيه شعرتُ بأنني أغوص في عالم غير عالمي ودنيا غير دنيائي، تعالي أ همس في أذنكِ وأقول: كأني أغوص فيكِ، وما أعظمه من غوص وما أجمله من غوص. فيكِ أجد ياقوت الحنكة المتراصفة باتزان،

ومرجان الثقافة، والكثير من صدف بلاغة الوعي، ولآلى الفكر المُحاط  
بمَحَارَات الحصانة العلمية الصلبة. على كل حالٍ دعينا نعود  
للسيد(قمر)، إنه قاتم السَّمات، كتابٌ يصعب فتحه، وإن تم فتحه  
يصعب قراءة أسطوره، وإن قُرئت أسطوره فإنها لمن الصعب أن تُفهم، وإن  
فُهمت فلن تسدي للقلب شيئاً سوى أنها (ستزيد الطين بله) وتبلغه تيهه،  
وتخطفه إلى صهاريج الغموض، ومن هنالك تبدأ رحلته الغامضة للبحث  
عن ذاته الضائعة، ومشاعره المفقودة منذ ضياع.



إن الحروف تنام على فاه مودتي بعمقٍ ساد قلبي بالاضمحلال، كم أودُّ التحليق عبر أجنحة النصوص الصغيرة التي تعشقين قراءتها إلى حيث تقفين الآن فأعانق تيهك ثم أضع نقطة على سطر مآسيك، وفاصلة صغيرة بينك والضيّق إذ يغزو فؤادك الذي أحب نقائه.. لقد كنتُ أشتاق إليك وأنتِ أمامي، ماذا عن الشوق الذي يستعمر قلبي حين أكون بعيداً عنك! أخبريني أين المفر، وأنا الذي كنتُ أهربُ منك إليك، من جفنيك إلى وجنتيك، من شامتك السوداء إلى غمازتيك، من أحضانك إلى معانقة كفّيك، من صمتك إلى حديث عينيّك... كم كانت مليئة بالكثير من التفاصيل الخزينة عينيّك، كلما رمشتِ بمراوغة، انقشع قلبي وتفتت أغصان سلامي. كأن خذلان العالم كلّهُ يتكوّر فيها، سألتكِ ذات سكون وأنتِ دائخة في دوامةٍ مجهولة، تعصف بملاحك التي تنعقد ما بين تارة وأخرى: بما أن الكثير قد خذلوا قلبك الأبيض. ماذا لو كنتِ الوطن، وعادوا الذين صنعوا فيك الخراب معتردين، أتغفرين؟ انفجرت حينها كعبوة ناسفة، لم تتسألي من أين عرفت بما يجول في خافقك، رأيتُ عينيّك تحمر، يديك ترتعش، وقلبك يخفق كأنها صُبت على قاعه فيضٌ من البراكين المشبعة بالغضب، نفثت ما كان يسمم قلبك، صرخت بوجهي قبل إتمام حديثي: لن أغفر، قلبي الحزين تمزّق، تحرق، وترقق.. إن الغفران يعد جريمة أخرى وأنا الذي أخشى اعتراف جرائم شعوريّة.

متناقض قلبي، كالليل إن غاب القمر، متلجلج كالصبح دون الشمس  
خائف، متوتر، ذاك الهلع شبَّ يطارد مُهجتي، أين الشعاع فأقتبس  
الضياء وأستمر، وأسير ساطعةً كالبدر حين ينوء في صدر السَّهر، وأروح  
مغنيةً شطرًا لفيروز، أنوحُ مغممةً، أنادي تائهةً بين الصخور أو الرمال،  
أو الحجارة والشجر... أصرخ طويلاً: يا إلهي سئمتُ جدًّا، فالقلب  
أصبح شاحبًا، والدمع غنى معائبًا، والأمل أفضى خائبًا، والحزن فتاكُ  
لعين، يلوي ذراع مسرتي، يثقب شعوري وبهجتي، يرصد صراع  
مغبتي... بالله يا ستَّ الحياة (رفقًا)... ما كل ذاك الركل في قلبي الصغير،  
أين الضمير أو الضمير أو الضمير، كأني هذا الوطن، حزينٌ لا شيء  
يُسعدني، يعانقني، هلاًّ نسجتِ الرقة البيضاء من دمع الفقير، والبُقعة  
الحمراء صبغتها بالحبِّ في الزمن المير، وطحنتِ بؤس البقعة السوداء  
من قلبِ الأسير!!

لن أغفر. وصياح المرأة الثكلي يهددُ روحي، ونياح الجائع التائه  
يزيد جروحي، وأنين مسنَّةٍ عجزت يشظُّ صروحي... قاطعتُ  
صراخاتكِ المتلاطمة على صخور الماضي حيث تعجُّ بك الذكريات  
وتفلق غضاريف ثباتكِ الهش:

— صديقي، لا يستحقون أقل حتى من ثلث دمعة من عينيك التي  
أخشى ذبولها.

ترفعين رأسكِ إلى السماء، تتدحرج دمعة كريمة كلؤلؤة على بلاطةٍ باردة، تجلسين بهدوء، فأغمر يدي بيديكِ. أهمس لكِ:

— انسيهم، أنا معكِ الآن.

أذكرين حين سقطت منك ورقة من كتابٍ كنتِ تقرئينه بتركيزٍ غريب، في الحين الذي كنتِ أتمنى لو أنني أحل محله، تتشبthin بي برعاية، تغوصين فيّ، تشاطريني الشعور من أقصاه حتى أدناه. ما زالت حروف تلك الورقة تطنّ في قلبي، صراع بيني وبينني يُشنّ كلما حننتُ إليك، أذكرها، وأرغب الركض إلى أحضان صوتكِ كلما ناديتني، إذ أنني كلما مرضتُ تعافيتُ بصوتكِ، وكلما جُرحتُ اندمل جُرحي بقبلة من شفاهكِ، وكلما سقطت استدمتُ لأنكِ معي، عن يميني أتكى عليكِ، وأتمنى لو أن منك اثنتين، أو ثلاث، حسنًا دعيتها أربع، كي أراكِ في كل اتجاهاتي الأربعة، ثم أجوب بكِ لأنكِ عالمي الفريد، وأقول بصوت عالٍ: ما شأنكم هي كل شيء لا قبلها شيء ولن يكون بعدها شيء.. أساسًا كل شيء يجيء بعدها بخس لا قيمة له. ألتفتُ إليك ثم أراكِ تتمحقين خجلًا حين تتعالى صراخات العالم المجهمر حولكِ، أحاطكِ بذراعيّ بدفء، أعيد نظراتي إلى أولئك الذين ينتظرون بفارغ صبرٍ إتمام الكلام، فأصعقهم بكِ، وأهزمهم بحبكِ، وأسحقهم باعترافي الذي أعلنه وأنا أسبح في تورده وجهكِ: هي باهضة إلى ذلك الحد الذي لن تجدو منها اثنتين، إنها أيضًا نادرة.. ها هي الورقة أمامي، لا أعلم متى كتبتها،



هل بعدما بعثرت حروف حبي لك، أم قبل ذلك يا وردتي، غائبة أنت عني، بل أنا الذي اقترفتُ تلك المصيبة، كل ذلك كان من أجلِك، لأبْنِيكِ، وأهدمُ المستحيل كلما حاول الاستيلاء على طموحك. حروف هذه الورقة تركل قلبي يا حبيبتي، تحشر على أزقتَه العبرات، وتلطم ذاكرتي بالتساؤلات. دعينا نقرأها معًا هذه المرة، أعلم بأنك قد ربما بحثتَ عنها طويلاً، في الشرفة، أو المكتبة، في الحقيبة وبين رفوف الكتب، ما زلت أحتفظ بها كي تبحثني عنها، لأنكِ حينها ستعثرين علي، ثم لن نتفارق حتى تلتقي عيني بعينيك، تعترفين بكل ما يشعر به قلبك تجاه من يعشق كل أرضٍ تطأين عليها. لنقرأها معًا هذه المرة، طالما عثرتَ على المكان الذي تكون في تلك الورقة، وأنا أيضًا، اجلسي أمامي، دعيني أقرأ نيابة عنكِ، لا تتوتري أبداً، اليوم هو يوم الصراحة، لا تحاولي نهبها مني، لأنني قد أعدت قراءتها عشرون مرة، هذه المرة الحادية والعشرين، سأقرأها أنا، وتعترفين أنتِ عما يكمن مضمونها:

" قبل قليل، قرأتُ القليل من رسائل غسان كنفاني إلى غادة السَّمان، ومن ثم بدأتُ أفكر سارحةً بضياغ، راودتني مشاعر متناقضة مبهمة غريبة. أول ما قلته بعد انتهائي من تصفح الكتاب: (ليكن الجميع غسان) قالت أُمي: عفواً.. أعدت الجملة كرتين حتى وضعت يدها على فمي في الكرة الثالثة:

- عن أي غسان تتحدثين... اصمتي لا يسمعكِ أحد..

- غسان الذي أريد أن يكتب إلي وينسيني إياكم وكلمة أحد... وكلمة الناس، وكلمة عيب، لا تفعل هذا أو ذاك، وامشي حيث تؤمرين. حسنًا أريد أن أكون عادة السمان.. تنهدتُ بحزن فأضفت: لكنني لن أجد غسانًا كغسان، ولن أكون عادة كعادة.. هل تعلمين يا أمي ما هي أمنيّتي منذ زمن، هي أن أستيقظ كل يوم على سماع صوت طرقات ساعي البريد ليأتيني برسالة ما، تسينيني هذا العالم، تجعلني أرقص مع شعوري ووغوصي بين أعماق استكناني، أو أجدها على مقبض النافذة، ثم أبدأ في احتساءها قبل احتسائي للقهوة المرة وأوشمها بذاكرتي جيدًا، ومن ثم أوثقها كما فعلنا غسان وغادة، أتعلمين يا أمي بأن ثمة أحرف تبيننا، تجعلنا نحيا من جديد بعدما أمانتنا أخرى سابقة، تضمّنا، ترسّب ما لصق بأفئدتنا من عناء، ولكن هذا العالم بخيلٌ جدًّا، لا يستطيع أن يكون كغسان كنفاني.. يكتب إلينا.. يواسينا!... أعلم يا أمي بأنها أمنية غبية بالنسبة إليكم.. كما قلتم سابقًا بأن لهفتي لاستنشاق رائحة بحر أو وردة همراء حقيقة أمرٌ سخيفٌ وكما أضفتم بأني متأثرةٌ إزاء الكتب والروايات الخيالية.. أمانينا بسيطة. بسيطة جدا..

لكنكم تطوقونها بالجلافة العاطفية، على كل حالٍ يا أمي لن أطيل عليك. لك أن تعلمي بأن أمنيّتي بعد الآن هي أن يكون نصف العالم غسان ونصفه غادة، نتواسى بالرسائل ونتعاق بالنصوص! صدقيني سوف يكون بأمان. بأمان جدًّا.. "

نظرتُ إلى بحر عينيكِ الهائج، وضعتِ كفيكِ على وجهكِ الذي  
ارتسمت عليه كل تفاصيل الحُزن اللعين، شعرتُ بأن دموعكِ التي  
انهمرت كانت كالكاذفات التي تزخّها السماء على ثوب الوطن البالي،  
خشيتُ التقدم إليكِ، خشيتُ إحداث علاقة طردية سخيّة، كلما  
خطوت خطوة، كلما ذرفتِ عشرات الدموع فتتوسد الثقوب ثوب قلبي  
فأنهار أمامكِ عاجزٌ عن مواساتي لكِ، وتنكمشين عاجزةً أيضًا عن  
مواسات قلبي وقلبكِ.

همست لي حينها وشهقاتكِ تتلاحق:

— قبل أن أعرفك... كتبتّها!

— ماذا عن الآن!

— تحققت أمنيّتي!

— لكنني لم أكتب لكِ يومًا

— كفيّلة لغة عينيكِ في إخباري عن كل ما تود قوله لي!

جلست أمامكِ لأقصف تلك الدموع من ساحة خديكِ، وضعت  
قبلة على جبينكِ، عانقتكِ إليّ وأنت ترتعشين:

— منذ زمن لم تشعري بالأمان يا حبيبة الروح، أشعر بكِ صدقيني..  
يراودك الحزن من كل حذبٍ وتقذف بكِ المآسي إلى هاوية الارتعاب،

أشعر بك، خانكِ العالم، وامتلاً فؤادكِ بالكثير من لدغات الحيات  
السَّامة. عانيتِ، عانيتِ جدًّا، أراكِ تنجيين الأحران كل يوم، وتجهضين  
السعادات في اليوم آلاف المرات، كنتُ عاجزًا عن إسداء ما يبقيكِ  
سعيدة، وقد أظل كذلك ولكن من الآن فصاعدًا سأكتب إليك الرسائل  
كل يوم، ربما قد أكون استطعت إيصال حبي لكِ، ومواساتي لأوجاعكِ.  
يؤلمني ما يؤلمكِ، يبهجنني ما يبهجكِ.

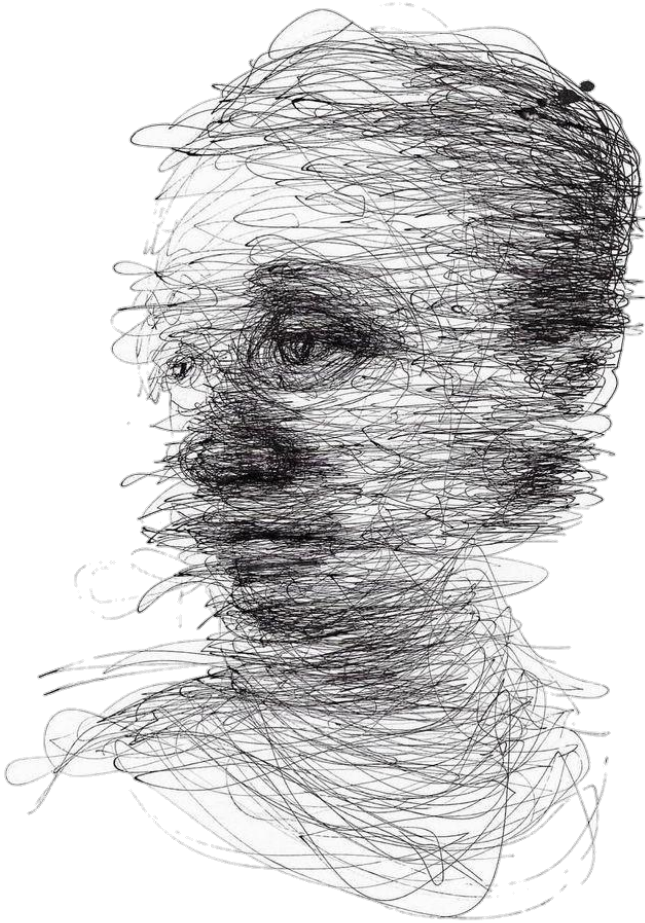
قابلتُ وجهي بوجهك المحمر المتفخ جراء البكاء الذي سأحاربه  
لكي لا يقترب منكِ، ثم ابتسمت وأنا أدس أناملي بين خصلاتكِ  
السوداء، وأحتسي البن من عينيكِ:

— كل صباح ستستيقظين على صوت طرقات ساعي البريد ليوصل  
ما كتبته إليك.

ابتسمتِ فخبأتِ رأسكِ في صدري:

— سأنتظرك كل يوم.

إلى تلك البعيدة: غسانكِ أنا وغادتي أنتِ..



هناك في زاويةٍ قابعة بالظلام. كان يرصد حلمًا لكنه لم يكن يحمل قلمًا، ولم يُجِبْ وجهه القاحط على صدر ورقةٍ، ورقة فقيرة، عارية الحياة، زاهدة الألم. لقد رأيته ينحُت ذلك الحلم على وجنتيه، من حبر عينيه، وارتعاشة كفيه. لم أهتم في التقدم إليه، خشيتُ أن أكون سببًا في منعه للوصول إلى ذلك الحلم، أو أكون لحظة عاصفة مقيتة، تقطع خيط الوصول فيبقى بلا أمنية. تقدمت بخطى واهية إليه، سألته بجمود: ماذا حدث لحلمك هل تحقق؟! سخر ضاحكًا: لم أكن لأحيي حلمًا بل لأقتل حلمًا! صدقني هذا العالم لا يؤمن بالأحلام، سيما عندما يكون حلمك امرأة، سيوبخونك بالجنون، وينعتونك بالخماقة حتى يحيلوا بينك وإياها... (حسنًا صفع قلبي فمضيتُ).. مضيتُ إلى حيث لا أدري، كل الاتجاهات مخيفة بل كأنها فارغة تارة وملئية بالناس تارات، إن الشعور بالحنين حنين آخر، والشعور بالألم ألم آخر، والشعور بالوحدة وحدة أخرى، والشعور برغبة البكاء ليس بكاء آخر بل ندبة أخرى وحزن آخر، الشعور بالخسارة خسارة أخرى يا مواجع، كلما تذكرتُ بأني خسرتكِ شعرتُ بأني للتو خسرتكِ، وهكذا أصبحت مُتخِمًا بالكثير من الخسارات منذ أن أفلتُ كفك عني، ربما كان علي أن أقاوم لأجلك، وربما كان علي أن أحارب حتى آخر نفس، ربما أنا لا أليق بكِ لأنني لا أملك تلك البسالة التي أواجه بها ضد كل من يحاول خطفكِ عني، كم أشعر بالخجل منك. حين

أصادفك يوماً ما في محل ألعاب تقومين بشراء لعبة لصغيرك أين سأخبي وجهي منك، أين سأخفي تفاصيل السنين التي أنجبها قلبي بعدك، كيف ستقاومين نبضات قلبك حين تخبرك عيني بأني ما زلت أنتظرك، وفي الوقت ذاته أنتظرك أيضاً. يا إلهي من تفكيرات الليل كم هي جريئة، انظري إلى أين أوصلتني، إلى محطة كم أخشى الوصول إليها، كأن أراك تقفين بالقرب من صغيرك الأشقر بني العينين يلوح لشخص ليس أنا، ويصيح بصوت مليء باللهفة (بابا) وألوح له أنا ولكن من خلف النافذة، بل من خلف الكواليس، وأبتسم من خلف باب قلبي وأرحل مرة أخرى وأقتل مرة أخرى، وأتمنى الرحيل إلى السماء ألف مرة.

كالعادة يا مواجع، حين أعود إلى منزلي أهرُبُ إلى غرفتي بسرعة كمن اقترف جريمة. ثم أركض نحو المنضدة لألقي تحيتي للقلم والورقة فأمرهما أن يأخذاني إليك. إنها الوسيلة الوحيدة التي تستطيع إيصالي إليك، كمن يقف أمام النافذة ينظر إلى من هم في الداخل ويعايشهم تفاصيلهم ويشعر بهم لكنهم عكس ذلك. سأخبرك بإيجاز: حين غبت عني غاب كل شيء مني، فبقيتُ بعدك تائهًا بيني وبينها، طريحًا على فراش دمعتي، أقصُّ لقلبي حكايات قيس ليلي، وأثني له بعضًا من خوالج غسان كنفاني لغادة السمان، ثم أخبره بأن غسان ذاك يضع على تلك الجروح ملحًا كلما أوشكت على الالتئام وفي الوقت ذاته أشعر بأنه يحاول مداواتي بحروفه وجزالته ورصانته العاطفية الجياشة التي تجرف ما في الأعماق إلى روح قارئ عطشٍ إلى ورقة كانت من أعظم ما قرأ فشققها عن الكتاب ليحتفظ به أينما توجه فيفقددها بغتة... أحدثه عن انفلاق فؤاد محمود درويش بعدما علم بخيانة ريتا، ثم شعر بأن موطنه قد تم احتلاله من جديد... أخبره بأني دونك ضامرٌ، بلا تنفسٍ، بلا شمسٍ، بلا حرية.. كلما حاول عقلي أن يتعايش مع الواقع عارض قلبي رافضًا بالألم يعيش واقعًا ليس أنت. ذات مرة نسيت دفتر مذكراتك على طاولة المقهى، تعلمين بأني فضوليًّا للغاية، لذا فإني قد تصفحتّه، وقعت عيني على الصفحة العاشرة، كتبت فيها: "الذي سيشاركني ما تبقى من عمري يا



أُمِّي، أريد أن يكون شخصًا منعزلًا، يعشق الكتب، والقهوة، والهدوء، والقلم. أن يملك دراجة تأخذه إلى وجهاته الاعتيادية ويصطحبني معه كلما شئت، وأن نقطن في منزلٍ شرفاته صغيرة جدًا يُطل على بحرٍ من اتجاهٍ وبستان مليء بالورود من اتجاه آخر، أن يكون واعيًا غامضًا، وفي الوقت ذاته واضحًا معي في أمر واحد، في حبه لي. أن يكون بسيطًا ليس بالمهم أن يكون ثري المال، المهم هو أن يكون ثري الفكر. يكتب إلي كل يوم رسالة، ويقطف من أجلي كل يوم وردة، ويرسم على مرآتي الكلمة ذات الأربعة الأحرف كل صباح. يسمّي أطفالنا بأسماء أبرز شخصيات الروايات الرائعة التي تركت في كلينا أثرًا، وأن يناديني بالنصوص ويوقظني بالقصائد"

الغياب يُحدثُ ثَقْبًا تنساب كل الأحزان عبره حوزة أملنا المنبوذ العائد إلى رَعْد ملجأه للتو، حتى تقضي عليه وتدوسه وتهرشه وتقتله! لقد كان رحيلك أشبه بخبر الوفاة. شيء هُنا، في أيسري قد ارتطم بحائطٍ مّا، ربما كان أحد حيطان الموت، شعرتُ به تقشّف قليلاً، ثم تصدّع بغتة، فتبعثر على شفاه الحياة المأسورة لديك، فقبلها، فاخفت أنفاسها وعينيها تاهت، فنامت. حسبي عليك جدًّا، آسفٌ، ولكن حقًّا حسبي عليك وغيابك. لم تقتليني مرة واحدة، بل قتلتي ألف قتلة وما زلت. لم تقضي على قلبي فأحرقته فقط، بل قضيت على ابتسامتي، أحلامي، شغفي وطموحي. أدركتُ ولكن بعد فوات الأوان بأن الانكسار يأتينا على هيئة حُبٍّ، والموت على هيئة حياةٍ، والحرب على هيئة سلام، وتأتيني أنتِ على هيئة نجاة، أغرق فيك فترحلين وأنتِ طوقي.. لماذا؟! كنتِ تقولين لي كلما شكوتُ من صداع في رأسي: احتسي القهوة فإنها عدوة الصداع، فأحتسيها اتباعًا لأوامركِ يا لطف أُمي، وعطف أُمي، فتقضي القهوة على الصداع ويكون هناك انتصارين، القهوة على صداعي، وأنا بعينيك حين تضحكين فتلكزيتني بمزح: ألم أقل لك، أساسًا لولاي لما قُضي على صداعك، فأقول لك بهدوء: لولا الصداع لما فزتُ بجمال عينيك الساحرة، ولما تهت بين أعشاب رموشك التي لا يرتقي يومي إلا إذا رأيته تتراقص كأنها السنابل يا سنبله قلبي، ويومي، وغدي وأمسي،

وكلي وبعضِي. آه يا مواجع، الصداع في قلبي هذه المرة، وألف كوب قهوة لم يستطع القضاء عليه حتى اللحظة. لا شيء سيشفي هذا الصداع إلا أنتِ، أخبريني هل سأظل مصابًا بشراسته إلى الأزل، أم أنكِ ستقطعين المسافات الطويلة وتتركين كل شيء ورائكِ وتحذلين العالم لأجلي وتأتين لتضعي الكمادات على جبيني فتدمع عيني وأهمس لكِ وأنا غارق في الحمى والألم: هل أخبرتكِ مسبقًا بأنكِ تشبهين أمي؟! تضعين أنا مملكتِ المليئة بعطف العالم فتخرسين همهاقي المتعبة، فأهمس مرة أخرى: لقد فقدت الحياة في الحين الذي فقدت أمي، أيرضيكِ أن أفقد الحياة مرتين، ألا يحق لي عيش الوهمية على الأقل؟!



## 11 | آب

ولأنهم لا يحبون رؤيتي سعيداً أبعدوك عني، ولأن ابتسامتي تخنقهم  
 قررُوا أن يقتلوها إلى الأبد، ثم تركوني حزني، منعزلاً عن وجه العالم  
 المخيب للأمان، خائفاً قلقاً، وفي الوقت ذاته مطمئناً مليئاً بانسراح، في  
 الحقيقة لم أعد أملك شعوراً دعيني أكون صريحاً ولا أكذب عليك، لذا  
 أنا شبه إنسان، شبه حي، شبه مشاعر. كل الحياة أصبحت شفافة، أرى  
 عبر ستارها نهايتي الحزينة، أعبر وحيداً لأجلي، ولا أحد من الذين  
 أخبروني بأنهم سيبقون معي إلى الأبد بجواري. لقد قررت الاختفاء إلى  
 ثمة منفى. الملمتُ أشلائي، وحملتُ جثتي على إحدى كتفي، وحقيقتي  
 المليئة بلا شيء على كتفي الآخر، ألقىتُ نظرة أخيرة على شرفتي التي  
 كنت أطل عليك منها كل صباح حين أراكِ تحلقين كالعصفورة إلى  
 وجهاتك التي أغار عليك منها ومن فيها. ألقى نظرة أخرى أيضاً للمنزل  
 الذي أيقن بأني حقا قد مت لانعدام صدى صوتي وتماهيه، وقبله لرأس  
 أمي التي أهلكها حزني أكثر مني، ودمعة سمعت ضجيجها على أرضية  
 محل العم (علي) الكفيف، الوحيد الذي كان يحادثني عن جمال الحب،  
 ويخبرني بأنه وإن كان قاسياً فإنه ابتلاء ولكن من ألدَّ الابتلاءات، ولطالما  
 حدثني: إذا أرادك القدر لها فلن يمنع ذلك شيء، وإن لم يرد فأيضاً لن  
 تحدث هناك أي معجزة، لا بأس بأن نحب ونعيش ذلك الشعور بكامل  
 جوارحنا، ولكن ينبغي علينا أيضاً الاستماع إلى صوت المنطق الذي يخبرنا

بأن ليس كل التوقعات قابلة للتحقيق، أي أنه لا يجب علينا إهلاك أنفسنا بالتوقعات المفرطة لأنها تخلق خيبة أمل كبيرة عندما لا يحدث منها أي شيء، الحياة يا بُني لا تسير حسبما نريد، ولا نحن بالذين نمضي حسبما هي نريد، كلينا معتقلون لدى محكمة القدر، حتى وإن لم نقبل بما تقرّه علينا فإنه يتوجب علينا معاشته قسرًا عنا "لقد ودعت كل شيء في ذلك اليوم حتى نفسي، وتركت كل شيء ورائي حتى ابتسامتي التي كانت تصرخ كطفل غادر والده مسافرًا إلى عالم آخر بعيد، ولكنه لن يعود هذه المرة. لقد غادرتُ كل شيء لعلك تغادرين ذاكرتي. بالنسبة لي أنتِ بعد الآن عبارة عن خيبة. خيبة ولا شيء بعد ذلك. عمتِ أُمًّا.

## 12 | آب

بعض الأمنيات وإن كانت بسيطة لا يمكننا تحقيقها، كأمنيتي الصغيرة التي أخبئها في جيب قلبي لئلا تصيع بين زحمة الأحزان. أن ألتقيك ولو كان ذلك بالصدفة. مواعع، هل أنتِ تشعرين بما أشعر، قبل أيام قرأتُ بأن القلوب المحبة تشعر ببعضها، هل تأتيكِ وخزة في قلبكِ كلما راودتني وخزة، دموعكِ هل أصبحت روتينية تحيء وتذهب على سطح وجنتيك كما يفعل ساعي البريد كل صباح، خصلات شعركِ هل بدأت في التساقط، جفناكِ يولدُ من رحمهما الليل، قلمكِ أصبح عاقاً، كلما حاول الكتابة عنكِ أو عني اكتفى بالبكاء. لقد ماتت مشاعري يا مواعع، الجزء هذا الذي يثرثر بخفقانه في داخلي ليس إلّا جزءاً أصبح من نسلِ العدم. لا تقولي يجب أن نرضى بالواقع، وأن نرمي أوراق الماضي خلفنا ونمضي ونحاول فتح صفحة جديدة. لا تقولي: عش أيامكِ ولحظاتكِ لا تقتل اللحظات الجميلة بي، فإني لا أود رؤيتكِ إلا سعيداً. أساساً لم يعد هناك ما نعيشه، إننا هنا نستشعر فقط، وقد يأتي ذلك اليوم الذي يزهر ذلك الشعور منا ويغادر، ثم نقول مرة أخرى: ليس هناك ما نعيشه أو نستشعره! لا تقولي: لا تشاق لي، انسَ مواعع، واقتلها من قلبكِ. فإن قتلتكِ من قلبي فأين سأدفنكِ؟ في قلبي أليس كذلك، أرايتِ بأني لن أنجو منك، كلما حاولتُ الفرار منكِ عدتِ إليكِ. ولا تسأليني كيف حالي فأنتِ حالي، وأنا المصاب بكِ، تفاصيلكِ تنفسي فيّ وتنهش مني

كفيروسٍ تراوده رغبة التخلص ممن وقع عليه. يقول محمود درويش يا  
مواجه: "لقد استنزف الطريق الطويل مشاعري وتوقعاتي.. لا أشعرُ  
الآن بشيءٍ ولا أتوقع شيئاً" يتتابني ما انتابه وربما أكثر من ذلك، لم أعد  
أؤمن بالتوقعات، ولا بالتخيلات البلهاء التي تترجمها مخيلتي، لم أعد  
أتمنى شيئاً سوى أن أنام بعمقٍ كطفلٍ في الثانية من عمره. على كل حالٍ يا  
صاحبتني، إن كنتِ تفكرين بي كثيراً فرفقاً بي وبكِ، لأن كل ما تشعرين  
به أشعر به، أعلم أنني قلت قبل ثوانٍ بأني لم أعد أشعر بشيء، لا أدري،  
ولكنني على حين غرة سأجن، وإن كان التاريخ سيكتبني مجنون مواجه  
فذلك وسام سابقه على صدري حتى الفناء أو حتى ألقاك..



كتبْتُ إليك رسالتي العادية ذات يوم، وذكرتك بما كتبته في إحدى مذكراتك، كنت أود إخبارك بعد علامة التنصيص أنّي قد حاربتُ مشاق الأيام حتى حققت ما تمنّيته، انعزلتُ عن العالم كله، عن الأصدقاء، والعائلة سطحية التفكير، والجيران، والحارة، والأصدقاء الذين تُغريهم الحياة إلى حد أنهم متشبثون بها حد الجنون. بعد ذلك أتعلمين ما الذي فعلته، قررت بناء منزلٍ بعيد على شاطئ بحرٍ حكيم، في عينيهِ أسرار، وفي لسانه نجاة، وقلبه كنزٌ، وأنا وأنتِ سنكون نُزلاء لديه ولكن إلى الأبد، أتودين معرفة ما يكمن في صندوق الكنز، حسنا سأخبركِ ولكن ليس الآن، لأنني إن أخبرتكِ فلن تظل تلك مفاجأة، أعلم بأن تلك المفاجأة من الأساس قد فشلت، وتعانقتُ وإياها نضحك تارة ونبكي تارات، مشاعر كلينا ممزوجة بالصدمة وقلة التحمل لأي ألم آخر. بنيتُ ذلك المنزل يا حبيبة، بيديّ هاتين، تعالي لأريكِ آثار المسامير والمطرقة. أمزحُ، لا عليكِ من يديّ الداميتين المليئة بالخدوش والكدمات، تعالي أريكِ ما نحتُّه على باب منزلنا الخشبي، لقد وشمّتُكِ، رسمتُكِ فيه، كي تنزاح كل مخاوفي حين أراكِ، وتتورّد أيامي حين يُذبلني حزن. وضعتُ رفوفاً خشبية، ملأتهُ بالكتب، اشتريتُ دراجة، زرعت وردًا، رسمت على المرأة الكلمة ذات الحروف الأربعة، قرأتُ خلال سبعة ليالٍ عشرين كتابًا، وقررت أن أصبح كاتبًا، لأجلكِ، السيناريو الذي رسمته في مخيلتي، أدمعني بهجةً،

لكنه سرعان ما إن تلاشى، حين عدت إلى القرية بحثًا عنك كي أخبرك  
بأنني حققتُ بعضًا مما تمنيتُه، فلم أجذك، بل وجدت بعدك خيبة قاتلة،  
حين قالوا رحلت مع رجلٍ، ليس أنت.



### (رسائل)

في هذا العالم المثقل بقصص الخائبين، ثمة رسائل تُكتب لتخدر الجراح أو تشفيها تمامًا...

أصحاب القلوب المتغاضية حديثًا يتماشون مع مفعولها فيتعافون وينهضون من جديد...

أما أصحاب القلوب التالفة، الذين تغاضوا كثيرًا، وصرّفوا كل ما أذاهم ورائهم فحاولوا العبور دون التفاتة فلا تُغني ولا تُسمن من أمل...

تزيدهم ذبولاً لا تورُّدًا، ضعفًا لا قوة، خوفًا لا أمانًا...

ولكن ثمة رسائل تُكتب لكنها لا تصل، وثمره دموع تعزف ولكنها لا تُسمع، وثمره بُكاء يُصفق ولا حياة لمن تُنادي... يكتب الناس إلى بعضهم بعضًا، أما أنا فأكتب عنك مني إلى لأُشفى منك، أو أنساك، أو ألقاك..

### (عابرة)

أغمضتُ عيني، فاستلقى على وسائد السكون قلبي... وجدتكَ على رصيف الشطر الأول، اللحن صوتك، والكلمات أنت، والموسيقى ضحكتك...

تربّع الشطر الثاني، فوجدتني دون شعور أجول بين متاهات  
شُرفتي، أحاول مُحاربة تلك الدمعة التي تشحذ استبسالها ضدي...

وحين تعالى موال الشطر الثالث، توجهتُ نحو باب شُرفتي الذي لم  
يُفتح منذُ شهور لأفتحه وأغادر، وبغته رأيتُكِ على لائحة العيادة،  
وتنظمين سير المرور، وتقودين الشاحنات، وتبيعين الآيس كريم  
والعصائر المثلجة... حينها تهت حقاً، أين سأجديكِ من بين كل تلك  
الوجوه التي أراكِ بها، العابرين أنتِ، وأنا التائه بين كل أولئك العابرين  
يا عابرة!

### (شوق)

أنا الليليُّ الذي نال الصُّبح مني، أسيرُ مواسياً ظليُّ الذي اشتاق لعناقٍ  
مع ظلكِ... ترفرف أجنحة شعوري بين أفلاكِ الأزقة، بحثاً عن رُزنامة  
همسكِ، تارةً أمضي وأقفُ تاراتٍ ليأخذني تيار الهوى إليكِ، آه، ما أقسى  
أن أجِدُ نفسي وحيداً، فارغاً من كل شيءٍ حتى منكِ. وكم يطحنني ألم  
الأمل الذي يبكي فأعجز عن معرفة ما يشتكِيهِ، جلَّ ما أعرفه هو أنَّه يحنُّ  
إليكِ، فلا دفئاً سيأويه إلا دفء أحضانكِ.. عودي إليه ومن الوجدِ  
انتشليه...

(أهواك)

دوائي حضورك ورحيلك دائي، أهواكِ قدر محبة الأرض للشمس،  
والعُشَّاق للقمر، وطني الذي أنتمي إليه أنتِ، كم أبدو غريباً دونكِ لأنني  
وضعتُ هويتي في جيب عينيكِ، والآن أنا بلا هوية، بلا تذكرة أو تعويذة  
سحرية، تأخذني إلى حيث تطأين فأخطفكِ فأهرب بكِ، إلى حيث لا  
أدري... المهمُّ أن نكون معاً، وإن كان ذلك العالم ليس عالمًا.. كم أودُّ  
إدخال يدي إلى فؤادي فأنترعُ قلبي ثم أقوم بتعقيمه منكِ فأعيده نظيفاً  
من تفاصيلكِ التي تضبُّ صفوي... وكم أودُّ إغلاقِ صنبور عينيَّ  
الذي لا يكفُّ عن الخرير والغناء الحزين... وفيَّ أنا إلى حدِّ أنِّي رغم  
معرفتي بخياناتكِ العُظمى.. أهواكِ

(عودة)

قررتُ أعود إليَّ ملياً، أعانق أحلامي مجدداً، وأطرق نافذة صديقي  
(الشغف) صباحاً، ثم أنتظره على دارجة (الإصرار)، فمضياً سوياً، تُغني  
بين عوالم (المغامرة) الملونة، نحتمي القهوة على طاولة العمِّ (نسيان)،  
ونأكل الرغبة من أكفِّ الأم (إرادة)، ثم نذهب إلى حقل الجدِّ  
(تجاوز)، نقطفُ وردة (أمل) ونرقص رقصة (التفاؤل) بين أغصان  
(الحُب).. قررتُ أخبركِ في روحي حتى تعودني، ليس لأنني لم أشعر  
بخيبتكِ، بل لأريكِ بأنني لم أنكسر بعد غيابكِ...

إنها ازددتُ قوةً إذ قمتُ بخيانتكِ فوقعْتُ في حبِّ (ذاتي) من  
بعدكِ...

(أنا أنت)

أنا التائه في صحراء وجنتيك، الغريق في بحر عينيك، العالق في مأزق  
غمازتيك، المخبوء في دفء كفك، المتجول ما بين حاجبيك، النائم على  
نمارق رمشيك، أنا أنت منذ عرفتك وتلامست روحي بنعومة يديك.

(أوراق)

خاننا الأصدقاء، الوطن ونحن أيضاً...

قمنا بخيانة أنفسنا بعد أن منحنا الحب الذي تستحقه لغيرها...  
أويناهم، واسيناهم، تشبنا بهم وإلى قمة الأحلام أوصلناهم، ومن  
هنالك تركونا، نقع إلى جحيم الألم (فغادروا)... تبّاً لزيفهم!

لا القصائد أسعفتنا، أو النصوص ضمّدتنا، بل كلما شُفينا إلى المآسي  
أعادتنا.. فبكينا، ثم رقدنا تحت رفوف الأنين نُغنيّ أحداثاً، فهمسنا  
(ستشرق الشمس من جديد يوم غدٍ) فابتسمنا ونمنا تائهين في بحر  
الأمان المؤجلة حدّ الانقراض...

ومن هنالك ما خبأ بوحنا سوى الأوراق، وما قبل الأوراق إلا  
بوحننا، على الخدين تماماً... بتواضع ودلال!

(لستُ)

لستُ آسفًا أبدًا على أي شيء، فقد كنت حريصًا على ألا أتسبب في  
حزنك يومًا كحرص الأم على صغيرها خشية أن يتناول قطع الشوكولا  
وهو مصاب بالسُّكري، لستُ حزينًا لأنك غادرتِ مع شخص ليس أنا،  
أنا حزينٌ لأنِّي الآن أقوم بدفن التخييلات التي رسمتها معك في مقبرة  
قلبي بعنفٍ لم أعهدُه من قبل، على الرغم من اعتنائي المفرط بها لأن كل  
تلك التخييلات كانت أنتِ... لستُ نادمًا لأنني وقعتُ في شباكِ حبكِ،  
أنا نادمٌ لأنني كنتُ طيبًا بإفراط، لدرجة أنني وقعتُ في فخِّ اعتقاداتي فعلقتُ  
هناك أستنجدكِ، لكنكِ لا تسمعينني، لستُ منكسرًا، ضعيفًا أو مهزومًا  
لأنكِ لم تبقي معي، بل لأنني لم أبقَ أنا معي، رحلتُ فتركتُني وحيدًا تائهاً  
دونِي...





### (نافذة)

النوافذُ المغلقة التي تطرد خيوط الشمس المُشاغبة كل يومٍ تُخبئ خلفها قلوباً مُحجفة بالإعصارات المدوية... تلك التي أصبحت حقاً لا تنتظر شيئاً سوى أن يمضي العمر سريعاً فتستريح من كدر الحياة العالقة في زئبقٍ ذكرى... لم أعد قادراً على مواربة نافذتي الوحيدة، ما الفائدة من ذلك طالما لم تكن هناك ابتسامة تنصع فؤادي وتُلائمه بينما تطلين كالربيع على نافذتك (البرينسيس) ثم يُصبح لحزني الليلي خريفاً مُباغتاً، فيخر منسجماً بعد أن يراك...

أخشى فتحها فتُصبحني امرأة تسعينية حلت مكانك تجاعيدها المُسنّة تُشبه قلبي الذي تقدّم إلى عمر الشيخوخة بألف خطوة بعدك.. صباح الغياب، أحنُّ إليك!

(الانخماد)

الكثير من الأولويات التي لم أقم بتنفيذها بعدك، كتب لم تُقرأ، وقهوة لم تُرتشف، وقميص لم يُرتد، وصديق لم ألتق به، وقلب لم يضحك... مبعّر جدًا، أفكارى ممزوجة بالضجيج، أهدافى واهية، وشتاتى صاخب، وعقلي يغرق، ربما فى بحر التساؤلات، لا أدري... إننى مصابٌ بحمى الانخماد لا صوت لشغفى ولا صدى. أُحاول ترتيب شُرفتى مرارًا مع أنها تخلو من الفوضى، وأود على آخر المطاف لو بإمكانى الهجوم على قلبى المبعثر فأرتبه...

كل شيء فىّ يعانى منك، وكل شيء فىك يعانى منى (ربما).. لا بارك فىمن حال بيننا وتسبب فى كل هذا يا مواجع!... قولى: آمين، وأطفئى الشموع ونامى.. ولا تبكى!

### (مواقع)

استيقظتُ صباح يوم الدمعة، مُبتسماً بشأقل، أكذب الحقيقة وأصدقها في الآونة ذاتها، ثم أضحك قليلاً، أضع اللحاف على وجهي فأهمس للنوم: متى ينتهي هذا الكابوس... لا شيء يبشرني بالسعادة، كل ما حولي يحدّق بشراسة، حتى الحيطان والمزهريّة، وصورتكِ التي علقْتُ في زنزانة إطارها المصنوع من الفراق الصلد، قمت أنقر على حدود شاشة هاتفي، كانت أناملي تتوسّل: قولي لها بأن مريض، ولن يعافيني سوى صوتها، أنامل سقّف شُرفتي كم هو يرتعش، والنوافذ كيف تبكي، والستائر كيف تولول، وحينها أُعيد النظر إلى شرفة وجهي، مليئة بالفوضى والتراكمت، مُغبرة، مهجورة كأنها..... كأنها كل شيء فارغ!

### (أغبياء)

يحاولون إقناعي بأنك لم تليقي بقلبي لذا أبعدك الله عني، وأحاول إقناعهم بأنني لا أعني لهم شيئاً لذا لم يفهموا معنى أن أفارقك وأفقد من بينهم وجهك... لا يدركون مرارة أن تلصقي ما أملكه من مشاعر على جدار قلبك فترحّلين حاملة معكِ ذلك الجدار، وأن توثقي كل ليلة بأنك لي وأنا لك فتصبحين لشخص ليس أنا، بالله ما شعورك حين تعرفين بأن امرأة قد حلت مكانك، ألن تحترقي، تغضبي، وتبكي داخلياً خارجياً، تحاولين الفضفة إلى أي أحد يفهمك فلا تجددين أحد...

(انكسار)

استطاعوا وبراعةً أن يكسروني بك يا مواجع...

ألف انكسارٍ وشموه في قلبي، وألف قنبلةٍ وضعوها داخلي، أستمع  
إلى الكثير من الانفجارات التي تُمزق قلبي كلما استيقظ إحساسي وذكّرني  
بأنك تضحكين مع غيري، وأنا هنا أبكي مع ذكرياتٍ تدغدغ لا  
مبالاتي...

حزينٌ يا مواجع، يتيمٌ دونك، ألم أخبرك بأنك أُمي بعد أُمي، كل  
الأصدقاء، وأنتِ عائلتي، عالمي بأكمله أنتِ... أنا الغريبُ هنا، وأنتِ  
وطني الغائب، إلى من أنتمي وأنتِ انتمائي، وإلى من ألوذ وأنتِ ملاذي،  
وإلى من أشتكي وأنتِ صندوق أسراري، أمام من أبكي دون خجلٍ  
كطفلٍ صغيرٍ فقد أمه وأنتِ لي كل شيء، كنتُ لك كل شيء، والآن لستُ  
شيئاً لأحدٍ حتى لي!

(أُرق)

بُتُّ ممتلئًا بالحُزْنُ شيئًا فشيئًا حتى ثناقلت حيلتي...

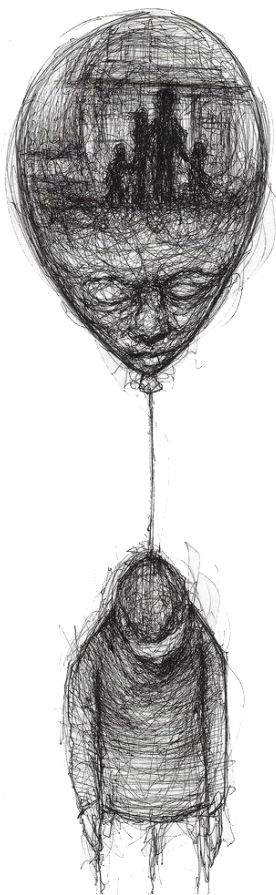
هنا أحاول تضميد جراح حروفي التي تنزفُ على الأوراقِ إذ تواسيني  
في جلسة عزائي...

آسفٌ لأنني أعزيتُ وأنتِ ما زلتِ على قيد الحياة، ولكن ألا يُعد غياب  
من نحب مع أشخاص ليس نحنُ موتًا، تركتني بعدك جثة تُحاول  
الوقوف رغم بشاعة المشهد، أجبرتني على قلبب أنفاسي المبتورة الغارقة  
في وابلِ الدموع كما يُقلب الصديق صديقه بعد انخماذ المعركة...

كُلِّمًا حاولتُ البقاء قويًا صافحني الأرق بحرارة، وعانقني العناء،  
وركلتني الآلام تباعًا.. في الليل، الكل يضعون رؤوسهم على الوسائد  
وينامون، أما أنا فتوضع وسائد التفكير المتناقض على رأسي ويرقص  
الليل رقصة البكاء ببراءة.. وأنا أستسلم!

( مجرمة )

قيل لي ذات مرة: أنت شخص حسَّاسٌ وهذا سيلحق بِكَ الضرر مستقبلًا، قلبك طيبٌ وهذه كارثة كبيرة، لأنك سوف تُخْذَل إذا ما بقيت هكذا... لا أدري هل أضحك من قائلها أم من نفسي، أم من حساسيتي الغبية وقلبي الأبله، ولكنه قد كان على الصَّواب وتلك هي المشكلة، مؤلم جدًا أن يكون ذلك الشخص أنتِ ثم تكوينين أول من ينفذ قرار الخيانة لتؤكد لي بأنني حقًا حساس وها أنتِ قد ألحقتِ الضرر بي، ومستقبلي، وحاضري، وماضي.. يالكِ من مُجرمة! حسبتكِ ستحاولين المجابهة لأجلي ولكنكِ استسلمتِ من أول المحاولة، أزعجني ذلك أكثر من خيانتكِ لي... أيقنتُ صدقيني بأن من لا يحاول لأجلك لا يستحقك!



Akbar 17



( جَلِيد )

وأصبحتُ ساكنًا، كقلمٍ سارحٍ في أجاج أفكاره العذارى..

لا طرافة تُضحكني، أو حادثة مؤسفة تبكينني، أو مُفاجئة رائعة تُثير  
من بشاشتي. أنتظرُ عبور الوقت فقط، أتسلّق عقاربُ الساعة بلهفة  
أناشدها للوصول إلى ثمة نهاية، أقف عندها وينتهي هناك كل شيء،  
وأنتهي منك قبل كل شيء، يا سارقة مُهجتي أين سأجدك، لأقطع يديّ  
حبك التي استأصلت عبقني مني فهربتُ باختفاء مُريع!

عليك اللهفة كم أودُّ العثور عليك صدفة دون إنذار، لكي تري تلك  
الدمعة التي تُرافقني في كل وجهة كم أنها تُعثرني وتُضعفني، في الحقيقة  
أنا لا أود أن تشفقي عليّ أو تعتقدي بأنني ضعيفٌ دونك، فقط أود أن  
تشعري بحجم اكتراثك ويأكلك صدّي ضميرك كما يأكلني اشتياقي  
إليك!

(أَبْلَه)

فوضعوكِ بين أحضان رجل أبله، غبي وجاهل...

لا يُثْنِي عَلَيْكَ قصائد قيس لليلي، ولا يُحَاوِلُ طُمُئْنَتَكَ بِأَنَّكَ غَادَتَهُ  
وهو غَسَّانُكَ، ومن ثم يتوسَّلُ إِلَيْكَ كل ليلةً بالألا تخونيه كخيانة ريتا  
لمحمود درويش. رجلٌ أبله، لن يعنيه سوى فُسْتَانِكَ المزرکش أكثر من  
عقلِكَ الذي يتسع لألف حقلٍ يُنبِتُ ألف فكرةٍ تُثْمِرُ ألف أنثى ناضجة  
تُضَاهِي مَائِي رجلٍ مُثَقَّفٍ أديبٍ وواعٍ مُفَكِّرٍ. سيجعلكَ تحتكرين في  
المطبخ بين الأواني بدلاً عن المكتبة بين رفوف الكتب، وإذا ما طهوتِ  
الطعام لحضرته سيوبخُكَ ويغضبُ مِنْكَ، لن يُغْرِيه طهوكِ للحروف على  
الصفحات الساخنة، ستُغْرِيه حُمرة شفاهكِ أكثر من القلم الذي تضعينه  
بينها، وعطركِ أكثر من حُبكِ، وجمالكِ أكثر مِنْكِ.. أبله جداً!!

(عيناك)

كنتُ وكلما خذلني هذا العلم أُتيتُ إليكِ فاختبئتُ بين أحضان  
عينيكِ فاشتكيْتُ منكِ إليكِ...

عيناكِ قصتي التي لا تنتهي، بل كلما التقت بعينيّ تعانقتا وبدأت قصة  
جديدة فصلها طويل لا نهاية له كحبي لكِ الذي لم ينتهِ ولن ينتهي...

عيناكِ قصائدي الفُصحى، وأغانيّ، نصوصي المُبهمّة، وحُبي الذي لم  
يولد إلا منذُ ارتطامه بلمعانها... عيناكِ قهوتي البُنِيّة، أجدُ فيها رائحة أمّ  
البُن، وحرب أبيها، وصراعات أبنائها...

عيناكِ مدينة لا تتسع إلا لي فقط...

(كابوس)

ما زلتُ أنتظرُ من يوقظني من هذه الأيام الغريبة...

هذه الأيام ليست أيامي، والواقع ليس واقعي، والوقت ليس أنت...

أين أخبئ ضعفي، ودموعي، وبُكائي، وشهقاتي، وحُزني..

أين أدسُ أحلامي الجاهشة التي ذابت في عفر الصقيع!

لقد أدخلتني إلى متاهة كابوس، أبحث فيه عن مخرج يخلصني منه، فلم أجد حتى الآن مخرجاً أو خلاصاً يُخلصني منك... بتُّ أندثر بالآلام، وأنتظر محض صدفة أمل، تأخذني إلى جزيرة الحياة العادية... لم أعد أبحث عن أيام فائقة الجمال والروعة فالعادي أحياناً يدوينا أكثر من غير العادي... أرايت كيف أصبحتُ هزيل التفكير لدرجة أني لم أعد عظيمًا... عادياً فقط!

(قلبي)

مثل طيرٍ وقع في هوةٍ الصحراءِ مبتور الأجنحة، مثل طفلٍ فقد أمّه ثم  
يشعر بفقده لوجهها بين ملامح الناس بعد أن يكبر على الرغم من عدم  
رؤيته لها في الصغر إلا في إطار صورة تبسم له وتحكي له قصة قبل أن  
ينام، مثل سفينةٍ أبرحتها الأمواج الغاضبة صفعًا على الصخراتِ حتى  
تخطمت وتاهت بين البحور مجاديفها، مثل قهوةٍ انتظرت صديقًا يرشفها  
فلم يسعه الوقت لتقيل فنجانها، مثل مغتربٍ كان يبحث عن وجه وطنه  
بين شوارع وطنه، مثل كتابٍ ترك على آخر الرفوف فأصبح نسيًا  
منسيًا... مثل نجمةٍ وحيدة في السماء اختفت بقية النجوم حين علمن  
بأنها حزينه وتعاني وقد كانت بأمسٍ حاجتها إليهن..

### (وحدة)

الوحدة لا تعني الجلوس بمفردك، مُوصِّدًا عليك باب شُرفتكَ ونوافِذكَ، مُسدِّلاً ستائر عينيكَ ومُلحِّفًا قلبكَ بلحاف أرقك وإرهاقكَ، ولا تعني الكُتْمَان، والهدوء، والسُّكوت العجيب وقلة الإثارة لأي أمر يطرأ...

إنَّما الوحدة هي أن تشعر بأنك مليء بالكثير من الكلام ثم لا تجد من يستمع لفضفتك، ويجعل الإصغاء إليك من أهم أولوياته...

الوحدة هي أن تُصبح غريبًا في موطن ذاتك، متكورًا في زِقاق خوفك، راغبًا في أن يأتي من يقودك إلى آخر النِّفق فترى النور وتُفعم بالحياة كما يجب...

الوحدة هي أن تخسر الأشخاص الذين حاربت لأجلهم فيتركونك في منتصف المعركة مُناصرين غيرك...



(تَشَبُّثُ)

لم أكن أعِي يا مَواجِعُ بأن تشبَّني المُفرط بك هو نفسه التشبُّث بالألم  
والعناء، لقد كنت أعتقدُ بأنك أُملي، سِندي، حُبِّي، شمسي، قَمَري، ليلي،  
نَهاري، طِفَلتي، بالونتي، زَهَرتي، أوراقي، وحبري، وهواجسي وكل  
أشياء الجميلة...

هأنتِ اليوم تُصبحين، نِسياني، غموضي، هدوئي، موتي، غرقِي،  
انطفائي، ذبولي، حُزني، وجعي، ظُلمتي، جفافي، أُمي، وكل أشيائي  
القاتلة...

كنتِ بالأَمس درعًا لي من الأَحزان، واليوم تخترق سَهامها صدري  
في كل ليلة لأنك لم تعودِي لِحمايتي منها مثل ذي قبل، كنتِ شمسًا تُضيء  
كل وَجْهة مُعتمة واليوم كل دروبي ومسالكي حالكة، كنتِ أنا وأنا الآن  
لستُ معي...



### (انتشال)

تعالى وانتشليني من مزامير لهفتي إلى أحضان حديثك، واغمسي  
 أناملني بين خصلات شعري حتى أنام كما كانت تفعل أُمِّي في طفولتي  
 الرمادية، غني لي أغنية وصفِّي لابتسامتي كي تراقص على منصة  
 شفاهي دون توتر أو قلق، أخبريني بأن القادم أجمل لأنك معي،  
 وأرشدني بأن أطوي صفحة الماضي وأعيش اليوم بكل سعادة وأمل،  
 اهمني لي بأني مهمٌ جدًّا بالنسبة لك، وابتسمي أمامي حتى تختفي كل  
 أحزاني من قلبي ...

أغمضي عينيك وتمنِّي أمنية، ولا تفتحها حتى أسمح لك، لأنني أود  
 التريث بين عشب رموشك وأحلق كالفراش سعيدًا.

### (شعور)

لا أحد يشعر بما أمرُّ به سوى أنا، لا المنصت لفضفضتي ولا القارئ  
لأسطري الباكية...

لا الذي يُرَبَّت على أكتافي ويخبرني بأن هذا المر سيمر، ولا الذي يسرُّ  
لي عبارات تحفيزية حول قوة الذات وتنميتها... ما حدث لم يكن في  
الحُسبان أبدًا، لذلك ما زلتُ أظنُّ بأنني وسط كابوس سَأفِيقُ منه،  
الخييات التي تأتينا من أقرب الأشخاص إلى قلوبنا تستهدف سعادتنا  
أولًا والأحلام ثانيًا والشغف ثالثًا، والابتسام إلى ما لا نهاية.. شعورٌ  
غريبٌ يا مواجع، لا أدري من أي صنف وُلِد، أشعر بالوحدة كأني أتيْتُ  
من عالمي إلى عالمي الذي أصبح غريبًا كئيِّبًا دونك، كأني وُلدت للتو  
ولكن قسرًا عني وأمي!

(متى؟)

نصلُ إلى مرحلةٍ مُخيفةٍ جدًّا بعدما يُقَصِّم القلب بغتة، ممزوجة بالقوة وعدم المبالاة حتى للأمور الأعظم التي كنا نقدسها مُسبقًا... نتخلَّى عن كل ما سعيْنَا وقاتلْنَا من أجله وبمتهى السهولة، لا شعور هنا في الداخل يبدي اهتمامًا أو غريزة تؤدي مهمتها كما يجب... تصبح الأمور سخيفة والحياة بحد ذاتها حلقة نصلُ تقوم بقطع أي حلم يود التحرر من زنزانة الوجد المزمن...

لا نشاق أو نعاتب أو نبكي أو نضحك بإفراط، إن أتوا كان الأمر عاديًّا ولم يأتوا أيضًا يكون عاديًّا، هناك شعور في الداخل يموت يا مواجه بعد فقداننا لمن نُحِب، شعور يركد على الفؤاد ويميت رغبته لخوض أي لحظة!

(بعثرة)

لم يكن ذلك الرحيل عاديًّا، فقد امتصَّ قواي منِّي سواء العقلية أم القلبية، بعثرتني، سحقني، طحن روحي، فصلني عن عالم الألوان كُلِّيًا. مواجه، أنا الغريب في موطن ذاتي، التائه في مدينة حلمي، المنبوذ من أرض بهجتي. أناديك أنا، هل تسمعينني، أحبك أنا، هل تفهمينني؟!

(هَيَّا)

يقول فاروق جويدة يا مواجع:

"أعد الليالي ربيعاً ربيعاً، ويمضي الزمان ولا ترجعين"

كم ربيعاً يجب أن أعد، مضى العمر وأنا أنتظر عودتك، أذهب إلى  
البُستان لأسقي الوردة التي قمنا بغرسها أنا وأنتِ، وغرسنا معها الحُب  
والوعود والأحلام الوردية...

تلك الدمعة المألحة التي تنزلق من عيني كلما شممتها وتذكرتك  
فتحول لونها إلى شاحب يشي بالاحتضار، لم تأت من عيني بتأتاً يا  
مواجع. تلك الدمعة ربما تسربت من ثُقبٍ في قلبي أحدثه فراقك... أعد  
الثواني، الدقائق، الساعات، الأيام والشهور والسنين! ومع كل دقيقة  
تمضي ولا أراك يمضي بي العمر سريعاً فأشيب مُبكراً، يمضي الربيع كل  
عام ومعه تمضي تفاصيلي وأنتِ...

(ملءاهمة)

ليتني أعرف كيف يُداهم الأشخاص غيرهم في أحلام المنام  
لداهمتِك كل مساء كلما أغمضت عينيكَ كما تداهمني في كل ما استصفتُ  
حضرة الغفوة بعض وقت... يشفيني قليلاً..



(ملاذي)

في أجاج الانتظار، أداعب أحرقي الملتاعة وأحارب الاستحالة التي  
تتميل أمامي كراقصية تنغمس في سكر الضباب كلما حاولت إقناعي بأنك  
لن تأتي إليّ، وتحملين عن أكتافي أحمال الاشتياق. يا صاحبة قلبي ماذا  
فعلت بي، كنت شخصاً هادئاً لا يثير الانتباه منذ طفولته، أما الآن ومنذ  
ارتسام ملامح حبي لك على وجهي وأنا مجنون لا ينبس من حروف  
الأبجدية شيئاً سوى اسمك، أغرق في أحداق الحنين وأستنجد تلويحة  
منك، تنجينني من موج الهوى، أقحميني بك، ومزقتني إرباً إرباً، ماذا  
فعلت بي! أتعرفين بأن الأعداء كلما أوهمتني بها، عذبتني أكثر، إن كنت  
منسياً لديك فاعترفي وأنهاي الأمر حالاً، سئمت أنتظرك يا شمس روحي.  
ولكونك تعلمين بأني مظلمٌ دونك تصطبغين بالدلال وتعرقلينني في مرفأ  
التشظي والهشاشة.. تتأخرين عنوة لتركلي اللهفة على خاصرة قلبي  
الذي ران سهواً. أتراك تُرفقين وتهرعين إلى أحضاني التي لا تتسع إلا  
لك، وتملئين ذاكرتي بالحروف التي أشعر بأنك وحدك تتحدثين بها.

أنت لُغتي التي أتمنى ألا يترجمها أحدٌ غيري، ووردتي التي أخشى أن  
يشمها غيري، والحياة التي لا أرغب أبداً أن يعيشها غيري؛ لأنك أن  
كنت تعيشين في الحياة فأنا لا أعيش إلا فيك. فإن غبت ماتت نبضات  
قلبي، وإن أتيت استفاقت وغنت أغانيها مرة أخرى، لك.

( أَنْتِ لِي كُل شَيْء )

أَنْتِ الضحكة التي أَسْتَفْتَحُ بها تفاصيل يومي والأمل الذي على  
سبيله أمضي دون اعوجاج والأغنية التي تحملني إلى مجرات النعيم مرحاً،  
والقصيدة التي دَوَّنَها أحدهم غرق في بحر الهوى، والنصّ الجميل الذي  
اقتبسته من كتاب الحياة، والشمس التي تُبلّغني وجهتي وتضيء وجداني  
والقمر الذي يعانق في المساء أسرار المخبوءة، والزهرة الاستثنائية التي  
تُنافس كل زهور البساتين فتفوز دائماً.. والقهوة التي أحسبها بعشق لا  
يتمهي، والوجهة التي لا أمضي إلا إليها لأنك فيها أَنْتِ لي كل شيء، وكل  
شيء أَنْتِ..

( لَا تَنْكُسِرِي )

أَنْ تَبْقِي كما عهدْتُكِ.. قَوِيَّةٌ لَا يَحِيلُ بَيْنَكَ والسعادة أحد، هذا العالم  
خائن ومُحَاطٌّ بالغدر لا يليق قلبك الطيب ببشاعته، كوني على حذر من  
أصحاب الأفتعة! فليس كل من ابتسم لك نقيٍّ وليس كل من أثنى عليك  
أو مدح يُعد صادقاً، غوصي في العيون قبل الكلام لأنها لا تقول شيئاً  
كاذباً وإن بدا لك صدق الألسنة، حاربي المشقات وابتلعي ما أصابك  
بالضجر إياكِ تبقي واهنة العزم إن راودتك خيبة، خبي ظنون أصحابها  
بعزيمتك.. ثم انهضي من جديد.

حتى وإن كان من بينهم... أنا!

( لا ذنب لك )

سوى أنك غرقت فيّ ولفرط محبتي لك.. نسيْتُ كيف ينتشلون الغارقين من الغرق، بقيتُ على وضعية العناق مع حروفك مغمضاً عينيّ، أزهَر قلبي من رحيق رائحتك وأعيد إليّ الحياة من همسك وأرسم على عينيّ السَّلام من عينيك، كانت لحظة هادئة تغذت بالسكون وفي الوقت ذاته تغذيتُ أنا بك استمديتُ منك الحب ومني استمديت الحب أيضاً، غرقت واختنقت أنفاسي، لربّما شوقاً إليك، على الرغم من أنني كنتُ بين أحضان حروفك، يا أنا، أنا القديمة.

( لن يؤذيك أحد )

وأنا بالقرب منك، أنا درعك من أسهم الأحزان المتناثرة. ومنديلك إذا بكت غيوم عينيك. وصوتك إذا جثم الكلام على صدرك فعجزت الحروف عن إسعافك. وأنفاسك إذا أخنقتك الحياة وحاولت مواراتك من أمامي. كل من يحاول أن يعبك بقلبك الذي أحبه سأحاول أنا أيضاً أن أعلمه دروس العبثية كيف تكون، وكل من قال عنك سوءاً، سيتمنى مليون مرة لو أنه لم يقل عنك شيئاً، سأصبح وحشاً أغرس برائني على عيون كل من تسبب في احمرار عينيك. سأصبح حارساً لك من كل شيء يؤذيك!



(كيف؟)

ما أفسى أن أجد نفسي وحيداً  
فارغاً من كل شيء... حتى منك  
أحاول تبادل الخطابات مع عقلي تارة  
ومع قلبي المشحون بحمى التفكير تارات  
كيف أنساك؟!

(لا شيء)

كانوا يتحدثون أمامي عن الفقد كم هو شرُّ عفيف، حينها لم أتذكر  
أحدًا إلَّاك، فجأة قمت أصرخ بينهم أن يكفوا عن الهراء فانسحبتُ من  
بينهم أبحثُ عن وجهك الذي أخشى ضياعه. إيَّاك تعقدي مع الفقد  
علاقة وتودد فلا أحد يستحق قلبك غيري، ولا يستحق قلبي غيرك، وإن  
كان هناك من يود كسر عهود ذلك الاستحقاق فأغلقني الأبواب في وجهه  
سريعاً قبل أن ينقضَّ عليك. إني لا أرى إلا بعينيك، ولا أتفلس إلا  
برئيتك، ولا أتحدث إلا بصوتك، ولا أغني إلا بحنجرتك، ولا أكتب إلا  
بأناملِك. حذارى تغيبني فأنادونك لا شيء.

(ذكرى)

كتبت لي ذات مرة: لم أكتب لأحد من قبل بهذه الطريقة الصادقة، غالبًا ما كنت أكتب للخيال، أصبّ حبي في أفداح الفراغ، وأهمس بالأناجيد خبر أحدًا عما قلت.. مُعانقة خيوط الودّ المتبخره في السواد مقبلة غصن الغياب المُحاط بالأشواك. أرسم القصائد من بُن عيني، وأحنّ الأفكار بدمع حنجرتي، وأناديك حتى يُشيع النداء ولا تأتي..

صدقني ليس بأمر سهل أن تعترف بكامل جوارحك أنك وقعت في شباك أحدهم، أن تختار من بين الجميع شخصًا واحدًا تقولها له بلا ميعاد. وتُخاف ألا تقولها، وتُخاف أن تقولها، وتُخاف بعد أن تقولها. أن تترسّب تلك الكلمة يوما ما، وتمضي مرصعًا بالثقوب حتى تلتهمك الحشيات التي تتسرب عبر تلك الثقوب. وبعد أن قررت طيلة عمرك ألا تتشبث بكفّ أحد حتى لا تسحقك مشاعرك حين يغيب هذا الكف، وأن تضع رأسك على كتف أحد بكامل ثققتك واطمئنانك أنه لن يخيبك يوما ولن يتركك فريسة الأيام والصعاب. وأن تبكي أمام ذلك الشخص فقط، لأنك تعرف تماما أنه الوحيد الذي سيمحو دموعك بحبّ بودّ، وليس شفقة! وبأنه وحده سيحرق الدنيا ليطفئ ما أشعل روحك..

أمر ليس سهلاً أن تبقى طيلة العمر خائف، مبتعدًا على الدوام، لأنك لم تجد حقا من يلائم قلبك.. شخصٌ أنا يحلّل ما يقوله قبل أن يقوله، كي لا يُداس تحت أقدام الندم، يفكر كثيرًا، مرة، مرتين، عشر مرات، يتدرب

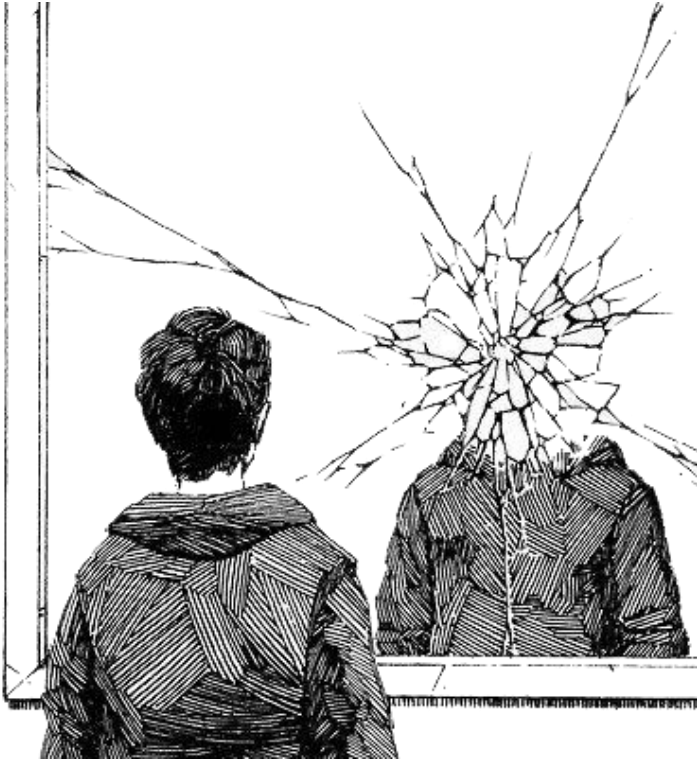
عليها قبل أن يقولها حتى . ويندم حتى بعد أن يلفظها خوفاً من النتائج ..  
ولكنني هذه المرة قتلتها نعم، ولأول مرة منذ أن خلق الله هذه الروح،  
وهذا القلب النابض، وهذه المشاعر التي لا أعرف إلى مدى ستؤدي بنا.  
لا أدري، لكنني بما أوتي العظماء من قوة أحبتك، حباً يفوق أي حب،  
حبّ العالمين كلهم، كحبّ الأرض للسماء، والعطر لعنقك .. لم أتوقع  
يوماً، ولم أرسم في مخيلتي أبداً أبداً، أنني قد أكتب شيئاً كهذا لأحد ما،  
كحقيقة لا زيف. أكتبه لأنني حقاً أشعر به، وليس لأتظاهر بهذا، أنا لست  
كاتبة مثلك، لا أجيد صياغة الأحرف بيهاء كما تفعل، لكنني حاولت،  
لأجلك! .. أعرف بأني سألوم نفسي كثيراً على ما كتبت، وأعاتبها جداً،  
بأنه ما كان يجب أن أعترف بشيء كهذا، إنه يخالف قواعدي في الحياة. إنها  
مجازفة ليست هينة. وإنه ليس من السهل أبداً أن أحب أحداً بهذه  
البساطة، قلبي ليس فندقاً يسكنه أي أحد، إنه شرفة صغيرة لا تتسع  
للجميع، شرفة دافئة تمنع دخول أي أحدٍ إليها بسهولة .. ربّما قد لا يتم  
حبّنا، كما يحدث في الروايات والأفلام .. وقد تحسبه أنت طيشاً، وآسف  
إن قلت بأنك ربما تحسبه ملء فراغ كبقية الرجال. لا أدري لكن معظم  
الرجال يفكرون هكذا، هذا ما تقوله الكتب والروايات والواقع. حين  
يفكر بالزواج يتزوج امرأة لم يرها ولم يتحدث إليها، يعتبرها أكثر أماناً من  
امرأة أحبته وأحبها وتحدثنا طويلاً معاً .. هذا ما أقره وأخشاه، أن تنظر  
إلي بمنظور كهذا .. لا أدري كيف وصلت إلى هذا الموضوع، ولكنها

الحقيقة. قد تجدني كئيبة أحيانًا، لكن صدقني هناك جانب مضيء فيّ. لكنه ليس كضوء الجميع، لا يمكنك رؤية هذا الضوء. ستتحسس فقط.. تقول بأني سلبية الشعور غالبًا، لكن صدقني هناك روح مرحة فيّ، بإمكانني أجعلك تضحك حتى يُغمى عليك. وبإمكانني فعل العكس. أخبرتك مسبقاً أنني متناقضة، وهذا فعلاً ما أعيشه مع البقية. التقلب المزاجي المفاجئ، الأمر الذي لا يحتمله أحد. ولكن لا بأس إن كان هناك لونين، ألا يعتادني الجميع تعسة، وألا يعتادني الجميع سعيدة، فإن رأواك تعيشاً تشمتوا، وإن رأوك سعيداً حقدوا، وحاولوا أن يدمروا تلك السعادة. قل بأني "نفسية" سأقبلها برحب جسور، ولكن صدقني، أنا لا أغفر، إن خُذلت لا أغفر، ولا أعود، ولا أعتذر، ولا أنسى. أصبح أكثر تحجراً من ذي قبل وأحذر. أنا حذرة بشأن قلبي لعلمك. لا يمكن أن أوقعه بمأزق يمكن أن يحطمه. أفكر كثيراً قبل أن أضعه بين أحضان أحد، عشرات، آلاف، ملايين المرات.. لا تسألني لماذا كتبت هذا، ولكنني كتبتّه وانتهى الأمر. ولا تنسى بأني إذا غادرت لا أعود مجدداً، ولا أغفر!



## العزلة الثانية

لقد كنتُ أنسى الكثير من الأشياء، أين وضعت مفاتيحي وكوب قهوتي، هل أغلقت الباب أم لا، والكثير من الأمور التي تتساقط من أغصان النسيان حين حلَّ عليَّ (خريف الذاكرة)، ولكنني كنتُ أتذكرُ بوضوح أنني ما زلتُ عالِقًا، غادرتُ شرفتي أم لم أغادرها، خلف الجدارن أم من الداخل، ما زلتُ منعزلًا تمامًا، وما زالت تلك الحنية تنهشني حتى اليوم، وتشعري بالوحدة في كل مكانٍ أتجه إليه، وبرغبة كبيرة في تقيؤ ذاتي المتعبة، أشعر بالغثيان من كل شيء، لماذا أرتجف؟



### مدخل:

لقد بدأتُ أنجح في شيء مَّا، بدأتُ أتخلَّى، أنسى، أترجع،  
وأنسحب. بدأتُ أستوعب!



همةة!

لم تكن دموعاً، كانت مطافئاً للحرائق التي تضطرم في داخلي..

\*\*\*





fran 1100  
www.fran1100.com

"أنا لا أنتقم، أنا أعيد الشَّخص غريباً كما كان."

مارك توين

ثم تتحدّث مع جدرانك، كمسّناً تخلّي عنه أبنائه، كي تكون نهايته بين  
المسنين في دار العجزة، ليبقى وحيداً يصارع مآسيه.. بمفرده!

\*\*\*

في مسائك تجبو على أوجاعك بانكسار، تصبّها بين أحضان قهوة  
مُرّة، وعلى مرسى القلم تبعثر أشياءك المكدّسة في ميناء شوقك، ينهشك  
فقدُ الوجوه التي تلهمك الحب، تأسرك الحروف، وترثيك أوراق  
الخريف حين وأدت حبّاً في مقبرة قلبك تزوره كل يوم بألم، وأنت الذي  
وأدته بيديك، تضع وردة باهتة على ضريحه الجاف وباقة دموع رحيقها  
بحّة مملوءة بالحنين تلظى على ضفة وجعك، مهمهماً بالاشتياق باحترق!

\*\*\*

بومة الأفكار تلازم هذا الحنين المتقدّ تحت نفق الخيال، تلازم هذا  
الصداع المستلقي على رأسٍ ثقيل، حتى أقراص "باندول" لم تعد تجد  
نفعاً... لافتراس كل تلك الفوضى.

\*\*\*

أضغاثُ ضحكات ترغّب القفز إلى عشبٍ أسفل نافذة مفتوحة  
وتختبئ خلف شفاة حرة الابتسام لكنك تبقى ملصقاً على وجنة الجدران  
في شرفتك العاشقة رنين العتمة المستمرّ، إنها مفقودة تلك النافذة.

\*\*\*

في حبّ صحراء وقعت ممزّقا، ودَدتّ مصادقة الجفاف فيها كونك  
متصحّراً منذ بكاء، وألقيت محبتك بكل رحب منتظراً ذلك العناق كي  
يأوي هشاشتك، على متن دمعة، تسافر إلى عالم البائسين لتروي ما يثير  
الضحك في لبّ الحكاية..

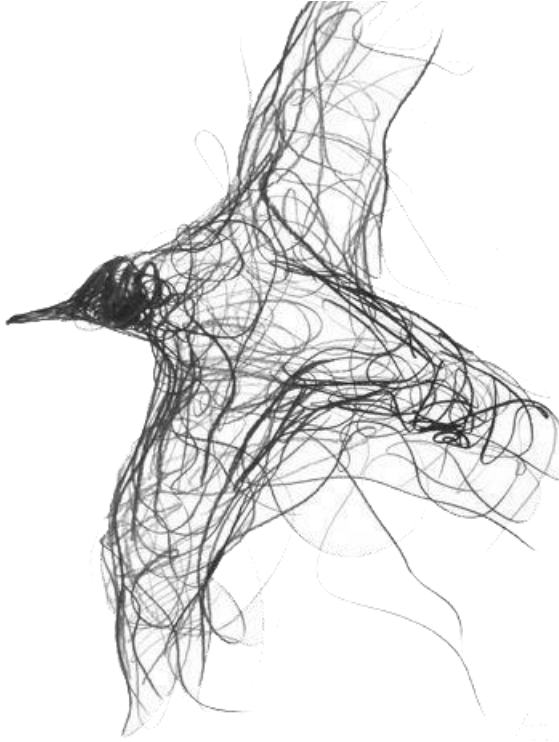
\*\*\*

تروح منهزماً بين عقارب الرصيف تسلسل أسرار الشحوبة لقمر  
باهت، وكم تبدو أمسيتك هادئة ترتدي سكوناً يوحى بالانطفاء، تبلع  
الأحاديث، خشية من كل شيء: يمطر بغتة!

\*\*\*

على ضفة النافذة: تجلسُ موضباً أوراق الهروب، مودّعاً المنضدة،  
والسرير، والخزانة والجدران، تنتظر إشارة النجوم لتسلسل بحذر دون  
صوت، ثم تعود من منتصف الطريق لأنك نسيت "مشاعرك" فوق  
المنضدة، وحين تتفضّل إلى تلك الشرقة تجدّ كل ما فيها يعزّي تلك  
المشاعر: لأنّها انتحرت بعد هروبك بدقائق قليلة. ثم تبقى بعدها  
مسجوناً، تعانق روائحها في اللحاف.. تبكي.. ويموت بعدها كل شيء!

\*\*\*



و تبقى غريبٌ في وطنٍ تنسب إليه حسب بطاقتك المدنية، كئيبٌ لا مأوى، أو مسرّات، يرفرف العبوس فوق أسطح الضياع، وأنت تسير باتجاهك نحو مجهول، تفتّش في جزيرة الذاكرة عنك، تحاول إقناع نفسك بأنك لست غريباً وبأنك تنتمي إلى هذه الأرض بينما لاتعترف بك، تعاتب شمسك عن تهميشها لتيهك، وقمرك عن هذيانه في قت تودُّ به تقيؤ هذيانك..

\*\*\*

في ذاكرة منفى تسبح بين أوراقك المتساقطة منادياً أحدهم، وبصوت مرتفع: أنا هنا، ثم لا يأتي إليك، فتنغمس تحت أنغام المياه الباردة خجلاً من صدائك حين أجابك بالتأجيل، تحتضر على محطة قطار تنهيدة والانتظار بات يُحدث ندباته بين جيوب وجلك، وعبر حديثك المثقوب، تنزلق دمعة: تلوّح بالرحيل.. إلى الأبد!

\*\*\*

ولكن ثقتي كانت مفرطة، ونسيتُ أن الإفراط بالثقة حماقة أحياناً.

\*\*\*

في جدار قلبك حكايات ألصقتها أيّامك العاتية، تنحّت التفاصيل القاتلة بين شرخ وآخر، تنتحر مشاعرك بفضلك وما علّقته من صور، كلّما أفاقتك شمس الربيع، خمدتها ألوان البؤس العالقة في ياقة مبسمك، تناغي ذاكرتك لتهدّئ من صراخها، علّها تكفّ عن البكاء، ثمّ تغفو وشهقاتها تتلو شيئاً من الوجد، وتنهض متّجهاً نحو نافذة الخلاص مُبتهلاً بضعة من نسيان.. لتشعر بالربيع.

\*\*\*

من حزنُ حظِّك أنَّك تحتسي قهوتك.. وحيداً تغوض في التفكير  
بأحدهم وقع في حب قلبٍ غير قلبك، تبسم بحسرة وتلقي للحياة تحية  
توحي بالكثير من العتاب.. حين أصابتك بلعة الحب، وحين أيقنت بأن  
الحب ليس له تاريخ نهاية مهما اعتصرك بالكثير من الحرقه، ولأنَّه لا  
ينتهي يبقى مقيماً في موطن قلبك، وموطنك مليئاً بالكثير من أصوات  
القذائف يقاوم الشطايا دائماً.. لأنه وقع في حبك أيضاً!

\*\*\*

لا تنسَ أنَّك وُلدت وأنت تبكي فلا تتذمَّر من نوبات البكاء، عِشها،  
وأفرغ ما يثير اختناقك، لا تسجن العبرة في حنجرتك، أو تعيد الدمعة  
من حيث جاءت أو تبحث عن مناديلٍ تحقِّف بلل وجنتيك، ابك حتى  
يقف من نفسه مهما طال ذرفه، سينتهي ويشعر قلبك بحرية مطلقة كطيرٍ  
حلق من القفص بفرحة، فابك متى ما شعرت بأنَّك تريد التحرر: من  
شيء ينوح بداخلك!

\*\*\*

تتفاءل بلحظة اللقاء، لكنَّك تخشى أن يكون كل شيء رسمياً، تتفاجأ  
ببرود الملامح، وضآلة حجم الاعتذار تطعنك بحدَّة، ثم تومئ فقط  
وقلبك أشعثٌ كبَحَّةٍ في صحراء الحنجرة يتوه مغنياً مواويل العناء،  
تستسقي الهواء بلحظة سكون باغتت الحديث في صفحة الاعتراف، ثم  
تُغادر قبل أن تعلن عيناك حربها، وتمطر ما خبأته منذُ خيبة، فتزيدُ من  
حجم الاكتراث.. وتبلغك حزنك.

\*\*\*

أسفل سربك مخبئاً ارتجافك وتُخرس صوتك: اوووش لا تبك تكتبُ  
أسرارك الحزينة بملح عينيك بين دفتي شفاه الصفحة، تضع سراً على  
هيئة لهفة غير مرئية، ثم تنام دون شعور وهم يبحثون عنك لتقوم بقطع  
كعكتك الخاصة بعيد ميلادك بينما كنت ترصد ذكرى أخرى أطفأتك،  
قبل أن تطفئ شموعك ثم تخيَّب ظنَّ الجميع بك فينامون بحسرة منك،  
كما نام قلبك تماماً!

\*\*\*

للمساء قصائد! تسبح في انعراجات القوافي، حيث تتساقط الأوزان  
من جارية الاشتياق، ثم ترقد أسفل ماء اللهفة الموقوتة، وما يثير من  
احتراق قلمك، هو أشياءك التي تحرُّ باكية إلى منفى الهروب، ثم ينتظرك  
حتى تعود وإياها، ليرصدك، تعود فتجد نفسك هاوياً على ضفة ورقة،  
مرسومٌ بحروفٍ باهتة، ملوَّنٌ بأهداب السراب.

\*\*\*

كل شيء كان رائعاً، لكنّ (كان) فعلٌ ولَّى في لحظتك الحاضرة، ترتوي  
من بئر أمسك الكثير من شراب النداء، والنداء المُنَادى بعيد لا يُسمع، كل  
ما في الأمر أنّك ستنقر قلبك بالتفكير حول كل شيء: كان.. ومضى،  
ولكنّ الأمر الذي سوف تفكّر به، هو كيف تريد أن تكون، وكيف  
ستكون بعد كان الذي شد رحال السفر ولم يكن.

\*\*\*

رُبَّ صَفْعَةٍ تَوْقُظُكَ مِنْ وَهْمِ انْتِظَارِكَ بِلُطْفٍ، تَلْكَزُ إِيْهَاءَاتِكَ  
الْأَمْبَالِيَةَ لِلرَّحِيلِ، خَلْفَ سِيَاكِ لَهْفَتِكَ: تَتَوَقَّعُ لَوَاجِهَ أَحَدِهِمْ.. قَرَّرَ الْعُودَةَ  
إِلَيْكَ لَتَكْمَلَا خَرِيفَ الْعَمْرِ سَوِيًّا فِي حَقِيقَةِ حُبٍّ، ثُمَّ تَوْمَنُ بِتَوْقَعَاتِكَ رَغْمَ  
إِخْبَارِكَ أَنَّهُمْ رَحَلُوا وَلَنْ يَعُودُوا، فَتَنْضَجُكَ صَفْعَةُ تَبَاغَتِكَ مِنْ عِقَارِ  
سَاعَتِكَ، مَخْبِرَةً أَنَّ الْوَقْتَ تَأَخَّرَ، وَمَا كُنْتَ تَنْتَظِرُهُ لَمْ يَأْتِ لِأَجْلِكَ، لِأَنَّكَ  
لَا تَعْنِي لَهُمْ شَيْئًا.. رُبَّمَا هَذَا كُلُّ شَيْءٍ.

\*\*\*

يَقْنَعُكَ النَّسِيَانُ أَنَّهُ لَا يَقْوَى عَلَى ذِكْرِيَاتِكَ رَاحِلًا بِخِيَةِ مُحَاوَلَةٍ، قَائِلًا:  
ابْحَثْ عَنْ طَرِيقَةٍ أُخْرَى، فَتَبْقَى فِي مَتْنِيفِ شَارِعِ تِيهْكَ، مُحَاوِلًا الزَّحْفَ  
إِلَى رُوحِ الذَّاكِرَةِ، لَتَهْدِمَ مَبَانِيهَا وَتَحْطُمَ أَسْوَارَهَا، وَأَنْتِ غَاضِبَةٌ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ تَبْقِيهِ فِيهَا بَعْنَادٍ، تَحْيِيءُ مَطْعُونًا بِشَهَقَاتٍ عَدَّةٍ، بَعَثَرَهَا بِكَائِكَ أُنْثَاءَ  
الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ ثُمَّ تَرْكُضُ هَائِلًا بِالْأَنْهَارِ لَتَفَجَّرَ فَيُضَانُ قَلْبُكَ بَيْنَ  
أَحْضَانِ أُمِّكَ، لَتَخْبِرَهَا بِأَنَّكَ حَقًّا تَعْبَتِ!

\*\*\*

آخِرُ حُلٍّ قَدْ تَأْوَى إِلَيْهِ هُوَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ عِلَاقَةٍ تَوْقَعُكَ فِي: حُبِّ الـ:  
مَائِرَامِ، تَكُونُ بِخَيْرٍ بِمَلَاءِ مَعْنَى خَيْرِ تَسْتَنْزِفِ شَيْئِكَ الْمَفْضُلِ مِنْ بَيْنِ  
كُومَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَتْرَاكِمَةِ بَيْنَ أَنْفَاقِ الْفَوْضَى، وَتَبْتَسِمُ طَوِيلًا دُونَ أَنْ يَهْمِسَ  
جَزَاءً فِي دَاخِلِكَ لِيَمْنَعَكَ عَنْ شَقِّ ابْتِسَامَتِكَ، تَشَاهِدُ أَفْلَامَكَ وَتَقْرَأُ كِتَابَكَ  
الْمَفْضِلَةَ، وَتَحْتَسِي قَهْوَتَكَ بِرُوقَانٍ لَا تَطْفِئُهُ ذِكْرَى عَابِرَةٍ!

\*\*\*



لوددتُ يا صديقي أن ينتهي كل شيء، أن ألد من جديد، وأرى الحياة بوجه الوضوح. ألا أقف أمام هذه النافذة طويلاً لأعدّ دموعي للمساء، بدلاً عن كل تلك الإنجازات التي رسمتها في مخيلتي ودفاتر المدرسة. لوددتُ أن أقتلع هذا القلب وأضع مكانه قلباً: لا يقع في فجوة حزن، يكون حذراً دائماً من أجلي كي لا أعاني، ثم يقول للحزن دائماً: اهجرها ملياً فيهجرنى.. إلى الأبد.

\*\*\*

قرب محطة اللقاء كان كل شيء يوحى بالجمال، وللحظة، تغير كل شيء، بعد أن مضى المنتظر نحو آخرين في جهة أخرى، وأنت في هاوية الصفعة.. تهربُ مكابداً دمعتك، فتخنق فاهك كي لا ينبجُ صوتك ويصرخ، تضيقُ بك الأرض ذرعاً، وكأن العالم توقّف.. سَكَنَ بغتة، كل شيء أصبح جامداً.. لا شيء على قيد الحياة في تلك اللحظة سوى تنهيداتك الخائفة! وعتابك لقلبك حين أمرك بالإتيان وعتابك لجرس ساعتك، حين أفألك باكراً.

\*\*\*



تجثو حينئذٍ فوق رصيف أوراقك، متأوهاً في جعبة النصوص، غارقاً  
في بحر كلمةٍ قصمتك وقلبك إلى شطرين، لتواسي كل شطرٍ بكلمةٍ  
أخرى فتقصمه إلى أجزاء "عدة" ثم تمتلئ الشرفة بأجزاءك المبعثرة، وماء  
الحبر الذي يطفو بها، وأنت بين أمواج تيهك تستسلم للغرق في بحر  
حبرك، فتطفو خامداً مُثَقَلًا بالأبدية، مهدّباً بالكثير من الأرق!

\*\*\*

لا تسمح لنفسك أن تُلزمك الركض وراء من يركضون وراء غيرك،  
فلا يليق أن تكون في الوراء أبداً، استدر إلى الخلف، ثم غادر من حيث  
أتيت، مهما كان قلبك يترنح بين شوارع دموعه، ويشهق كطفل أخذت  
منه لعبته، واسِه بقناعتك أنهم لا يليقون به، لأنه أشد منهم، نقاءً..  
سيهدأ!

\*\*\*

مقبرة ذاكرتك المليئة بالأموات الذين رشحهم قلبك بالزوال  
وأرواحهم تستفيق كل مساء، مهمهمين بلغة الراحلين.. على هيئة نسيان  
تتجاوز أغانيهم وأصواتهم اللازائلة من تاريخ العبور، تغمض عينيك  
هرباً من أشكالهم المشؤومة، ويبدأ شريط الأفلام السوداء: في حياكة ما  
وراء النهاية، ثم ترقد وقلبك يستجدي شيئاً من نهاية، ليتتهي كل شيء  
يعاني منه.. كل ليلة.

\*\*\*

موتد كشجرة في أرض أمس، تتمنى السير إلى عالم يشبهك وتفكيرك،  
تنمو فوق جفاف أحلامك، وأمانيك تتساقط من أغصان قلبك كل يوم،  
تأوي الكثير من العابرين المحملين بالهموم، وأنت بحاجة إلى أحدٍ  
يأويك، يأتونك في يوم آخر لانتشالك بفأسٍ صُنع من جذعك فتصبح  
موقداً لشتاء أشواقهم تتماهى بينهم.. وأنت الذي ماهيت أحزانهم، ذات  
عناء.

\*\*\*

لُجَّ ليلك ينزوي في صدر عباءة السؤال، وحين يلطأ حديثك في قعر الشroud، تبترك شظية اعتراف عابرة في ساحة حربك، حين حشر الرأء أنفه بين أحداث الرواية لتخوضها في وعكة لهفة، تفيضُ حيناً في لحظة الانتصار، لأحدهم يعانق بهجتك، ويخبرك أنك قوياً أنهيت أعداء حلمك، تتشبث بكفيه وتمضيا معاً فتكملاً ما تبقى من عمرٍ مُنتظر سوياً على بساط السلام، الذي رسمته الحياة (لكما).

\*\*\*

ويرسمك البكاء على شطآن الغرق، ملوَّحٌ بتعاويد النجاة من بحرٍ رماديتك، ثم لا يستدير لصدى صوتك أحد، فتقع في حبٍّ حوريّة تحدثك عن حياة البحر، وترافقك لؤلؤة تدفئك في حضن محارثها كي تعتني بك وتخبرك أن قلبك يُماثلها في النقاء، لذا هو بحاجة إلى محارة تبقيه فيها، تقيه أوجاع الحياة، مآسيها، صفعاتها، ومواقفها الجالبة للكدر.

\*\*\*

كالعادة! تنام مكبلاً بأوجاعك، متشابكاً الأفكار كخيوط العنكبوت، وإن أوهنَ الخيوط خيوطها، إلا أفكارك ما أصعب فصلها عن بعضها، حيث تجشو فوق بعضها، كأرواح وطنٍ سكنته حربٌ لا تفكر في الغروب، تبحثُ عن خيطٍ آخر، لإغلاق فتقك، وإبرة لمهمة الخياطة، ثم تقع منك في ساحل الظلام.. فتتوسّع فتوقك مع كل تعثر يوقعك..

\*\*\*

موسم الدُّموع يعلن بالهطول في قحط وديان الذاكرة لينبت مشاعراً  
لا ثمار فيها، والذكريات أنهكها الانتظار، تبحث عن مخرجٍ أخير إلى عبق  
التلاشي للرحيل مؤبداً، فقد أثار انهيارك من شفقتها ومزّقها حزنك  
كثيراً، لكنك تسجنها بقيود التشبُّث، دون أن تدرك بأنك تتشبّث  
باللاشيء، لأنها ذكريات والذكريات مجرد بقايا: بين جدران الذاكرة.

\*\*\*

وتمرُّ أيامٌ شهوً وأعوامٌ، وأنت تحاول جاهداً أن تنسى ثم يصبح ذلك  
الأمر روتيناً، اعتادت عليه الذاكرة، محاولة التناسي المزيّفة كلما جرّعتك  
تفاصيلك المبادرة بالبقاء، تحاول أن تُخلّق من أعلى تلةٍ سُجنت فيها دون  
أن تُصاب بأي خدش حتى ضئيل إن وقعت، وتضحك بصدق، وليس  
لإخفاء حزنك، أن تكون الحياة صريحة معك، وتبادلها ذات الصراحة  
فقط.

\*\*\*

اشتقتُ إليّ، عندما كنتُ مُغامراً لا أضيع في زوبعة الأفكار  
والذكريات، مشمسٌ لا يعترف قلبي بالانطفاء، خفيفٌ من أي همٍّ، أسير  
مثقلاً بالحماس لا الحزن، عندما كنتُ أضحك في اليوم مرّات كثيرة،  
وأتناول أطعمتي دون أن أبقى شيئاً في الصحن، وأتناول المثلّجات كلما  
رأيت العربة مارّة، اشتقتُ إليّ جداً، ثم لا أدري متى سألتقي بي من جديد  
وأبتسم بشكلٍ غير مزيّف، كما كنت أفعل!

\*\*\*

لحظة ألم، تستوقفك بين شروخ الماضي! بعد أن هرعت إليه بأقدام  
ملطخة بالندم، بالحسرة، تقف على محطة انهماك، فتعيدك أدراج الرياح  
إلى موقف جعلك هكذا، باهت كإنارة عتيقة في شرفة مُزارع، تكبو على  
قاعك المليئة بالعبرات المتدحرجة من زاوية إلى أخرى، ثم تبدأ في سرد  
كل شيء بدءاً من: أما قبل، يُسدل ستار المسرح، ينتهي كل شيء قبل أن  
يبدأ..

\*\*\*

ورغبة بقائك تتضاءل مع كل نسمة تهبها الذكريات، ترغب في  
الرحيل إلى عالم ينسيك كل شيء، لكنك لا تدري أين ذلك العالم، العالم  
الذي سيسدي لك سلاماً مغايراً لعالمك المليء بالكثير من الأحزان  
المتهاصرة. تبحث عن خارطة وحيدة تأخذك إلى أماكن لا بشر فيها،  
سوى الهواء الطلق ورائحة النبات والبحر، فتعود من ذلك العالم شخصاً  
جديداً.. حتى قلبك.

\*\*\*

تسنى للغياب لكنك واهن التصدي، ترتدي ثوباً من اللامبالاة لا  
يرادفك وعمامة تفكيرك تشدّ بأزر إيابك، وذهابك يبقى في المنتصف تائهاً  
في مآزق الرجوع إلى حكايات جدتك، وقهوتها ورغيفها وضحكاتها التي  
تشعرك بأنك مازلت حياً.. تُرزق.

\*\*\*

كطي السجل للكتب، تُطوى من قلوبهم، ينسونك، دون سابق عذر  
مبجل لوفائك معهم، تحتاز بقاياك في اللهث الأخير من اختناقك، محاولاً  
إعادة دموعك إلى روح الوعاء كي تبكي لأجل شيء أضمن منهم بكثير،  
تأوي إلى كرامتك منسحباً دون التفاته، تاركاً كل شيء.. فوق طاولة  
اللقاء: من مشاعرك حتى وفائك، حاملاً حقيقتك وقلبك، ملوحاً  
بالرحيل اللامُستأنف، اللامُعلن بعودة!

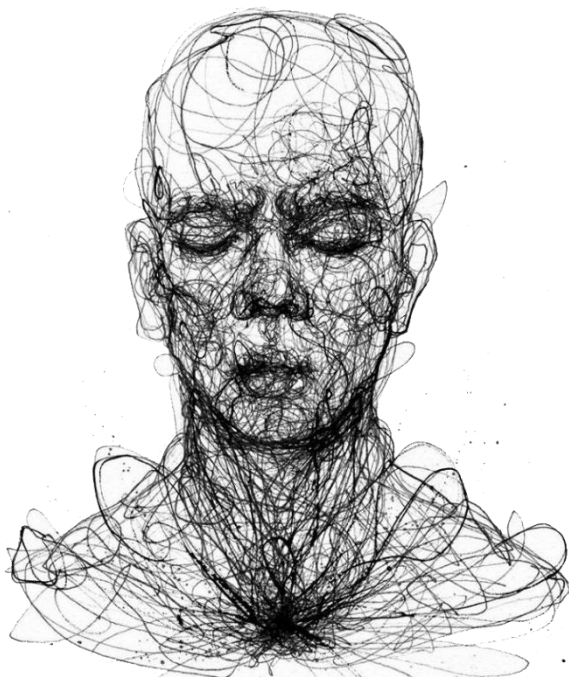
\*\*\*

تشدّ خاصرة مشأمتك، فتصفعها كرات وكرّات تصرخ في وجهها:  
متى يتحسن حظي؟! تضحك بسخرية: عندما تستحق ذلك، ثم تغادرك  
بتمايل الراقصات، تغنيك بشفقة وأنت تنظر إلى تلاشيها بشقّ عبّرة، تلکم  
الجدار بيديك فتؤلمك، وتركله بقدميك، فتستسلم للبكاء: كالأطفال  
الأحرار في تلك الأغنية!

\*\*\*

أمّا مناءاتك لحزنك من أبلغ الفكاهات التي تكثرثها، حين تقف  
معه، كلما سخرت منه سعادتك وأقنعتك بأنه يسلبك منك دون إدراكك،  
ويتشلك من بذور عمرك، دون أن تلاحظ أبداً، فتأويه عن الجميع لأنه  
الوحيد الذي ترجمك: حين جثوت.. لا حول منك ولا قوة مسلوب من  
بهجتك وبهجتك سُلبت منك.. فتبقى باهت كقمر حزين.

\*\*\*



ذكراك السائغ شراها في حلق بحتك، تنحنحت على إثرها أوراقك  
المخبأة تحت أسرة الدموع.. وأصواتهم تجول حولك دون أن تراههم،  
فترتمي معانقاً خفتهم لتفعم بالحياة، يحيئون في ذاكرتك ثم يرحلون عندما  
تفيق من نومك العميق من التفكير بهم ما بين ليلة وضحاها، وأدليت دلو  
الانتظار في بئر الإياب، ليعودوا فتعود إليك، لأنهم أنت.

\*\*\*



ألبوم الصور الذي اجتمعتم بها، فتجمّد كل شيء منذ لحظة التهيؤ  
للّقطة، فتحمله مسنداً رأسك على حائطك البارد، بعد بلعك للكثير من  
الغصات مع كبسولات الصداع، تقلّب الصور بحسرة، بألم، تستنزفك  
دمعة حنين مصبوبة من عينٍ تاقّت للقاءٍ مُباغت بعد فراق طويل.. جداً،  
تغلّقه والصداع يعيد دوره في مسرح قلبك.. فتنام مبلاً بالوجع.



احترافك في الصمت، يمثل شيئاً من قوّتك إذ تهدّل مآسيك على  
قصاص التجاوز، تتوخّى سُعال النشيج أمام من ينتظر ذلك منك، تبتسمُ  
طويلاً ببشاشة لم يلحظ أحدهم ماخلف قضبانها وتدسّ جميع أحزانك  
بين دفتي ضحكة ثم تؤكّد لمن ينتظر انطفائك، أنك لن تنطفئ أمامه أبداً،  
مهما اعتصرتك أشياءك المملوءة بالألم، في صدرِ المقاومة..

من ضجيج مدينتك، تهرب إلى صحرائك الملقية في واحة النسيان  
تسترسلك تنهيداتك المجاورة على ضفة قصتك التي أمطرتها عينيك في  
فصل الحزن، تُصاب برغبة الانغماس بين غيوم النوم هرباً من حنونة  
الذكريات وصهيل أصواتهم إذ ترعد في ذاكرتك!



من سطح دمعتك تقفز بكل ما تملك من عجز مرهلاً متأهباً  
للانقراض، ترفض وساطات المحيطين بك لتبقى، فتتجه بمشاعرك  
العرجاء وقلبك مصاب بالكثير من الرضوض، لعلك تجد نجمة أمل تقع  
في حبك للأزل، فتُبرح كل ما يتسبب في حزنك ضرباً، حتى يهرب دون  
عودة، فيزول مؤبداً وتعود أنت إلى أحلامك بقلب رحب ومبسم عتيق..  
لا يزول دهرأ.

\*\*\*

مع الجدران جالت أحاديث الليل، خاطبتنا المرايا السّاحرة عندما  
عزفت دمة في منتصف ضحكة، محملة بأصناف الكلام الذي لا يُقال،  
ثم ابتسمنا بحسرة من وجوهنا حين خطف الحزن جمالها، حتى أصبحت  
لوحة، مُثيرة للذبول.

\*\*\*

بين الدَّمع والصَّمْت طُفْنَا، باحثين عن رسالة كماوى، يأوي تيهنا.  
التيه المكون في شرفة الذاكرة، المسجون في زنزانة الهروب.. وبين  
أحضان عزلتنا، بحثنا عن بقايانا أيضاً، تلك التي هَشَمَتِها لحظة لم يتوقعها  
القلب الحالم مطلقاً.

\*\*\*

لكنّ الفقد موجد كجمرة في القلب لا تنطفئ، كوجهة ماتت مع الراحلين، يحول بمأساته كل يوم، ولأن الرّاحلين إن ماتوا لا يموتون من قلوبنا: يؤلمنا فقدهم، وجوههم التي تمر أطيافها بين الحين والآخر، وأحاديثهم، توجعنا أشياءهم عندما نراها تنوب عنهم، لأنهم رحلوا مؤبداً إلى عالم النهاية دون رجوع.

\*\*\*

صباح الالهفة، لأصدقائنا الذين لطالما احتسنا معهم أفضل أنواع القهوة، وتقاسمنا الرغيف على طاولة صغيرة، وأخبرنا بعضنا بأننا معاً سنبقى، فتلاشى كل شيء، فأكتب هذا قرب قهوتي وحيداً، وكل في فلكه يسبح بمفرده، هجرنا بعضنا أو نسينا بعضنا، ذلك أخرى اعترافاً! فانتظر كل واحد منّا أن يأتيه الآخر مبادراً، ومضى العمر والجميع خلف سياج الانتظار، ينتظر!

\*\*\*

رُبما اعترافك لقلبك بأنهم قد رحلوا عنه مع غيره، يشبه النصل الذي ينغرس ببطء ثم يبقى عالقاً فيه، تخشى نزعته وتخشى تركه أيضاً، وتخشى أنت منك، أن تصاب بنوبة بكاء تتمزج دموعها بدم قلبك، فتغرق في حديث السراب وملوحة الألم، بعد أن بعثرتها رياح شوقك على الجرح الحديث، لتعزيك في اللحظة الأخيرة.

\*\*\*

كل شيء على مايرام، فقط أعاني، زكام التيه، وصداع الحنين، وحمى  
الحزن والكثير من ارتعاش الحروف، في جسم القلم، تحت لحاف  
الصفحة.

\*\*\*

ما الذي منعهم! أن يأتوك رغم معرفتهم بذبولك، بانطفائك  
ومشاجراتك مع نفسك واضطراباتك المتناوبة وانهارك، واعترافك  
بعجزك، بسقمك وافتقار رغبة عيشك. ما الذي منعهم، أن يأتوك،  
للسؤال عنك، للاعتذار منك لاحتوائك لانتشالك من غيبك، ما الذي  
منعهم من كل ذلك!

\*\*\*

لوددت أن يُطمئنك، أحدهم تفكر فيه طويلاً برسالة نصية، يخبرك  
أنه قد اشتاق إليك كثيراً وأن فراقه عنك أمرٌ كارثيٌّ بالنسبة له، وأنه يشعر  
بالغربة دونك، بالوحدة والفراغ، وأنت تقتحم المساحة الأكبر من قلبه،  
ثم يختم رسالته بقول: انتبه لقلبك جيداً.. فإنني مختبئٌ داخله.

\*\*\*

مالم تعرفه عنّي هو أنّني خبأت بعضاً من دموعي في قفص المستقبل  
لأسكبها حين أصبح وحيداً فتواسيني بينما أندرج بين دهاليز أسطورة  
مأسوية بمفردي، ومالم تعرفه أيضاً هو أنّني أنسجُ عمامة من الصمت  
بهديوي، كي أرديها عندما يحلّ شتاء الفراق فأخفي كل ما كنت أخشاه  
تحت صوفها على رأس مشاعري تماماً، وأعبر دون اكتراث، دون التفات  
حسناً.. دون روح!

\*\*\*

كل الأشياء التي كنتُ أخشى خسارتها، خسرتها وانتهى الأمر،  
الأحلام، والأصدقاء، والابتسام، والبهجة، وكل شيء يشعُرني.. بالحياة  
لا أعرف إن كانوا قد شعروا بخسارتي فانطفأوا كما شعرت بخسارتهم..  
فانطفأت.

\*\*\*

وبعدما أموت!، أهنأك من سيتذكّر ملاحمي، كل يوم، كل شهر، كل  
عام. ويكتبني وهو يتأوّه من فرط الوجع، ويقرأ ما كتبه فيّ ثم ينام وهو  
يبكي ويبقيني في ذاكرته حتى يموت، يتذكرني في لحظة ضحك فتتلاشى  
ابتسامته فوراً، ويغادر المكان، متسعكاً بين الأرضفه غارقاً في حزنه  
لفقدي!

\*\*\*



كل الوجوه شاحبة، تموت في أرض الاشتياق.. ذابلة، كبستان ماتت  
وروده في حرب العطش.. يتيمة البهجة، كطفلٍ افتقد صورة والدته من  
بين المحيطين به بئسة، كقصة تراجيدية، انتهت بالحزن كما بدأت به..

\*\*\*

و حين أخبروك! بأنك تعني لهم ذلك الـ: كُلّ من كل شيء، وبأنك  
قلبٌ لا يُستغنى عنه، الجزء المُكَمَّل لحياتهم، ثم غادروك فور إيجادهم  
أشخاصاً غيرك، واستغنوا عنك حين لم تتوقع استغنائهم يوماً! ربما أرادوا  
أن تحفظ بفضلهم الكثير من المصطلحات كمصطلح الرحيل والغياب  
المُعلن بنسيانك، لتصبح أكثر قناعة بأنك الوحيد الذي بقيَ وسيبقى  
معك!

\*\*\*

خلف الكواليس، ضعفاء، ضعفاء جدًّا، أعتذرُ كثيراً رفاقي  
المتقمصون دور الأقوياء وأنتم عكس كذلك، أعتذر عن إفشاء هذا الأمر  
بوضوح، لكنني أردتُ أن يرفقوا بنا قليلاً قليلاً سكيناً ربّما لأن الاعتبار  
بأننا أقوياء على الدوام لا نشعر بشيء، سيزيد من كل تلك المآسي دفعة  
واحدة.

\*\*\*

لطالما تمنيت أن يأتيك أحدهم لترتيبك للشعور بك، فكرياً، عقلياً،  
عاطفياً، نفسياً. أن يكفّ عن عتاباته ويبادر في صقلك من جميع  
الجوانب، أن يفهمك، يسمعك حتى تنتهي دون أن يتذمر أو يومئ بملل،  
أن يشدّ بكفيك وأنت تغرق في دموعك فيقول لك: أنا هنا معك، لا تحش  
شيئاً.

\*\*\*

أسوأ شعور هو عندما تفهم في آخر اللقاء أن الجدار قد فهم عليك  
أكثر بكثير من الكائن المقابل، وأن القهوة قد شعرت بمرارتك، والوردة  
الموضوعة في المزهريّة على الطاولة قد ترجمت مدى ذبولك، والكأس  
الزجاجي المنصف بالماء، قد اكتشف، هشاشتك وجفافك، والنافذة  
الزجاجية القريبة، قد عكست ملامح وجهه التي تشي بجهله لما يحدث  
معك، بينما كنت تعتقد أنه (قاموسك) الذي لا يترجمك غيره من بين  
البقية.

\*\*\*

ترتجف من الشتات بعد هدوء غيمتك اليتيمة حين شئت مع الرياح  
معركة في داخلك، ثم تنهمرُ عبراتك فتمضي مبللاً خائفاً من قدوم شيءٍ  
آخر يوقعك في زوبعة حزن لا نهاية له، تحبُّك بين شروخ البقايا حين  
يغفو منهاج الخارطة بالقرب من شقوق منزل طينيٍّ خرَّت الأمطار  
العارمة سقوفه ليصبح متدلياً تحته مقصلة الزوال معلناً انهياره بأي  
لحظة..

\*\*\*

عاجزٌ في سجن ذاتي، وحيدٌ يعزفني الليل مقطوعة توحى بالكثير من  
الاستياء، أكتبني بكلفة، وكأن الحروف تنجبها حنجرة بوحى حتى  
بدوتُ شاحب الكلام، وكل ما بي أكمه في وحل دموعي، تخرق في موقد  
اللاشيء عيناى، رواية تعيسة مات فيها البطل وجتتاى، مسجون في  
هديل الذكريات، قلبي!

\*\*\*

في هذه اللحظة! أحقق في سقف الشرفة، رغم إطفاء الإنارة ربَّما  
أصبحت عادة ككل مساء، وخلف هذا الحائط أسمع صوت والدي، إذ  
يحاول بما يملك من طاقة: أن يجعل أخي الصغير ينطلق في القراءة ولطالما  
أردت الخروج إليهم فأتربّع بينهم وأخبر أبي بأني أمي، لا أجد قرائتي،  
عاجز عن نطق حروفي، أريد أن يضع فوق المجهول في.. النقاط.  
المجهول المتسوّل بين أروقة قلبي..

\*\*\*



تفقدك لهاتفك قبل أن تخلد إلى عالم النوم، خيبة تُنار من قبلك، فقد  
لا تجد من يفقد أحاديثك، إنني الآن أقوم بمواساتك، لأنني فعلت ذلك  
قبل قليل، وكان الأمر محزن جداً، لم يقل أحدهم بأنه: يفقدني، أبداً.

\*\*\*

الأمر المُرِّب! هو أن يصبح كل شيء قاسٍ معك دفعة واحدة، الحياة،  
الأصدقاء وذاتك أيضاً! فتجدُ بأنّها تمطر في كل أوطان الجفاء، تصبح تائهٌ  
في مرفأ التجوّل، بين ممرّات ضياعك، باحثٌ عن ركنٍ يحتويك ليقبك بلل  
القسوة، من أجل الجزء المزهر فيك، العبق المحبوك في ذاكرتك.

\*\*\*

ربما الجميع يعرفُ جيداً بأنك إنسان مثير للضحك والسعادة..  
ولكن شخصاً واحداً فقط قد يكتشف بأنك قادرٌ على إضحاك الجميع  
لكن أحداً منهم لم يستطع فعل ذلك لك من قبل، بعد مُدة يؤكّد بأن قلبك  
مُتعب والملاح المزيّفة التي توزعها على من هم حولك تثبت ذلك ولن  
يعي ذلك جيداً إلا من يعنيه أمرك جيداً.

\*\*\*

أفيضُ ألمًا! من ذلك الحنين المخبأ في ثكنة شفاه الاختفاء المُتَظَر،  
وأفيضُ تلاشيًا، من ذلك الحزن الذي يترأى باستمرارية توحى  
بالتعذيب، أطفو على نهر البكاء، حين أمطرته أشياء الحزينة في الداخل،  
وشفق كآبتي يسبح في وجنة المأزق، أكاد أبتلعني لفرط ما إن أدس بين  
جيوب الحنجرة اعترافاتي الموشحة بالاختناق.. دمعًا.

\*\*\*

رُبَّما سَعِيد لَسْتُ متأكِّدًا من ذلك الشعور، فقد أدمنتُ تناول كؤوس  
الشعور الفارغ كل مساء، وأن يأتيني أحدهم بكأس سعادة مُباغت، لأمر  
من الصعب الشعور به، أن تُسَعِفني في اللحظات الأخيرة وأنا أحتضر  
فذلك يوحى كم أنك جبانٌ، كم أنني مغفلٌ، حين انتظرتك من أول لحظةٍ  
هاجتني بالأسى. دعني أحتضر، وأحضر مأمتي، وأعزيني بنفسِي اغرب  
عن ذبولي.. فقط.

\*\*\*

عندما تجهر بصوتك بغتة! فإنك لا ترغبُ أن يسمع أحدهم صراخ  
الطفل الباكي بين أحضان قلبك، تحمد شهقاته بضحكاته المزيغة،  
وتُخرس نشيجه بأحاديثك الفكاهية المقنَّعة، تتعالى بصوتك على صوته  
كي لا يدرك المحيطين بك أنك تموت في اليوم: ألف مرة.. ومرة.. ومرة.. ومرة  
أخرى.. وأخرى ثانية.. وثالثة.

\*\*\*

لو أنّ هذه الدُموع تبلّل أرض القلب القاحلة، تُسقيها بشيء من مأوى، تزرع بستاناً نهرب إليه منهم، ونخبئ أنفسنا بين أغصانه كالفراشات، نبكي بعلن، ونكتب نصوصنا الخاصة بالأحلام، نقرأ كتبنا المفضلة دون أن نخبئ وجوهنا بين دفتيها: حين نتعثّر بنصّ عزف على الوتر الحساس بجراحة.

\*\*\*

غضاريف المشاعر هشةٌ لينة، قد تكسرها كلمة عابرة، ويسبب لها الخذلان التعاسة، وحين تغفو على نمارق الحنين، تُصبح هائضة القوام، ملفوفة في رقعة العجز، مضمّدة بلا شيء من عناية، مركونة في زاوية الهشاشة، تتنّ محاطة بأساور الانهيار، مصبوبة في كأسٍ مجرّع بالمرارة، ثم يلكمها عابث، أوجعها باعتراف مؤسف فيرحل.

\*\*\*

أريدُ ذلك الكمّ من الجرأة المحفّزة على الهروب من هذا العالم إلى آخر باهت يواكب شحوبتي دون أن أجلب معي أي شيء سوى قلبي المنغمس بين شقوق الذكرى، دون أن أخبر أحداً برجلي هذا أو أقول وداعاً، دون أن أكتب رسالة عتاب إلى أحد، دون إعلان مُسبق لذلك الهروب المباغت..

\*\*\*



أعلمُ يا أمِّي.. بأنَّك قرأتِ ما كتبته ذاتِ حزنٍ دونِ علمي، وأحرقتكِ  
تنهيدة زفرتها شفقة بي، فحاولتِ مراراً اقتحام ما يقتحمني، أو معرفة  
السر الذي قادني لمصادقة الوحدة والآنزواء، سرِّ احتكاري بين رفوف  
الصمت واختناقي في حقيبة الذبول بمفردي، حين شربتُ من الانطفاء  
جرعات مضاعفة حتى اختفيت.

\*\*\*

منذُ تلك اللحظة، وأنا أشعر بأنني أحق، أحقُّ جدًّا مغفل منحتهم  
ذلك التبجيل والاحتواء، وما الذي أسدوه لي، صفقة في منتصف الطريق  
هارين مع آخرين غيري، وأنا أقف متحسباً أثر تلك الصفعة، لأتوه  
وسط منحدر الدهول، وأتدحرج إلى حفرة الاختباء كبلورة وحيدة، في  
عالم البلاهة..

\*\*\*

ونحنُ الذين ننام معانقين أحلامنا بأسفٍ، مخلصين عيوننا بدمعٍ لا  
تنطفئ له شمعة، نهمس في أذني الأيام: ما رأيك لو نأخذ قسطاً من هدنة  
لنصحو مبكراً ونحلّق بين غيوم البهجة ببهجة نرتحي بين أحضان رذاذ  
أنشدتنا على مسرحٍ شفاف، عندما أدركت بأننا نكاد نختفي، تهاوينا بما  
فيينا من ألمٍ لا يخبو.

\*\*\*

حافي البسمة، أتسكّع بين شوارع اللامسرات وأقدام ذاكرتي تلتهم  
أشواك العناء بينما أناجي الليل ليلتقط شيئاً تنحّي قبالة المنفى قرب محطة  
تنهيدة تكتظّ بالسالكين نحو النهاية بلا مشاعر، عُراة الملامح حاملين  
أوهامهم وسط الحقائق الثقيلة يسرون نحو مجهول لأنهم في ورطة  
المجهول وقعوا دون حذر ثمّ توارى كل شيء.. خلف غيمة وداع  
حزينة..

\*\*\*

كَمْ أَنْتَهَا مُضْحَكَةٌ، فِكْرَةٌ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِمْ لِتُخْبِرَهُمْ بِأَنْكَ قَدْ نَسِيتَهُمْ،  
أَوْ بِأَنْكَ بَخِيرٌ دُونَهُمْ، وَلَمْ يَعُودُوا يَعْنُوا لَكَ أَيُّ شَيْءٍ حَتَّى جُزْءٍ مِنْ شَيْءٍ  
ثُمَّ تَخُونُكَ دَمْعَةٌ، تَقَاطِعُ انْدِفَاعَكَ وَإِسْهَابَكَ فِي الْكَلَامِ وَتَحَاوُلِ مَسْحِهَا  
قَبْلَ أَنْ يَلَاظُهَا تَدَحْرُجُهَا عَلَى أَجْفَانِكَ الْمَحْشُوءَةِ بِالْهَالَاتِ ذَاتِ الْحِدَادِ  
وَوُجْهِتِكَ السَّاخِنَةِ الْمُشْخَنَةِ بِالدَّمُوعِ، الدَّمُوعِ الرَّائِدَةِ عَلَى مَتْنِ مِينَاءِ  
الْمُلُوحَةِ!

\*\*\*

(لَا.. مَا فِينِي شَيْءٌ) كَمْ مَرَّةً قَلْنَاهَا، مَتَوَخِّينَ الْإِنْهَارَ وَالضَّعْفَ  
وَالْإِنْهَامَ وَالْخُضُوعَ لِسُخْرِيَّةِ تِلْكَ الْوُجُوهِ الَّتِي أَنْتَظَرْتَ لِحِظَةِ سَقُوطِنَا،  
تَفَادِيًّا لِعَيُونِ الشَّفِيقَةِ! أَنْ تَلْمَعَ أَمَامَنَا، خَشِيَّةٌ مِنَ الشَّمَاتَةِ: أَنْ يَلْكَزَنَا بِهَا  
الْأَصْدِقَاءُ بِنِظَرَاتِهِمْ، تَجَاوِزْنَا الْأَحَادِيثَ بِانْسِحَابٍ، وَحَارَبْنَا التَّرَاكِمَاتِ  
حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي الدَّاخِلِ، تَتَابَعَتْ عِبْرَاتِنَا فَبَلَعْنَاهَا بِوَجْعٍ صَوْنًا لِكِرَامَتِنَا!

\*\*\*

كُلُّ شَيْءٍ فِي الْمَسَاءِ يَتَسَاقَطُ الدَّمُوعُ، التَّنْهِيدَاتُ، رَمُوشُ الْعَيْنِ  
الْغَارِقَةِ، خِصَلَاتُ الشَّعْرِ إِذْ نَقُومُ بِنْتَفِهَا بَيْنَمَا نَغُوصُ فِي أَفْكَارِنَا. كُلُّ شَيْءٍ  
يَتَسَاقَطُ، الْحُرُوفُ، النُّصُوصُ، الْبُوحُ عَلَى قَاعِ الصَّفْحَةِ الْمُثْقَبَةِ بِجَمْرِ  
الدَّمُوعِ، تَتَسَاقَطُ عِبْرَاهَا الْحِكَايَاتُ الْحَزِينَةُ، لِتَتَوَلَّى الرِّيَّاحُ مَهْمَةً الْبَعْثَةِ بَيْنَ  
أَرْصَفَةِ السَّقَمِ.. الْبَالِيَةِ.

\*\*\*

هيا لنهرب، إلى جزيرة النسيان، نسلق أشجار اللامبالاة بحرية  
ونصرخ بصوت مرتفع، نغني والصدى نركض نحو الشلالات الباكية  
فنبكي تحت عيونها، نغسل قلوبنا بمائها الجارف حين يهكها الحنين بتتابع  
غير منقطع ونجرفهم منها بهدوء، نلتقطهم برؤوس أنامل الاستغناء،  
فنرمي بهم، كما وضعناهم بودّ، ننتشلهم بكرامة.

\*\*\*

إيها اتي، تدل فقط، أنني لا أرغب التحدّث، لا أرغب اتخاذ أي قرار  
لا أرغب المزح أو الضحك، كل ما في الأمر أنني أريد أن أطوّقني بذلك  
الدفء بنفسني، أتعالج من ذلك الجمود المزمّن، أصبح بخير من وباء  
التفاصيل، أفهمني لو مرة واحدة، أسمعني عندما أنادينني بعجز، أن  
أتلافاني في اللحظة الأخيرة من السقوط!

\*\*\*

ولطالما غسقتني ذكرى، في وحشة الليل الطويل من ليالي الشتاء  
الباردة الطويلة، متدارك ذلك الصراع اللعين بين القلب والذاكرة، بين  
أمس واليوم، بين اليوم وغد، يتساقق ربيبي من قدوم العمر البطيء،  
وسرعة تدفق الشيخوخة على عمر الربيع، من انتهاك السقم لمستقبل  
مجهول، من اعتراض الصفعات لأحلامي عندما تسير حرة دون خوف  
بين ممرات المستقبل!

\*\*\*

في دهاليز الذاكرة تسيرُ هارباً من صوت طفلٍ يصرخ خلفك راكضاً  
بهلع، وفي آخر المطاف يوقفك حائط صلد لتستسلم وينهار قوام هروبك  
فيقترب منك بلهفة وعيناه تهمهم بالأسى يرتمي بين أحضانك مخبئاً  
وجهه الشاحب في صدرك، يخبرك أنه لا مفر منه، لأنه مأواك.. وأنت  
مأواه الوحيد.

\*\*\*

كنتُ أصرخ فيتصاعد صوتي إلى السماء فتُمطر، قطرات رمادية، ما  
ذلك النوع من المطر يا أمي!؟

\*\*\*

وتبقى عاكفاً في كهفِ آهاتك، مستفرّجٌ بدموعك، بنشيجك،  
باختناقك، بصراخك المتفاوت ما بين تنهيدة وأخرى، تستلهمُ ثمة حُسن  
يعانقك به صديق لك، يللم أشلائك المبعثرة من أرضك المغبرة بالهيام  
المتّقد، تصبّ حكاياتك البائسة في ودّ منديلك، الذي أهدوك إيّاه ذات  
بكاء لينوب عنهم اليوم!

\*\*\*



صفحات مخدّرة أردت أن تنوّم وجعاً في ذاتي فقط لأنهمض وأتناول  
بهجتي مرة واحدة من كأس السعادة التي يتحدثون عنها، إنني أرغب في  
انتزاع هذا الألم الذي أرسته الأيام في خاصرة مناي وأفنيث شبابي تحت  
قسوته إذ بقي عالقاً منغرساً بحدة بينما أتأوّه بحرقة.

\*\*\*

دمعة اليوم تقول: أخفّ مواجعك قبل أن تتبرّك في شجون أيامك،  
وحين تلسعك الرياح بخفة قاوم عبرتك، حدّق في السماء وقل: يارب  
ألهمني، فقد ضاقت الدنيا على عبدك، بعثر آلامك في ورقة بيضاء، وحين  
تنتهي مزقها ثم ارمها بعيداً، ستشعر بحرية بعد رصدك لمآسيك،  
وطردها خارج قلبك المبتئس، لكن دون أن يشهدوا لحظات ضعفك.

\*\*\*

فتميل إلى من يشبهك في اهتماماتك، وتجاوزك وقلة مشاركاتك،  
لأنهم يعكسونك، حيث تراك فيهم، سترغب في مجالستهم حتى وإلم  
تبادلوا الأحاديث، كل ما في الأمر أنك ستشعر بالراحة لأن هناك من  
يشبهك.. واستثنائيتك، وإن كانت استثنائيةً رماديةً.

\*\*\*



تلك الطفولة، كانت خدعة لطيفة من الحياة، استدرجتنا بهدوء إلى  
وعكات الامتحانات، نقفز من أرجوحة الحديقة إلى مواقفنا الصادمة،  
نتناول آلامنا بدلاً عن قطع الحلوى والأيس كريم الثلج، نخشى كسر  
حاجز الخوف وسلسلة أحزاننا، نهرب من الأمهات كي لا يقلقن من  
أجلنا بعد أن كنا نهرع إليهنّ كلما تذبذت دمعة قاسية بين رموشنا البريئة!

\*\*\*

أوصَّب دمعتي وأحكم علي حقيبة النسيان في وتر الهروب من  
الكلمات المرموقة لدى ذاكرتي رغم اكترائها لضياعي وشتاتي المندلع كل  
يوم دون مطرقة تعلن بالبراءة من عذاب ألوقه دون إجرام أقترفه قطّ.

\*\*\*

دعني أخبرك بأنني لم أبداً اهتمامي لتلك الخبيات الكبيرة التي طعنت  
شغفي ومزّقت آمالي. عبرتُ حاملاً وجعي على أكتافي دون استدارة.  
تحملتُ حرقة الألم وصبرت كثيراً. حاولت بألا أقع وأتخطم، بأن أبقى  
ثابتاً، صامداً، قوياً، متحجراً. لقد نجحتُ في ذلك الأمر واعتدت كل  
شيء. اعتدت الخيانات، الغياب، الخذلان، الحنين، وهمشية الأصدقاء.  
اعتدت أن أكون وحيداً. مُسالماً. خالية حياتي من كل شيء. حتى مني..

\*\*\*

تتمنّى أن يخاف أحدهم عليك، يبحث عنك، ويتنظرك إن تأخرت،  
يقلق عليك إن اختفيت فجأة، يجرّحه ما يجرّحك، توجعه مواجهك،  
يجزّنه غرقك في وحل دموعك، يحاول الاتصال بك أكثر من ألف مرة  
حتى يطمئن عليك، يضمّك إليه، فيهمس في أذنيك: أنا هنا لأجلك.

\*\*\*

وتظنُّ أنك تعيش بينهم، وأنت في الحقيقة في عالمٍ ثانٍ لا تعرف كيف  
وصلت إليه، وكيف بإمكانك العودة.

\*\*\*

على متن تنهيدة ألتجول في عالمي المشحون من وحي الخيال مسطراً  
نوحاتي في عمق شرنقة المجهول وأسير مهياً للانحدار نحو ركن السقوط  
باستسلام، لأنسحب مصطحباً حنيني لأحدهم تمنيتُ لو أنه قال لي ذات  
مرة: لا تتوقف، استمر. إنني هنا أعدّ دموعي على متن تنهيدة: فُلِّقْتُ كل  
ما بي إلى أجزاء لا تُحصى!

\*\*\*

نخبُ الليل، في قدح الألم، تسكبُ دموعك المالحة بهدوء فتشرّبها  
وتكوّن فقاعات مألحة تتفرقع أمام عينيك لتقول: نخبك، تغمض  
مشاعرك بخطى ثقيلة ثم تتجه نحو فراشك وأنت ثقيل، ثقيل كأنّ جبلاً  
وُتِدَ فوق رأسك، تتحسّ جدرانك حتى ترمي بنفسك على سريرك الذي  
اعتاد تلقي.. انهيارك.

\*\*\*

مرحباً صديقي، كما هو الحال دائماً، أداعب حكاياتي البائسة مستمعاً  
للحون المرايا حين تغني ضعفي المستمر على دفّة النّافذة، أعزّي هذا  
الوطن وأواسيه كل ليلة بحرقتي، إذ تتسامى الرياح على هشاشتي، تضع  
شيئاً من سخرية فوق منضدتي المتهالكة، ثم ترحل ضاحكةً من ذلك  
السقم المعتدي على قلبي، ذو الفصول الحزينة.

\*\*\*

كم مرّة حاولت إخبارهم بأنك تعاني كثيراً، تنأى فوق أدراج منياك،  
لا تملك كم التحريّ للمواجهة، تحتاج الاختباء بين أسرارك، التفقد  
لبقاياك، الصقل الجديد لروحك الكيماوية الأكسدة، ثم تشهق رحيقك  
بعمق، بعمق طويل لا يتوازي والقلق، وتلوح بيديك كي لا يقتربون  
منك، عندما أصبت بالدوار، فتحملك بنفسك وتعدّد معها صلحاً  
مؤقتاً، من أجلك لتستمر.

\*\*\*

على ماهيتك المعتادة تشرب قهوتك بعد أن تركتها في المنتصف تغادر  
شرفتك، للبحث عن وجه أضعته وأضاعك في زحمة الحياة الواسعة،  
تفيض تيهاً في دهليزك المعتم، متكوراً في همسة أثار بها ليلك، تنادي القمر،  
إذ يموت في صفحة السماء بامتقاع.. مؤسف.

\*\*\*

أن أكون كالصحراء، لا أشبه إلا نفسي..

\*\*\*

سئمتُ الانتظار والجلوس أمام الطاولة أرى العابرين في سبل الحياة  
يتسكعون مع من تمنوا إفناء العمر معهم إلى النهاية، سئمتُ أكتبهم كم  
أنهم سعداء، وأنا وقلمي نعاني التعاسة وسئمت، أنتظرُك يا جهيلتي تأتين  
إليّ باعتذارك الذي يذوّب حزني: كانت الطريق مزدحمة لذلك تأخرت  
عليك، سئمت إخفاء دموعي عن المارّة، ووضع نظارتي الشمسية  
لحجب احمرارها عن شفقة العابرين.. (أحدهم يعاتب سعادته).

\*\*\*

خائف مني كثيراً، أخشى أن أتركني في منتصف دمعة، وأنا بحاجة  
إليّ كاحتواء يقيني ارتعاشي وهلعي، أن أودّعني على محطة نهاية، قبل  
تحقيق الأحلام التي لطالما رسمتها طويلاً في ذاكرة شجرة مُسنّة، أن  
أصفعني وأرحل، تاركاً قلبي بين أحشاء الاستفهام، أن أهرب بعيداً عن  
ذاتي، أو أبقى وحيداً على حافة العُزلة، أداعب شهقاتي بهدوء.

\*\*\*

صدّقني، ما غادروك إلّا بعد تفكير، تفكير دقيق جداً، ربما طيبتك لم  
تعجبهم، لذا هم بحاجة إلى من يصفعهم، ويركل مشاعرهم، يغرّس  
الحزن في قلوبهم، يخذلهم كثيراً، ويخيّب أملهم إلى حدّ اللاتوقّع فيرحلون،  
تماماً ليشعروا بما شعرت به.. وأكثر!

\*\*\*

قلبك ظمآنًا لذلك أنت تشعر بالشحوبة، بحاجة إلى ماء احتواء  
يروى حنينك ويرطب وديانك المدفونة في جور الجفاف، يترس لهفتك  
بالارتواء النهائي، وبعد انتهائك من شرب ذلك الماء تبكي طويلاً، تزيح  
آلامك عنك، تسرد كم أن خفقان وجعك يطعنك، كم أنك بحاجة إلى  
ودّ غير مزيف، يدوم للأبد!

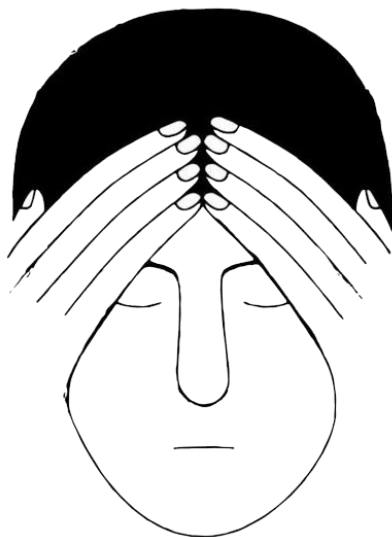
\*\*\*

بين زوايع أفكارك، التي تتناثر من فم هذيانك، في وسط فنجان يرتادُ  
بقيتك، أعددته والدتك بحبّ، ثم تستنشق هوائك المفعم بالأم، وتزفر  
بقايا روقان في جو الضجيج الملثم بنُخبة التائه، بين إعصار دمعة  
تناهدت بفلسفة عاشق، بين زوايع أفكارك تروح ملتمساً شيئاً من مسرة  
تصطحب الأمان!

\*\*\*

للاذكرة مقهى على مقاعدها قلوب خُذلت، تحتسي خيبتها بحسرة  
وترتجي الماضي أن يعود لتصقل كل شيء، ثم تعود إلى حضن الماهية،  
تشعل سيجارة لديها شغف، شغف التخلص من صداد الأفكار  
المتناقضة، المحدثه كمّ فظيع من الثقوب والفجوات، وبين ركني مقهى  
الذاكرة، عازف بيانو يواسي الجميع، المعلنون موسمهم الخاص.

\*\*\*



آخر ظهور كان ليلة ما قبل ليلة البارحة، حين انسحبتُ من بينهم  
أداعب أدمعي، وأعاتب عبراتِ رقصت في حنجرتي حتى أفاضتني  
بالاختناق وغادرت، غادرتُ متروساً بالوجع الحياضي، أزعجتني فكرة  
الانسحاب والاستجابة للبكاء على ضفة رصيف فارغ، سئمتُ الخنوع  
لتلك الغصّات المتأرجحة فوق أغصان ضعفي وقلة حيلتي، سئمتُ  
أكذب على أمي، بأن عينيّ تعاني الحساسية لأتخاشى قلقها عليّ!

\*\*\*



حالوا بيننا حتى وضعوا حاجزاً لم نتجاوزه إلا بالكتابة!

\*\*\*

وأخشى أن تداهمني الشيخوخة قبل أن ألتقي بحلمٍ أضحى في قلبي،  
ولطالما تُهت في سر ريشة تتناولها أكف الهواء إذ تقفز من كف إلى آخر،  
راغبةً بشيء من ضحكة تناغم سكونها، تحشرجه حتى تفضفض بعد  
ارتدائها للكتمان طويلاً بين صخبِ الجموع.

\*\*\*

ائتني بقناعك الحقيقي. فلدي ذاكرة ضعيفة قد لا أعرفك حين  
تزورني بقناع آخر.

\*\*\*

طاعن شعور الغربة بين أصدقائك وأهلك حتى مع نفسك، تشعر  
بغربة فظيعة غير مألوفة، ترغبُ معرفة ما وراء الشتات من تعليل، ما وراء  
القلب من بؤس، ما خلف جدران ملامحك من أسرار، ما بين سطور  
ذاكرتك من حكايات لا تُروى حتى لنفسك..

\*\*\*

أبحرْتُ اكتفاء بك. غرقتُ في خوفي. كيف هان عليك تمزيق  
الأشعة؟ وحسبتك مجدافي على قارب وحشتي في غيهبِ دهري الأعرج  
كيف هان عليك تحطيم المجاديف؟ تشبثُ بك لأنني كنت أحسبك  
النجاة لا طوق النجاة، كيف هان عليك إفلات يدي؟

\*\*\*

أين المفر من هذه الذكريات الطارقة أبواب هدوئي بكل سداجة،  
حيث تهرع من ذاتها وإن كنتُ أبهاً دخولها، تجول بين أركان قلبي بعشيةٍ  
شاملة، وحين تنتهي من بعثرة تفاصيل الذاكرة تركلُ قوامي وترحل،  
ترحل سالبةً من خزانة مسرقي السرية القليل من مقتنيات السعادة التي  
خبأتها لأجلي منذ زمن طويل!

\*\*\*

أحاديثك يا أمي، لو أن يتحدث الناس بمثلها لأصبحت الدنيا بخير،  
لاطمأنت الكرة الأرضية، لانقرض الحقد وتلاشى العناء وتبددتِ  
الأحزان وانتهت أدوار الضيق والحزن، لأصبحت الأرض جنة لأنَّ  
قلبك جنة، وما تقولينه يلهم قلبي بالكثير من الإلهام يا الله! كم يحبك  
قلبي..

\*\*\*

الدنيا علمتني، أن الحبَّ الأول هو الحب الأخير وأن الحب الأخير  
حكاية لا تنتهي، أن الحزن عابر حتى وإن خطف منا الكثير من ملامح  
الحياة الزاهية، أن الأنقياء وحدهم ينضجون لأنهم وحدهم سيخذلون  
من قبل الأصدقاء، أن التعثرات بوصلة الإدراك وأن الإخفاقات خارطة  
للعثور على وجهاتنا، وأن الأصدقاء لا يدومون إلى الأبد، وأن الأوقات  
القاسية والشديدة هي التي تكشف الأفتنة وتبين جوهر الإنسان  
الحقيقي، أن أحاديثهم مزيّفة، إلا أحاديث أمي.

\*\*\*

حسافة، على صدقٍ بذلته ونقاء بعثرته ببراءة لا تنتهي، على حبِّ  
تلاشى والرياح، ورسائلٍ نُفيت إلى موطن المهملات، ومقاطعٍ صوتية  
غرغرت العبرات في مضيق حنجرتك، ومحادثات مزّقت أوتار شغفك  
إرباً دون ضمير مُسبق، على كل شيء جميل قدمته وجُزيت بعكسه!

\*\*\*

يُقال بأن القمر يستمد ضوءه من الشمس، لذلك أبدو مظلماً  
منذُ أن فقدتك.

\*\*\*

أن تحمل الريح صدى بحتي المثقوبة إلى جيوب قلمك المُحتضر. فتُعاد  
إليّ كنصّ فقاً الجرح أسرارهِ الخرساء.

\*\*\*

ربّما مرحلة اللامبالاة التي وصلت إليها، كانت نتيجة الضربات التي تلقيتها دفعة واحدة يا صديقي.

\*\*\*

ظل بعض الأقرباء يُحاولون هدمنا، بينما كان يعيد بناءنا الغرباء.

\*\*\*

لم ينتظر البحر أحداً، ولم يرغب أحداً على البقاء، لكنه التهم الكثير من الأسرار، لا تلمه إن هاج بغتة، الأسرار لاذعة، للبحر جوفٌ لا يحتمل ذلك، دعه يتقيأ ألمه، فهناك أرواح في طريقها إليه، تنوي التقيوء، تقيوء مأساة جديدة، إلى بطنه، وتعبّر!!

\*\*\*

أنت تشعر بالاختناق لأنهم ببساطة لم يترجموك ولم يقرأوا ما تقوله عينك، أو يوافقونك آرائك، أو يفهمون ما يصهل في صدرك من أحلام لا تكفّ عن الصراخ.

\*\*\*

سيبدو لهم أنك صمدت، بينما أنت في الحقيقة من فرط ألمك..  
تصخّرت.

\*\*\*

وانتهى الأمر.. بقصيدة رثاء مثيرة للحن تروي ما لم يكن وتعاتب ما  
حدث فيما كان، أصابت القلب بجلطة اللاشعور، تחדّرت المشاعر قليلاً  
فتنهدت حين انغرس سهم خذلان عابر بين أحشاء سلامها بغتة تلاشى  
كل شيء، ليلحن المطر قصيدة رثاء لقلبين: سار كل واحد منهما في اتجاه..  
معاكس للآخر!

\*\*\*

يا صديقي، ربّما علينا أن نبقى في المتصف، البداية مأزق، والنهاية لا  
تُخلف النجاة دوماً.

\*\*\*

الوفاء الحقيقي للموتى هو أن نشعل نار الشوق لهم بالأبجدية كلما  
حاول التعايش خمدتها، وأن نبخّ عطور أصواتهم على ياقة اللحظة  
السرمدية حتى لا تغرينا البهجة وننسى أننا يوماً ثُقبنا بفقدهم، وأن  
نعلقهم على عنق الذكريات كقلادة مودة أبدية كلما ازدحمت حياتنا بغيوم  
ود مزيفة، وأن نرسمهم على مرآة العين كلما حاولت أن تُعزي من لا  
يستحق العزاء، وأن نعتنق روائح ماضيهم، كلما حاول الحاضر أن يُباهي  
تلك الروائح بلذة التناسي الجوفاء، أن يكونوا دائماً الأولى في الخيال،  
والوصال، والتذكر، والمحبة والدعاء!

\*\*\*



ممتنٌ لجميع الأصدقاء الذين علموني الاتكاء على الجدران  
لا على أكتافهم.

\*\*\*

تضحياتك، وتجاوزاتك لأخطائهم بحقك، غفرانك لزلّاتهم مراراً،  
كبحك لشعور الأسف منهم كلما خذلوك وهمّشوك خمدك لظنونك  
واعتقاداتك الصائبة بهم لأنك تؤمن بأنهم لن يطفئوك يوماً، أفكارك  
الحيارى بين ما اكرثوه وبين ما تشعر به من حسرة، كل تلك المشاعر  
المتراكمة التي خُضّتها سابقاً هي ما جعلتك تشعر بالأسف من نفسك  
اليوم!

\*\*\*

الطقسُ بارد، والجميع يرتدون أثقل المعاطف إلا أنت ربما ترتدي  
أثقل الآلام، تقرسك أحزانك بعنف حتى استحالت التدفئة، أطرافك  
باردة جداً، ليس جراء الطقس كلاً، إنما طقس الشعور بداخلك شديد  
البرودة، شديد جداً وما قد يدفئ قلبك، اعتذار من صديقٍ خذلك  
بقسوة، الصديق الذي يعاني منك بداخلك.

\*\*\*

حدّثيني أيتها الأرصفة، كم من الباكين عانقت، وكم من التائهين  
أويت، كم من الباردين أدفأت، وكم من الجائعين أطعمت، وكم من  
المتأوهين واسيت، أنتِ حنونة كأنكِ عطف الجدّات فحدّثيني!

\*\*\*

لا تسأل عني، بل اسأل عن نفسك كيف أصبحت بعد رحيلي المؤبد!

\*\*\*

ما زلت أتعجب من الأثر الذي تركه بعض الكتب في دواخلنا، حتى أنها تجعلنا يوماً بأكمله تحت تأثير ما حدث، ولا سيما النهايات الحزينة، تجعلنا نعود إلى الوراء، كأننا نواسي أبطال الكتب بأننا قاسينا الشعور ذاته، فقط لأسباب مختلفة، وفي أماكن مختلفة، وظروف ومواقف مختلفة، ثم يسألنا من حولنا، عن سبب مزاجنا المتعب، ونكتفي بإيماءاتنا فقط، فمن ذا الذي سيتفهم عزاءك لشخص سُحق في الخيال وحسب.

\*\*\*

أوصل سلامي إلى (أنا)، أيها المساء الشقي، وأخبرها بأنني قد اشتقت إليها وأنني أدعوها لاحتساء القهوة معاً، نتذكر المواقف الجميلة التي لطالما عشناها حتى ترنمت صافرة الفراق، ثم افترقنا بقناعة من كلينا، أخبرها بأنني أريد أن نصبح أصدقاء وحسب، وبأنني سوف أنتظرها حتى تأتي، في مقهى العزلة.

\*\*\*



في قهوة البُنِّ حكايات حزينة، تشبه بلدة اشتهرت بها ذات زمان،  
تكمّن تفاصيلاً عميقة، مبهمة كأثّها الحرب المبهمة في أرض السعيدة،  
تطوفُ بي إلى عالم التساؤلات لأصطدم بأكتاف التائهين مثلي في عالم  
البحث لأفكارٍ لا جدوى من إقامتها بموطن قلوبنا المشوّهة بأحزان  
الفقد وأوجاع الغياب، وحرقة الفراق التي أصدرتها محكمة الحرب!

\*\*\*

توقّع أن تراني كثيراً بعد عودتنا من حفلةٍ صاحبة. من اعتاد المكوث  
في العزلة، ترهبه الأماكن المزدحمة..

\*\*\*

حكايات الليل تنهيهها نقطة ضياع في بحر الأعماق المتراكمة فوق  
منضدة الخيرة، تروينا لذا نحن نخشى النهاية كأن نحصل على بضع كفٍّ  
في آخر المشوار.. فنتهي، وتنتهي الحكاية!

\*\*\*

لن يطيقوك حتى تواكب سطحيّتهم، أو أن تكون نسخة مكررة  
منهم، وتتبع القطيع الذي لطالما مشوا معه.

\*\*\*

هادئةٌ كلونِ الليل.

\*\*\*

اختالت الأحزان علينا يوماً واغتالت ما تبقى من شعور لتفيض  
المشاعر بالعنصرية، بين حزب القلب وحزب الذاكرة، وكل حزبٍ يماري  
الآخر بصوابه ونحن في المنتصف، نراقب بقلة حيلة.

\*\*\*

العودة، هي أن تحمل ماضيك على أكتافك حين لم تستطع التخلص  
منه، وتستمر في السير نحو المستقبل لتحمل على كتفك ماضٍ آخر بعد  
أن تعبر من محطته..

\*\*\*

المنعزلون منطقة مغلقة، يحبون التأمل في كل شيء، لكن عن بُعد!

\*\*\*

كُنْتَ الليل الذي فقأ عين شمسي، والعاصفة التي دهست  
صوت شموعي.

\*\*\*

وحينما بزغ فجر يومي بدوتُ معتماً من بقايا ليل، راودتني  
اضطرابات من كل اتجاه، علقتُ أنفاسي في خياشيم التيه ولطالما حاولت  
السباحة أو التحليق لكن زعانفي تخرت وأجنحتي كُسرت!

\*\*\*

المطر، وسيلة عناق بين السماء والأرض.

\*\*\*

يجب أن تعتاد على أن تخوض غمار ما يمزق فؤادك بمفردك. الاتكاء  
الدائم فخ!

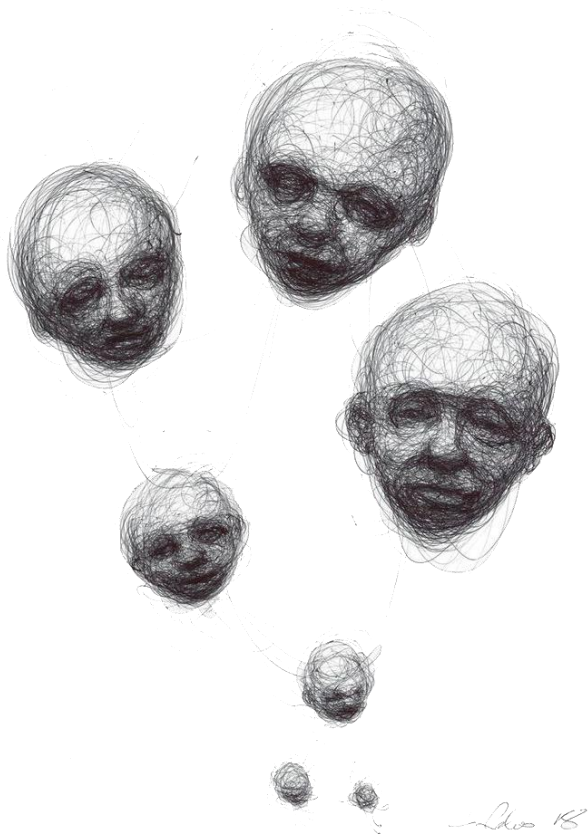
\*\*\*

قارئةٌ تُحب الكتب؟ لا تحاول عبثاً، إنها لا تُهزم

\*\*\*

أتقهواني في فنجان صمتي بهدوء أتأمل مشاعري كيف تتبخر،  
وتنزلق مرارة التفكير عبر القلب الذي مزقته العبرات، الاكتراثات  
المغفور لها دائماً، المواقف التي تجاوزتها، أتلذذ ألمي، وألعق من نهر البكاء  
قسمتي من الدموع ونصيبي..

\*\*\*



ألحان آذار الممزوجة بنسيم الليل، عندما قادتني نحو بحيرة أمس،  
وأمواج كل شيء أنهكني، لا طمتني على صخور الأسى حتى تداولت  
الأعاصير بقاياي وكأنني ريشة وقعت في عمق محيط، غرقتُ في لهثِ  
المناجاة أناهد خييتي بلطف متغطرس وأحفر قصتي البائسة على وجنة  
صخرة صدّعتني دون ضمير.

\*\*\*

أنا القطار الذي فاتني، والمحطة التي انتظرتني.

\*\*\*

وبينما تُلقى على رفوف خيالك الجذلى تُناديك الطيور المهاجرة، أنك  
ولدت في أرضٍ لا تليق بأفكارك عن طريق الخطأ.

\*\*\*

في لحظة انطفائي، لا تسألني مابك فقد انطفأت وانتهى الأمر، ها أنا  
حوزة شهيق أراقب شمس حلمي كيف تغيب، تاركاً قلبي لفحيح  
الليل، وزرعتني في أرضٍ يمر منها الأموات فقط، كلما سعل القمر  
وتنحنحت حنجرتة بغمرة الكلام، في لهفة الظلام وأسف الختام!

\*\*\*

عاقه حروفي حين اعوجت على رصيف اعتراف أوى إلى ورقة حزينة  
تجول في شارع ساكن يتقافى والرياح بعنفٍ جبّار، حتى تدرجت هاربةً  
من فمي، وأنا الذي حاولتُ التشبُّث لكنني فشلتُ في قضية التشبُّث  
بسهولة، فأدركتُ بأن الأقدار كالرياح، تأخذ ما تشبثنا به طويلاً بغمّة.

\*\*\*

ويُذَكِّرُ المطر بهم وكأنه رائقهم التي يحدثك عنها موسم  
الذكريات، تبتلك لهفة لقاء تحت مظلة واحدة، ترثيك غيمة صرخت  
تحت هطول أشواقك وحيداً، والناس يخرون هروباً من الغرق، وأنت  
تغنّيك تحت عزف المطر؛ لأنك قد اعتدت الغرق.

\*\*\*

أواسيك أيها المعرّض للألم على حساب وفائك، أيها المهمش في  
رحاب السراب، المطوّى فوق رفّ الضياع، المنسيّ والمنسوب إلى لحظة  
احتراق لا مرئية، أواسيك بقهوتي المالحة من كأس عينيّ الراقبة، بنصّ  
بائس، أضعتُ دفترًا كتبت فيه ذلك النص!

\*\*\*

وكانت الناس تناديه: يا مجنون ليلي، فيحب ليلي أكثر!

\*\*\*

إني بحاجةٍ إلى منزلٍ آخر، مقعد آخر، شرفة أخرى، مدينة أخرى،  
موطن آخر، وإليّ أيضاً!

\*\*\*

خاب ظنِّي في كثيرًا خاب، غروبي معادياً لشروقي، وحزني حاجز  
فاصل يفصل بيني وبين جزء من سعادة، أستيظ منادياً بأسمائهم  
وأسمائهم تُنادي من قبل آخرين لستُ منهم، تهدمني أفكارهم كلما هممت  
النهوض، تغتلبني عبرة كلما قررت الضحك، فأهرب إلى بحر حكايتي  
لكتابة اللانهاية!

\*\*\*

كلما قل الأشخاص من حولك كلما أصبحت أكثر قدرة على عيش  
الحياة كما ينبغي، دون مزاحمت لأفكارك وأشيائك، وأوقاتك التي  
ترغب قضائها بمفردك.

\*\*\*

بُؤساء كنجمةٍ وحيدة في سماءٍ دامسة، يحاوطنا الشتات من كل حذبٍ  
وكل الجهات معجونة بالخوف الملدِّذ بالبكاء، ضعفاء والقلوب يتيمة  
البهجة نائمون فوق صدر العناء غفواً والحزن فوق صدورنا وهي  
المملوءة بالأسى حين طوّقنا الجفاء..

\*\*\*

سينعتونك بالمجنون عندما تضحك بإفراط بالانطوائي عندما تهرب  
من سخافاتهم بالمرضى نفسياً عندما تخبئ نفسك عنهم طويلاً، بالثرثار  
عندما تسرد بهجتك بصوت عالٍ، بالمعقّد عندما لا تبالي لسفاسف  
الأمر، إنها وظيفة الفارغون يا صديقي فلا تعجب.

\*\*\*

في رحاب الروح بحثتُ عن أنا القديمة، كنتُ بحاجة قصوى إليها،  
أفتش بين ريش مخبأ في قشّ عزلة لم أجد شيئاً سوى رائحتها، كم هو  
حارقُ فراق الروح، البحث عنها طويلاً، ثم لا تجدها لأنها هربت مع  
أصدقاء الليل إلى كهوف البكاء..

\*\*\*

كان الأمر أشبه بانتظار الأم طويلاً لعودة ابنها المحارب فتعانقه  
وتعانق فيه رائحة الوطن، ثم يقبضها الشعور الأمومي لاقترب أجل  
الفراق فتراوغ ذلك الشعور، حتى تراه بعينيها في الصحف ووسائل  
الإعلام يحترق في سكون الموت ببطء فلا يعود إليها لتحتضنه ولا  
تحتضن فيه رائحة الوطن، فتوقن حينها وإلى الأبد أنه قد رحل أبدياً  
ورحل معه الوطن!

\*\*\*



لهفَةُ المساء لمعانقة هشاشتنا لا تقل عن لهفتنا لأصدقائنا الذي  
ودعناهم على محطة فراق أبدي، الفراق الذي نهش ربيعنا، الربيع الذي  
حجب انطفائنا بيننا وبينه وبين حياة مليئة بالمرات، المرات التي  
أخذوها معهم في حقائبهم!

\*\*\*

يُلفتهم أنك تغيرت فقط لكنهم لا يتساءلون لماذا طرأ ذلك التغير  
المفاجئ، أو ما العواصف التي سحقتك حتى أصبحت شخصاً آخر..  
ليس أنت.

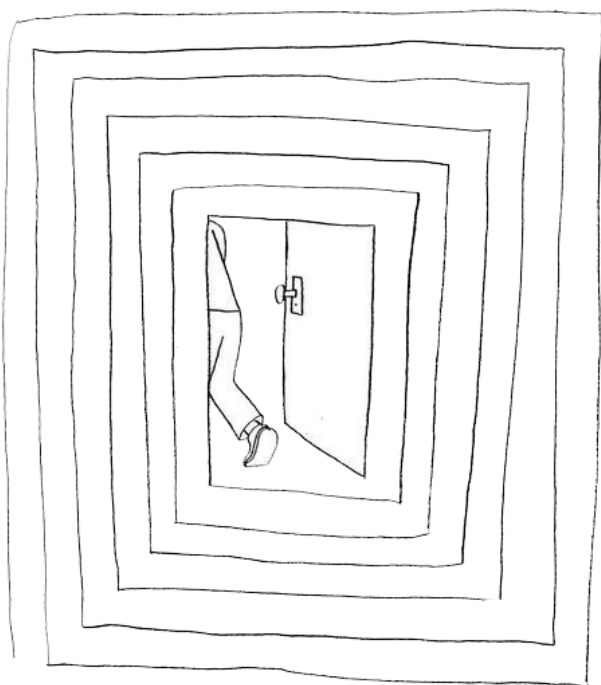
\*\*\*

المواقف كفيلة في كشف أمر مهم للغاية.. أن أعداء اليوم قد يكونوا  
أصدقاء الأمس.

\*\*\*

قد نبوح للأمهات بعضاً من تلك التنهيدات التي يقرأنها تنزوي  
وسط أحضان أجفاننا الخائفة المتأهبة للسواد، أو نعتزف للأصدقاء عن  
مدى شعورنا بالكآبة المزمته، لكننا مع كل ذلك نشعر بأننا ما زلنا  
متخمين بالكثير من الكلام، ونشعر بأننا فاشلين جداً في شرح ما يدور في  
قلوبنا، ثم نكتفي بالجلوس طويلاً مع أنفسنا محاولين عقد الصلح معها!

\*\*\*



c.d.

بعض الناس يتواجدون في حياتك ليعرفوا أخبارك ليس بدافع  
الاطمئنان إنما بدافع التشمُّت.

\*\*\*

الكثيرون أداروا لك ظهورهم حين كنت بحاجة إليهم... تتمنى  
فقط لو أن يدور الزمن، ليس لتدير ظهرك كما فعلوا، بل لتدير ذاكرتك..

\*\*\*

انتظرتك كثيراً يا صديقي، لكنك تركتني أنتظر عبثاً، كنت أعتقد  
بأنك منهمكاً بشيء ما لكنك كنت تقضي الوقت معهم وأنا هنا وحيداً  
أواسي قلبي وأقوم بخياطة الفتوق التي توسعت بفضلك فيه، أشحذُ  
ابتسامتي ليوم غد كي أجتاز تساؤلات المحيطين بي عندما يقولون:  
مابك!

\*\*\*

- المكان الذي تُخذل فيه غادره.

- ماذا إن كنت قد خذلت في كل الأمكنة؟

\*\*\*

سألني أحدهم: أنت تحب الجلوس في المقاعد الأخيرة، وبمفردك  
تماماً لماذا يا ترى! ... قلت: يكون الإنسان محفوفاً بالأمان أكثر كلما صار  
وحيداً، الوحدة حياة العظماء..

\*\*\*

الأمر الذي يزعجك أنك وحيد، تريد أحداً يشاطرك حرقتك، لكنك  
أيضاً لا تريد!

\*\*\*

كُلَّمَا تَنَازَلْتَ حَصِيلَةَ الْأَشْخَاصِ مِنْ حَوْلِكَ، كُلَّمَا تَصَاعَدْتَ حَصِيلَةَ  
نُضْجِكَ! يَكْمُنُ نُضْجُكَ فِي الْاِكْتِفَاءِ بِنَفْسِكَ لِأَنَّكَ تَوْقِنُ بِأَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى  
عَيْشِ حَيَاتِكَ بِمُفْرَدِكَ وَلَا حَاجَةَ لَكَ بِأَحَدٍ، وَذَلِكَ النُّوعُ مِنَ الْاِكْتِفَاءِ لَا  
يَتَقَنَهُ إِلَّا قَلِيلٌ.

\*\*\*

فِي قَفْصِ تَائِهِ بَيْنَ أَيْدِي الظَّلَامِ، يَتَدَاوَلُ الْمَسَاءُ هَشَاشَتَكَ، وَأَنْتَ  
مَصْدَعٌ بِالْأَشْوَاقِ الْحَيَارَى، أَمَّا الدَّمُوعُ فَتَغْرَقُكَ، وَأَمَّا الْبُكَاءُ فَيَخْنُقُكَ  
وَالصَّوْتُ مَكْتُومٌ فِي غُرْبَةِ الْأَوْجَاعِ، تَقَافِيهِمْ بِاللَّحْنِ الْمَشِيدِ بِالنَّشِيجِ، يَبْدُ  
الْحَنِينِ الَّذِي عَزَفَتْهُ آهَاتُكَ الْمَنْسُوجَةُ بِالْأَلَمِ، رُبَّ اقْتِرَاحٍ يَنْتَشِلُ رُوحَكَ إِلَى  
قَلْبِ الْوَدَاعِ، وَتَنْتَهِي.

\*\*\*

إِنِّي أَعَانِي مِنْ لَهْفَتِي لِأَشْيَاءَ لَمْ تَعُدْ لِي مِنْ شَوْقِي لِأَصْدِقَاءٍ رَحَلُوا مِنْ  
اِنتِظَارِي لِأَحْلَامِي عَلَى حَافَةِ: الْمُسْتَحِيلِ. مِنْ اِنْهِيَارِ جَسُورِ الشَّغْفِ فِي  
دَاخِلِي.

\*\*\*

إِنِّي أَشْبِكُ يَدَيَّ فِي يَدَيَّ مَا عُدْتُ أَطِيقُ الْاِنتِظَارَ لِأَكْفَ تَمَلُّاً كَفُوفِي  
نَهَضْتُ مِنْ مَقْعَدِ رَجَائِي لِإِتْيَانِهِمْ، مَتَجَهًّا نَحْوَ عِزْلَتِي بِكُلِّ خِيَّةٍ، مَتَشَبِّهٌ  
فِي الْبَقَايَا الضَّئِيلَةِ مَنِّي كِي تَبْقَى مَعِي.

\*\*\*



ما زلتُ أحمل رمح الأمل على أكتافي المتهالكة وإن كان ثقيلاً، أتوق  
لغرسه في خاصرة واقعي السّفاح هذا، لعل شيئاً من هواء السلام يتسلل  
شغفي!

\*\*\*

إلاّ عشرين دمة توقيت هذا القلب وعقاربه المسائية المتطفلة  
بالضياع، أراقب نافذة مغلقة مقابلة لنافذتي تماماً وأفكر طويلاً في من  
يسكن تلك الشرفة، أبحث ما يبحثني، أهو هاربٌ منهم كما أنا هارب،  
حيث لم يفهم تقلباتي المزاجية أحداً، أهو يبكي مراراً كما أصبح المزارع هذا  
روتيناً لي..

\*\*\*

صنبور المساء يقطر الأوجاع فوق إناء ذاكرتي المشوشة بالصدأ، وأمّا  
الحنين فيقرع باب قلبي ثلاثاً وأربعاً، والعاشرة تخلعه، هذا أنا معلقٌ في  
خيوط غصّة، قابعٌ في أراضٍ وحدتي، محمّلٌ بالكثير من الكلام، تسابقني  
غصّةٌ، وتعثرني دموع حنيني إلى قلبي القديم..

\*\*\*

علمتني الوحدة أنّ الأصدقاء سيشعرونك بالحياة إن كنت متواجداً  
معهم فقط ولم تكن متواجداً، فلست موجوداً أساساً ليشعروك بها، أنّ  
البكاء تربية لطيفة لكس الكثير من الآلام التي تجمعت فوق رصيف  
القلب الهشّ، وأنّ النسيان، لا يتوافق مع ذاكرة عنيدة.. البتة!

\*\*\*

نعم الصديق أنت أيها الصوت المكسور في وعثٍ ممراتٍ الحديث  
الباهت، المنادى بالبائس كلما لمحك العابرون شارداً قرب نافذتك  
الصغيرة، النائم على بساطٍ انهيار، ملفوفاً بنقطة سوداوية تحت غيمة  
عناق مع الماضي، نعم الصديق أنت، فأنت تواكب انطفائي تماماً!

\*\*\*

إنها الأحلام يا أمي، أحلامي الكبرى، طمست تفاصيل السلام كأن  
أعيش أو أتعاش كالبقية، لكنني لا أريد أن أكون البقية، فأنا أنا، أريد أن  
أكون أنا، لا أريد يا أمي أن أكون البقية..

\*\*\*

أنا فخور! لأنني جبكتُ مسرّي يديّ، واسيتُ لهفتي لأحلامٍ  
تلاشتُ، وكبحتُ رغبتني للبقاء مع أشخاص يرغبون البقاء مع آخرين.

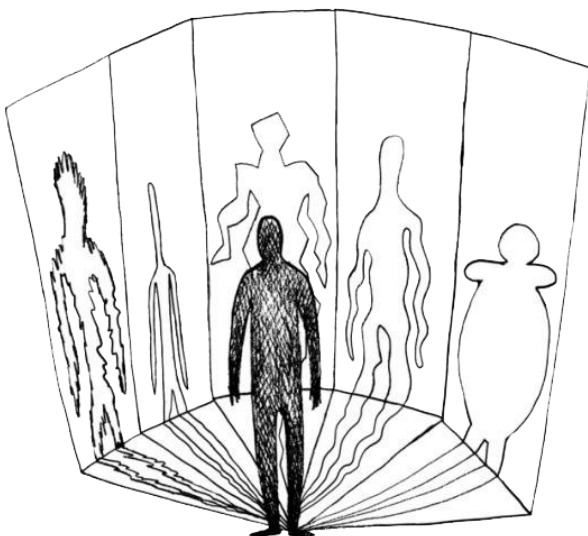
\*\*\*

لقد تغيرت الأمور، لم يعد القلب يخفق حين يراهم، لم تعد حدقة  
العين تتسع، أو تبتسم الدنيا ويضحك الزمن وتتوقف الريح وعقارب  
الساعة تكف عن النقيق، ضمن العابرين أصبحوا، لا يؤثر بنا غيابهم أو  
تواجدهم حتى، سقطوا من قلوبنا قبل عيوننا، تلاشوا من ذكراتنا جداً،  
نسيناهم والحمد لله..

\*\*\*

كانوا يعتقدون بأنهم سيهزمونك برحيلهم مع غيرك وإفلات كفهم  
عن كفك. وأنت تجلس بعد ذلك تتحسر على شيء واحد فقط. هو أن  
الحظ لم يسعفك لتخبرهم بأن رحيلهم من حياتك بالنسبة إليك انتصار  
وليس هزيمة. ومن أعظم الانتصارات التي نلتها على مر الصدف التي  
خضتها!

\*\*\*



وعزاؤك أن تولد بأجنحةٍ في أرضٍ ثكلى، بلا سماء!

\*\*\*

ليس الجميع يوثقون هزائهم فقط مع أشخاص آخرين، ربما قد تكون  
تلك الهزائم نتجت عن حروبٍ خاضوها مع أنفسهم.

\*\*\*

التلويحة الأخيرة كانت بداية جديدة بالنسبة لي، بداية جديدة لاختباء  
جديد.

\*\*\*



## مخرج

كم مرة بدت لك الحياة قاسية، كأنها أنجبتك قسراً، لا ترغبُ في رؤية وجهك أو سماع صوتك، لا تروقها نجاحاتك أو محاولاتك، تشعر بها تتجول كل ليلة حول سريرك ترغب التخلص من عبئك، كلما نهضت مجدداً تتحسس أنفاسها تزار من خلفك، كأنها تقول: لا يليق بك النهوض، الدنيا تسودّ أمامك، وكل العالم يبدو لك خاذلاً، وكل محاولاتك تبوء بالفشل، وكل أنواع الكآبة تطرق بابك واحدة تلو الأخرى وحين ترفض فتحه تخلعه لتقتحم شرفة روحك، لديك الكثير من الأفكار والتخيلات والأحلام، لكنك تشعر بأنها حبيسة صدرك، لا تجد ضالتها في سمومية واقعك، فتقصدُ سبل الزوال لتسافر إلى غيرك، لأنك لم تستطع احتوائها أو إخراجها إلى النور، لا أحد يؤمن باستثنائيتك، وكل أحلامك معرضة للتكفير، وكل آمالك العظيمة تُناشد الاستقلال ليحييها الاستقلال أنه ما زال يبحث عن استقلاليته.. تحتسيك الكلمات من عبق المساء بهدوء يحاوط مقلتي الشعور، كأنها أنجبت لترضع الظلام من ثدي الظلام وتتلور بين أحضان الأمومة الحياتية القاسية، وكأن الحلم لقيطاً لم يعترف به أحد، يتوه بين أرصفة الوجوم حتى أيقن أنه مأوى لنفسه فأمه وضعتة قرباناً لأرصفة الخطيئة. ولا يدري إن كان له أب أم أن أمه قد نكحت الظلام فأنجبت كهلاً صغيراً يتقياً السواد كلما اصطدم بالنور بغتة!! هاأنذا أخبرك بها أوتيت من

انهيار، بأني قد حاولت، حاولتُ أن أكون عاديًّا، أتخطى الأمر، أغادر هذه الزاوية، وأخلع قميص خوفي، لكنني أعود، في كل مرةٍ أتحدى بالشجاعة وأجازف، أعود من منتصف الطريق، وأنشغل نفسي من الصخب، بصعوبةٍ بالغة، أعود ملوثًا بالضجيج، مليئةً ذاكرتي بالكثير من التفاصيل، قتلتني التفاصيل، إنني فريستها والأفكار المفرطة، كل الأشياء من حولي، تحدد إلي، كأنها تنفيني عن هويتي، عن ذاتي. الأصوات، الضحكات، العابرون، كانوا كجبل ضخمة يحتم علي صدري، حاولتُ أن أكون بينهم، أن أصفق الباب في وجه الوحدة، وأعيش كالبقية، لكنني كنتُ وحيدًا، حتى في الحين الذي كنتُ أتواجد بينهم، كنتُ وحيدًا، لذلك قررتُ العودة، مصطحبًا ذاتي المرقطة بالشروخ، لأكون وحيدًا، بملء معنى الوحدة!

## مقدمة متأخرة

كنت أحاول زيارته ما بين الفينة والأخرى، لكنه لم يكن يسمح لأحد بالدخول إليه أو التحدث معه، وعلى الرغم من أنني كنت أبعث إليه الرسائل، فقد عثرت عليها متراصفة فوق طرف منصدته، ما تزال في ظروفها وأعتقد أنها لم تُفتح بعد. قرر فجأة أن يصفق الباب في وجه العالم، ويختبئ خلف جدران شرفته، كنا نعتقد جميعًا أنه يريد أن يستريح قليلًا فقد كان شخصًا نشيطًا يعمل في استمرار، ولكننا لم نكن نعرف أن روحه كانت مكبدة مشحونة بكل تلك الأفكار والمشاعر، إلا حين دخلت إلى شرفته بعد عودتنا من مأتمه وإتمام مراسم الدفن. شعرت بقلبي يحترق وروحي تحتقن. وأنا أرى تلك الشرفة وكل ما بها مقلوبًا رأسًا على عقب، الكثير من الأوراق الممزقة، والكتب المتناثرة، رائحة الظلام النفاذة دهنت الشرفة بالكامل. عثرت على مذكراته هذه متراصفة فوق المنصدة، بشكلٍ مرتب، لقد كانت الوحيدة التي عثرت عليها مرتبة، وضع فوقها ورقة مكتوب فيها: كنت قد أخبرتك ذات مرة بأني أنوي تأليف كتاب في التنمية البشرية، ولكنني لم أستطع فعل ذلك، كلماتي هذه قد لا تشفي صدر أحد أو تبدد مأساته، ولكن ربما هناك من تمنى أن يجد من يحدثه بما في داخله فلم يجد، وقررت أن أكون ذلك الأحد، لا أطبب بل أترجم، وأشرح له شعوره الذي يتكبد به بمفرده، دون أن يستطيع شرحه للآخرين ولنفسه، أو يستطيع الآخرون فعل ذلك له. أترك الخيار لك، إن كنت

تستطيع نشر مذكراتي هذه وتخلد اسمي البائس وسطوري المتعبة، فلا بأس، وإن أردت إحراقها فافعل بها ما شئت، قد تقول لا أريد العالم أن يقرأ حزنك، لا تقلق، هذه كله ليس حزني وحدي، لقد رسمت أنا ملي خيبات وآلام الجميع نيابة عنهم. لم أكن يائساً من رحمة الله، صدقني لم أكن كذلك، ولكنك تعرف أن الاكتئاب مرض، مثله مثل أي مرض عضوي يفتك بالإنسان، ولكن هذا المرض ينخر النفس، ويقضي عليها، قررت محاربته بمفردي رغم شراسته، ستجد بعض حروفي وكلماتي متناقضة، اعرف حينها بأني كنت أكتب وأنا أصارع نفسي تحت وطأة النبوة!

لقد دعوت الله كثيرًا في صلوات كثيرة، في السجود العميق، أن يحررني من نفسي ويأخذني إليه، وأن تكون خاتمتي هي أن أموت على السجادة.. إياك تظن بأني يومًا طويتها، بل كانت الصلاة أقوى من أي مسكن يصرفه أطباء الأمراض النفسية.

هذه المذكرات، نتجت عن صراع نفسي دام لليال طويلة، الحمد لله الذي اختارني لهذا الابتلاء، عسى أن يكون أحبني لذا ابتلاني، أو أراد تخفيف عني بعضًا من ذنوبي.

أعتذر عن عدم قراءتي لبرقيَّاتك، لأنني كنت أعرف جيدًا بأنك ستلح علي لمغادرة هذا المكان المظلم، وأنا لم أكن مستعدًا لأبرر لك سبب انغماسي فيه.

كن بخير يا صديقي، ولا تحزن لموتي، لا أعتقد بأنك ستقرأ هذه الرسالة إلا بعد موتي، أشعر به يقترب نحوي ببطء، إياك يومًا تتصور بأنني قد أفكر في الانتحار.. بل إنني كررت دعائي لإلهي أن يأخذني إليه، في كل ليلة، لعله استجاب. وصيتي الأخيرة، اعتنِ بأمي وأخبرها أن تغفر لي، حين كنت عبثًا ثقیلاً عليها، ما إن بدأت تستند على توهجي وتفتخر به، حتى خذلتها بسحق ذلك التوهج، أخبرها مرارًا أن الأمر كان خارجًا عن نطاق السيطرة، لم يكن بيدي كبحة. قبلها عني وأخبرها أنها الشخص الوحيد الذي لن أندم على مغادرتي للعالم إلا لأنني سأغادرها، عسى أن يكون لنا لقاء في الجنة، إن أكرمني الله بها"

انهارت قواي وأغرقت دموعي تلك الورقة المجمعة، لم يكن صديقي يعرف أنني انتظرت كثيرًا، وساءت أيامي بدونه كثيرًا، وتلاشت نكهة الحياة بدونه كثيرًا، ولكنني ما زلت على أمل أنتظر خروجه عن العزلة، لم أكن أدري أن ذلك الخروج لن يكون إلا إلى القبر!!

لو أنك أخذتني معك يا صديقي، أي حياة سأعيشها من بعد فقدك  
الآن!

مُخَيِّفَةٌ فَكْرَةً أَنْ تَجِدَ مَخْطُوطَةً مَكْتُظَةً بِرِسَائِلٍ مُتَنَاقِضَةٍ غَزِيرَةِ الْعُمُقِ  
وَالِإِسْهَابِ، ثُمَّ تَكْتَشِفُ فِي النِّهَايَةِ أَنَّ الْمَقْصُودَ فِيهَا وَكُلَّ تِلْكَ الْأَسْطُرِ  
كُتِبَتْ لِتُرْسَلَ إِلَى نَفْسٍ مُرْسِلِهَا...



وعزاًؤك أن تُولد بأجنحةٍ في أرضٍ ثكلى، بلا سماء!

نعمة الخالد

@ne\_alkhalid